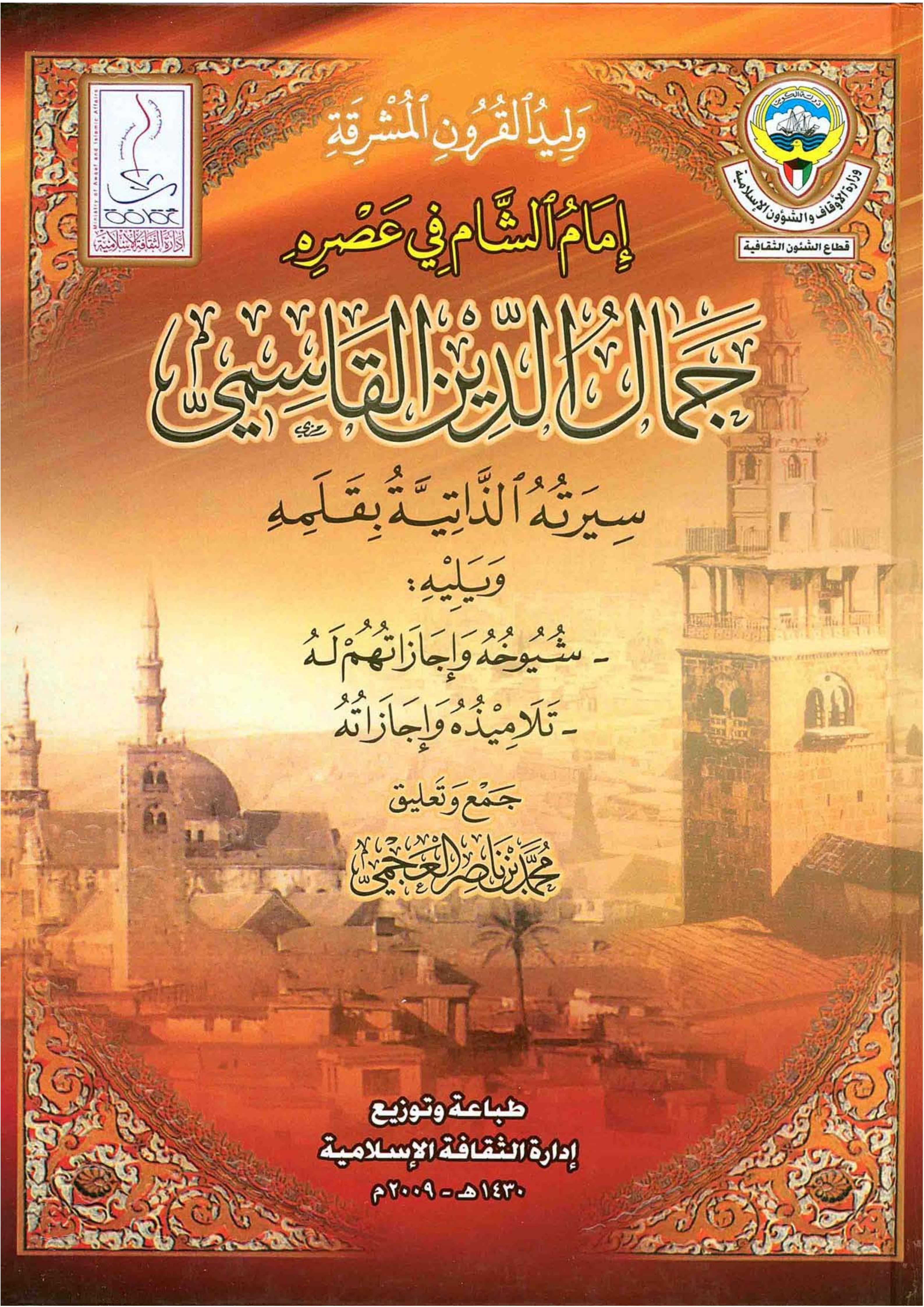

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية
وليد القرون المشرقة
إمام الشام في عصره
جمال الدين القاسمي
سيرته الذاتية بقلمه
ويليه:
- شيوخه وإجازاتهم له
- تلاميذه وإجازاته
جمع وتعليق
محمد بن ناصر العجمي
طباعة وتوزيع
إدارة الثقافة الإسلامية
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

غلاف الكتاب: يُمَثِّل منظر عام لدمشق في بداية حياة القاسمي نحو سنة (١٢٩٠هـ). ويظهر فيه الجامع الأموي يعلو فوق معالم دمشق.

والغلاف الخلفي: يُمَثِّل جامع السنانية الذي كان القاسمي يؤمّ ويدرس فيه، وكذا نموذج من خطه رحمه الله تعالى.

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

القَاسِمِيّ: وَلِيدُ القُرُونِ، وَقَدْ فَهِمَ الشَّرِيعَة كَمَا فَهِمَهَا الصَّحَابَة وَالتَّابِعُونَ.

طاهر الجزائري

جَزَى اللهُ عَنَّا الكُتْبَ خَيْرًا فَإِنَّهَا ... تَنُمُّ أَحَادِيثَ الحَبِيبِ بِلَفْظِهِ

فَمَوْقِعُهَا أَحْلَى مِنَ المَاءِ لِلَّذِي ... بِهِ ظَمَأٌ وَقْتَ الهَجِيرِ وَقَيْظِهِ

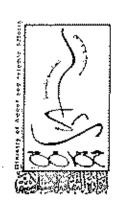
جمال الدين القاسمي

إِمَامُ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ

جمال الدين القاسمي

سِيرَتُهُ الذَّاتِيَّةُ بِقَلَمِهِ





وليد القرون المشرقة

إمام الشام في عصره

جمال الدين القاسمي

سيرته الذاتية بقلمه

ويليه:

- شيوخه وإجازاتهم له
- تلاميذه وإجازاته

جمع وتعليق

محمد بن ناصر العجمي

طباعة وتوزيع

إدارة الثقافة الإسلامية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مقدّمة

شيخ القرّاء محمّد كريّم راجح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمَّا بعدُ:

فقد زارني الأستاذ الكريم، المتتبع لعلماء الشام وأحوال الشام، الذي هو معجب بأرض الشام **وبعلماء الشام**، الأستاذ الحبيب الصديق الشيخ محمَّد بن ناصر العَجْمي، وقال لي:

إنَّني أجمع كتاباً في ترجمة الشيخ العظيم جمال الدِّين القاسمي، فأحببتُ ــ بما أنَّك من دمشق وبما أنَّك شيخ قرَّاء الشَّام، وبما أنَّك من المعجبين بالعلاَّمة القاسمي ــ أحببتُ أن تكتب هذه المقدّمة لهذا الكتاب، فأجبته إلى ذلك وبكلّ سرور.

وحقًّا أنا من المعجبين بالعلاَّمة القاسمي، جمال الدِّين، وإذا كنتُ مُندهشاً لكثير من رجال السَّلف الصَّالح كالإمام مالك، والإمام الشَّافعي، وإمام أهل السُّنَّة والجماعة الإمام أحمد، والإمام أبي حنيفة، والإمام الأوزاعي وغيرهم، فإنَّني من بعد هذه العصور التي تعتبر الخلاصة لعصر الصَّحابة والتابعين وتابعيهم، وابتداءً لعصورٍ جديدة فقهية اجتهادية؛ فإنَّني مندهش لشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيِّم، وللعلاَّمة القاسمي رحمه الله تعالى.

ولا تعجبوا إذا ألحقتُ جمال الدِّين القاسمي بهذين العَلَمين الكبيرين؛ فهؤلاء الثلاثة من بلاد الشَّام، وهؤلاء الثلاثة تجمعهم فكرة التمحيص والبحث والنظر، تجمعهم فكرة أنَّهم لا يبيعون عقولهم للغير، بل يريدون لعقولهم أن تكون حُرَّة، وأن يفكِّروا بحرِّيَّة، وهم لا يُسْلمون عقولهم إلاَّ لكتاب الله، ولصحيح سُنَّة رسول الله ﷺ، أما ما عدا ذلك فهم على قولة الإمام مالك: ما مِنَّا إلاَّ مَن رَدَّ ورُدَّ عليه إلاَّ صاحب هذا القبر ــ وأشار إلى ضريح سيِّدنا رسول الله ﷺ ــ.

نشأ ــ رحمه الله تعالى ــ في عصرٍ كان يغلب عليه التقليد، كان الناس يعيشون فيه على الزوايا، والطُّرق، وعلى حلقات الذِّكْر المبتَدَعَة، وما شاكل ذلك، وكان الناس معجبين بما هم عليه، وكأنَّ هذا هو العقيدة الإسلامية التي جاء بها رسول الله ﷺ، فأيّ إنسان خالف هذه الأمور أو اعترض عليها فإنَّه يكاد يُكَفَّرُ؛ لأنه خالف ما عليه النَّاس.

عاش العلاَّمة القاسمي إلى ثلاثين من عمره على هذه المائدة التقليدية التي كان يعيش عليها أبناء عصره، ثُمَّ لمَّا نظر في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيِّم أدرك الحقيقة، فأخذ يعيش المنهج الحقّ المأخوذ من كتاب الله سبحانه وتعالى ومن صحيح سُنَّة الرسول ﷺ.

القاسمي لم يُعرض عن العلماء والفقهاء، بل كان يحترم العلماء والفقهاء والأئمَّة، وكان يأخذ بآرائهم، ولكنَّه كان يناقش كلّ قول وكلّ فكرة؛ فكان يريد عقيدة سليمة على الكتاب والسُّنَّة وكما جاء عن

سلف الأُمَّة، وكان يَنْشد فقهاً سديداً مأخوذاً من الوَحْيين: وحي القرآن، والوحي الذي نطق به رسول الله ﷺ.

ولا شكّ أنَّه ــ رحمه الله ــ لقي العَنت من كلّ ذلك، ولكنه صبر فكان هو المنتصر.

ومن المؤسف أنه كان في عصر الجمال القاسمي ــ ولا يزال يوجد من هؤلاء ــ مَن يقفون في الفقه عند مالك أو الشَّافعي أو أحمد أو غيرهم، وفي العقيدة عند الأشعري أو الماتريدي أو غيرهما، ولا يكادون يرتفعون إلى الكتاب الكريم ولا إلى صحيح السُّنَّة المشرَّفة.

ونحن نعلم أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية قد أُوذي في سبيل دعوته وكذا تلميذه ابن القيِّم. والعلاَّمة القاسمي له أُسوة بهذين الإمامين الجليلين، اللَّذين أرادا أن يكون منهجهما مرتبطاً بالكتاب والسُّنَّة وفهم سلف الأُمَّة رضوان الله عليهم، الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «خَيْرُ القرون قَرني، ثُمَّ الَّذين يلونَهُم، ثُمَّ الَّذين يلونَهُم...» الحديث.

وكلّ خير في اتِّباع مَن سلف   وكلّ شرّ في ابتداع مَن خلف

إنَّ مِن أبرز ما يميِّز منهج الإمام القاسمي أنه لم يكن يفكِّر في إرضاء العامَّة، حتَّى يعظموه ويحترموه ويقبِّلوا يديه، وإنما كان يفكِّر في إرضاء الله تعالى، وفي إعطاء الأحكام الصحيحة، وهذا الذي جعله يَخْرج على التقاليد الموروثة التي لا أصل لها في دين الله سبحانه وتعالى.

هناك كثير ممَّن ينتسب إلى العلم يُحاولون أن يكون العامَّة راضين عنهم، أمَّا القاسمي فما كان يهمّه ذلك، وإنما وضع نصب عينيه قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «مَن أرضى النَّاسَ بسخطِ الله وكَلَهُ الله إلى النَّاس، ومَن أسخط النَّاس برضا الله كفاهُ الله مؤنَةَ النَّاس».

رحم الله القاسمي؛ فقد كان على طريقة مَن سبقه من العلماء الرَّبَّانيِّين والأئمَّة المُخلصين كالإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيِّم.

أما بعدُ:

فالكلام في هذه الشخصيَّة يطول، ولا نستطيع أن نؤدِّيها حقّها، ولكن المستقبل هو الذي سيعرف للقاسمي حقّه، كما عرف للإمام أحمد حقّه يوم ثبت في المحنة، وكما عرف لابن تيمية ولابن القيم حقّهما، فانظر في كتب العلماء تجد لهم الثناء الخالد عبر القرون.

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يجعل مِن قلم الشيخ محمَّد بن ناصر العَجْمي هداية للنَّاس ونشراً للعلم، واعترافاً بعلمائنا الماضين، وسيراً على منهجهم، منهج الحقيقة وحُسن الاتِّباع.

شيخ القرَّاء بدمشق الشَّام

محمَّد كريِّم راجح

دمشق الشَّام

السبت ٢/ ٤/ ١٤٣٠هـ

الموافق ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٩م

تقديم

سليل العلماء الأماثل الشيخ الفاضل

محمد سعيد القاسمي

بسم الله الرحمن الرحيم

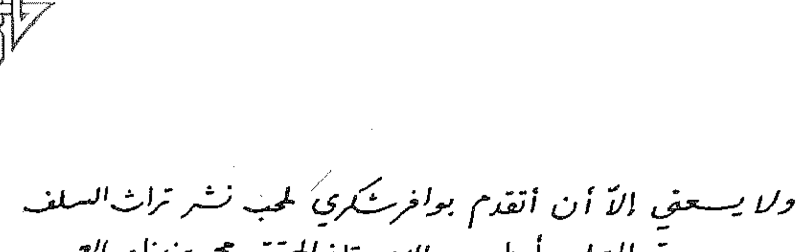
إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ، فقد هاتفني الأخ الحبيب في الله ، والصديق المحقق ، الاستاذ محمد بن ناصر العجمي ، حفظه الله ورعاه ، يبشرني بانجازه القسم الأول من كتابه .

« جمال الدين القاسمي ، سيرته الذاتية بقلمه ، وشيوخه وإجازاتهم له ، وتلاميذه وإجازاته »

فحمدت الله تعالى على انجازه هذا الكتاب الذي انتظرته منذ عقد من السنين ... فشرّفني وبصحبته أحبته ، سلّمهم الله ، وقدّمه اليّ مشكوراً على انجازه هذا الكتاب ، مأجوراً من الله!
علماً أنه - حفظه الله - أنجز كتباً كثيرة في هذه الفترة ، عن علماء عاملين مشهورين في خدمة الشريعة . أذكر منها بعضاً من مؤلفات الجدّ :

الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الآلوسي وبيت القصيد في ترجمة الامام الوالد السعيد ، والوعظ المطلوب في قوت القلوب ، رحلتي الى المدينة المنوّرة ، وسرّ الاستغفار عقب الصلوات ، وثمرة التسارع الى الحب في الله تعالى وترك التقاطع ، وتعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين لجدّه الشيخ قاسم رحمهم الله جميعاً .
وتفضّل فألّف كتاباً عن آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل .



ولا يسعني إلاّ أن أتقدم بوافر شكري لمحب نشر تراث السلف الصالح، وصديق العلم وأربابه، الأستاذ المحقق محمد بن ناصر العجمي، جزاه الله عنا جميعاً خير الجزاء، على ما قدّم ويقدّم ويحقّق وينشر. لا زال للخير والعمل الصالح موفقاً، وسهمه في تحقيق آثار السلف الصالح ونشرها مُفوّقاً..!

والله ولي التوفيق والنصر لعباده الصالحين المجاهدين.

دمشق ليلة الجمعة لثمانٍ عشرة مضين من صفر الخير سنة ١٤٣٠ هجرية.

محمد سعيد القاسمي

بسم الله الرحمن الرحيم(1)

حمداً لمن تجلى على دمشق بمآثر الجمال، وكساها من رونق البهاء شعاراً لكمال زينتها
بعرائس اللطائف، وأودع بها نفائس الظرائف، وجملها بأحاسن المحاسن، وأجرى
بها أنهاراً من ماء غير آسن، وجعلها أسنى منتزهات الدنيا الأربع، وأهنأ
عيش من في رباها يرتع ويربع، وفضلها بربوة ذات قرار ومعين، واختارها
مقر الظاهرين بالحق إلى يوم الدين، فسبحان من تكفل بالشام وأهله، وجعلها
صفوة بلاده، وامتن عليها بكرمه فاجتبى إليها خيرته من عباده، وصلاة وسلاماً
على سيدنا محمد الذي أضاءت لولادته قصور بصرى، ونوه بفضل دمشق
وغوطتها وأنها فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى، وعلى آله وصحابته الذين
فتحوا البلاد، وجاهدوا في الله حق الجهاد، ما ماست معاطف البان في حدائق
جلق، ورنت أحداق نرجسها فافترت ثغور زهرها المتألق، وازدهت
بمكانتها على سائر الأماكن، وخفقت لتفيؤ ظلالها أجنحة القلوب السواكن،
أما بعد

فقد سعدتُ في زيارتي لدمشق المحروسة بلقاء الأُستاذ المفضال ربيب العِلْم والعلماء الشيخ الوجيه محمَّد سعيد، حفيد العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي؛ فوجدتُ منه الحفاوةَ وكريمَ الأخلاق والسجايا؛ والذهبُ من معدنِهِ لا يُسْتَغْرَب؛ فقد عرض عليَّ مؤلفات جدِّه العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي فأنعمتُ وأمتعتُ فيها النَّظر، ورأيت خطه الفارسيَّ الأنيق، وتعليقاته التي كالوشْي المُنَمْنَمِ الذي لا تتقنه إلاَّ يد الصُّنَّاع الماهرة، واطّلعت على نماذج من تعليقاته على الكتب، وإشارتِهِ على المهم منها، ووضعِهِ لنفسِهِ فهرسًا خاصًّا على أغلفة الكتب ونهايتها للموضوعات التي يُحتاج إليها، كما

(1) هذا مطلع مقدمة القاسمي بخطه لكتابه «تعطير المشام في مآثر دمشق الشَّام»، وهو مسودة لم يبيضه.

أطلعني على تفسيره بخطه الذي قضى في تأليفه أكثر من خمسة عشر عامًا؛ فقد انكبَّ عليه منذ عام (١٣١٦هـ) حتى آخر أيامه سنة (١٣٣٢هـ).

وكان يكتب أكثره في سُدَّة جامع السنانية؛ وهو الجامع الذي يَؤمُّ فيه النَّاس، وفيه ختم هذا التفسير، وبذل فيه معظم وقته، فقد اطَّلع لأجله على عشرات الكتب مطبوعها ومخطوطها، وأفنى أيامًا كثيرة في النَّظر في مخطوطات المكتبة الظاهرية؛ حتى قال أحد أهل العلم لابنه: «إن قراءته تحتاج إلى عُمُرٍ كاملٍ، فكيف ألَّفه أبوك؛ ولم يبلغ الخمسِين من العمر؟!».

ويزداد العَجَبُ إذا علمتَ أنَّه هو الذي نسخ كتابه بخطه من أوَّلِهِ إلى آخره، ولم يساعده على نسخه أحد، حتى قال تلاميذه: «لقد كتبه مرةً واحدةً على أصله الذي طُبِعَ منه!»[١].

وتذكَّرتُ وأنا في مكتبة آل القاسمي قول العلاَّمة محمَّد بشير الإبراهيمي حينما زار هذه المكتبة نحو سنة (١٣٣٦هـ)؛ وكأنَّه يحكي حالي وشعوري: «وإن نسيت فلن أنسى ساعاتٍ كنت قضيتها في مكتبة آل القاسمي مُمَتِّعًا عيني وذهني في مخطوطات جمال الدِّين، ومسوَّداتِ مباحثه في التفسير والحديث، وفي ذلك المخطوط الحافل الذي ما رأت عيني مثله في موضوعه، وهو كتاب «بدائع الغرف في الصِّناعاتِ والحِرَف»[٢] لوالده الشيخ محمَّد سعيد الحلاَّق، أرَّخ فيه لصناعات دمشق الجليلة»[٣].

---

(١) «جمال الدِّين القاسمي وعصره»، لابنه ظافر (ص٦٨٣).

(٢) طُبِعَ هذا الكتاب بعنوان: «قاموس الصِّناعات الشَّاميَّة»، وذلك في معهد الدراسات العليا في باريس سنة (١٩٦٠م)، بتحقيق ظافر القاسمي.

(٣) «آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي» (٣/ ٥٦٦).

=

ومن المعروف أنَّ إمام الشَّام في عصره جمالَ الدِّين القاسمي لم يكن يضيِّع ساعة من وقته؛ فقد كان منصرفًا للتدريس والتصنيف؛ حتَّى إنَّه لشدَّة محافظته على وقته كان يصطحب معه في جيب جبَّته أوراقًا بيضًا، وقلمًا من الرصاص؛ ليدوِّن ما سنح في خاطره، ولو كان في الطَّريقِ أو في السُّوقِ أو في القطارِ، ولا أذهب بك بعيدًا فإنَّه كان يقول: «الوقت من أسمى مواهب الخالق التي لا يمكن استعادتها متى فاتت، فلا تتصرَّف فيه بما يؤسفك على فواته، أو يجعلك تندم على باطل استعماله، إذ لا فكرةَ أشدُّ ألمًا من قول: فات الوقت، أو: كان هذا يمكن أن يكون. والوقت أمانة عندك، تُسأل عن التَّصرُّف فيه، فلا تُضِعْ منه كثيرًا».

ويُعبِّرُ ـ رحمه الله تعالى ـ عن حُبِّهِ للمطالعة وأنها أسعد الأوقات فيقول: «ساعات المطالعة أسعد أوقات الحياة، وما يطلب من السرور في غيرها هو ظل ما يستخلص من لذيذ مسرَّاتها».

ويقول: «من يضع وقته إنما يفقد أكثر ممن يضيع دراهمه».

ويوصي أحدَ أصحابه فيقول: «احفظوا أوقاتكم جدًّا، وادأبوا على المطالعة، وحفظ ما يهم من الأصول والمتون، وعوِّدوا أنفسكم على كتابة مقالات، وإنشاء جُمَلٍ في الموضوعات الهامَّات، ولا تخملوا أنفسكم بالتقصير عن اللَّحاقِ بالسِّباق. فالزمان ما ترى. والعاقل من تبصَّر وتصبَّر وجارى، وما الإنسان إلاَّ ابن جدِّه، وقد مضى زمن من كان يرتاش بأبيه وجدِّه»[1].

= أقول: وكذلك نظرتُ في كتاب آخر لوالد الشيخ جمال الدِّين القاسمي وهو المسمَّى بـ «سفينة الفَرَج فيما هَبَّ وَدَبَّ وَدَرَج»، وقد جعله على نمط الكشكول؛ وكأنَّه خلاصة لأكثر مطالعته في كتب الأدب، والتاريخ، ودواوين الشِّعر، وقد طبع أخيرًا بتحقيق الشيخ محمَّد خير رمضان يوسف، وأصدرته دار البشائر الإسلامية ببيروت سنة (١٤٢٥هـ).

(١) من مذكراته ودفتره المذكور قبل سطور سنة (١٣٢٨هـ).

ويقول: «العلم لا يناله إلاَّ من جَدَّ واجتهد، وأحيا الظَّلام، وصارع المنام، ووقف عمره على سبيله. . .»[1].

يقول عنه الشيخ محمَّد رشيد رضا: «العاملُ المُجِدُّ الذي يقتلُ وقته كله في التدريس والتصنيف، وتصحيح الكتب النَّافعة: الشيخ جمال الدِّين القاسمي أدام الله النفع به»[2].

بل إنَّ بعض مصنفاته أنهاه في السَّفر أو في بعض رحلاته للتنزُّه والرَّاحة، فيقول في آخر رسالته «شذَرة من السِّيَر المحمَّدية»: «اتفق تمام تبييضه في منتصف شوَّال نهار الأحد في الجامع الأزهر في الرواق العباسي أيام رحلتي لمصر القاهرة عام (١٣٢١هـ)».

ويقول في نهاية كتابه «الوعظ المطلوب من قوت القلوب» إنَّه أتمَّه: «قُبيل عصر يوم الأربعاء ١٩ شعبان (١٣٣١هـ) في قرية جُبّ جِنِّين من أعمال البِقاع، أيام تجوُّله في بعض قراه ترويحًا للنفس من مرضٍ أَلَمَّ به».

وخلاصة القول أنَّ العلاَّمة القاسمي قد كتب الله له التوفيق والسَّداد في استغلال الوقت ومعرفة قيمته منذ صغره حتى إنَّه أَلَّف رسالة بعنوان: «السفينة»، وكان عمره يومئذٍ ست عشرة سنة»[3].

---

(١) «إقامة الحجَّة» الصفحة الأخيرة منه.

(٢) «مجلة المنار» (١١/ ٩٣٦).

(٣) وقد كَتب عليها بخطه الأنيق: «هذه السفينة مجموعة من الفوائد اللطيفة، والمسائل الشريفة بخط الفقير محمَّد جمال الدِّين أبي الفرج عُفِيَ عنه سنة (١٢٩٩هـ)».
وقال عن نفسه رحمه الله: «وكنتُ في صغري جمعتُ سفائن كثيرة مِنَ المرور على الكتب المتنوعة؛ لو جُمعت لَغَدَت مؤلَّفًا حافلاً كبيرًا، يُسامي الكشكول، والكنز المدفون. . .».

رَحِـم الله العـلاَّمـة القـاسمـي، فقـد أعطـى مـن نتـاج عقلـه وفكـره، ومـن ماء عيونه، وذَوْبِ قلبه، وأتعب يده بنسخ مصنفاته ورسائله الحافلة؛ فكان من جملة المكثرين في التصنيف والتأليف؛ وسارت بمؤلفاتِهِ الرُّكْبان، وانتشرت في البُلدان، وبقي ذِكْرُه مخلَّدًا على مدى اللَّيالي والأيَّام؛ والله لا يضيع أجر مَن أحسن عملاً.

هذا وبين يديك سيرته الذاتية في مطلع حياته العلمية[١] وترجمته لشيوخه وإجازاتهم له بخطوطهم؛ وتوقيعاتهم، وذكر جملة من تلاميذه، الذين أحاطوا به، وأخذوا عنه، وإجازاته وغيرها من فوائده العلمية مما تجده في أعطاف هذا الكتاب.

وهناك الكثير ــ إن بقي في الوقت والعمر فسحة ــ سأصدره لاحقًا حول هذا العَلَمِ الهُمام من صِلاته الواسعة بعلماء عصره والمراسلات التي بينه وبينهـم، ومـا كـان عليـه مـن سيـرة إصـلاحيـة وعلميـة، وثنـاء العلمـاء عليـه، وما وهبه الله من علوِّ الهمَّة في جرده للمطولات، وعنايته بِنَسْخ الكتب، وتنوُّعِ التأليف عنده، وما قيل في مؤلَّفاته، وإكثاره من النقول فيها لدعم فكرته ودعوته، وتدريسه للمطوَّلات، وتأثُّره بشيخ الإسلام ابن تيمية وكثرة نقوله عنه[٢]، وسعيه الحثيث في نشر آثاره ونسخها، وما كان عليه من أخلاقٍ،

(١) وعليه فالمرجو ممَّن يطالع هذه الترجمة أن يعلم أنَّها ابنة وقتها وبيئتها المحيطة بها، إذ تدرَّج القاسمي في سيره إلى منهج السلف ودعوته الإصلاحية شيئًا فشيئًا كما سيأتي الإشارة إليه (ص٢٣).

(٢) قال في رسالة منه إلى الشيخ محمَّد نصيف بتاريخ ٨ جمادى الثانية سنة (١٣٢٧هـ) في ضمن كلام له: «إني، ولله الحمد، نشأت على حبِّ مؤلَّفات شيخ الإسلام، والحرص عليها، والدعوة إليها، وأعتقد أن كل من لم يطالع بها لم يشمَّ رائحة العلم الصَّحيح، ولا ذاق لذَّة فهم العقل السَّليم».

ورقة حاشيته[1]، وصبره على الأذى، وما قيل فيه بعد وفاته من كلمات ومراثٍ كثيرة رحمه الله رحمةً واسعةً.

وقبل أن يقف بنا جواد القلم من تجواله وسيره الحثيث في الوصول إلى هذه الترجمة العطرة؛ فإني لا يسعني في خاتمة المطاف إلاَّ أن أشكر العم السعيد الشيخ محمَّد سعيد القاسمي، وذلك لتسهيله النظر في مؤلَّفات جدِّه الجمال القاسمي، وحُسن أدبه وجميل وفادته خلال زياراتي المتكررة له:

فَلَوْ كانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يُرىٰ ... إذا ما تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ

لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حتَّىٰ تَراهُ ... فَتَعْلَمَ أَنِّي امرؤٌ شاكِرُ

ولكنَّهُ كامِنٌ في الضَّميرِ ... يَبوحُ بِهِ المُضْمَرُ السَّاتِرُ

ولما كان برُّ وفضل أستاذنا السَّعيد القاسمي فوق الشُّكْر والثَّناء، عدلت إلى قرع بابِ مَنْ في السَّماء له بالدُّعاء: أن يبلِّغه أقصى غاية كل مسلم، وهي الفردوس الأعلى؛ بعد عمر مديد وعمل صالح رشيد.

---

(١) ومن أمثلة رقَّة حاشيته ولطفه مع أهل بيته: ما حدَّثني به سِبْطه: القاضي سميح الغبرة ــ وهو ابن ابنته نظمية ــ، حيث يقول: قالت والدتي: كانت أمي ــ أي زوجة الشيخ القاسمي ــ إذا أرسلتني لأمر خاص بهم وهو في حلقة الدرس يُجيبني بقوله: «على عيني يا ستِّي»؛ فاعترض عليه أحد طلبته مُتسائلاً حول صحة هذه الكلمة، فقال له الشيخ جمال: ألم تسمع قول الشاعر بهاء الدِّين زهير:

بروحي مَنْ أُسَمِّيها بِسِتِّي ... فتنظُرُني النحاةُ بعينِ مَقْتِ

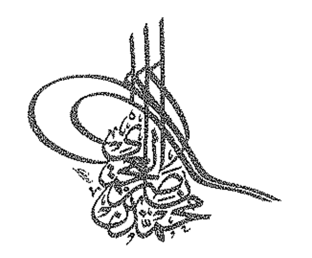
يَـرَوْنَ بأنني قد قُلتُ لَحْنًا ... وكيف وإنَّني لَزُهيرُ وقتي

ولكنْ غادةٌ ملكتْ جِهَاتي ... فلا لَحْنٌ إذا ما قُلتُ سِتِّي

أي: أنها ملكت عليه جميع الجهات الست؛ فضحك الطلبة من ذلك، وسُرُّوا من هذا الجواب؛ وقد أكَّد لي هذه القصَّة العمّ محمَّد سعيد القاسمي حيث أخبره بها أحد تلامذة جدّه وهو الشيخ عبد الله الملاح، المجلِّد الشَّهير.

ولا يفوتني أن أشكر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، حيث رغبت أن يكون هذا الكتاب من إصداراتها، وأخصُّ بالشكر الأخ الفاضل فلاح نهار العجمي جزى الله الجميع خير الجزاء.

هذا والمرجوُّ ممن اطلع على هذا الكتاب إن وجد فيه ما يفيد، أن لا يحرمني من دعوة صالحة؛ والمَلَكُ الكريم فيها شهيد، ويقول: «ولك مثل ذلك»؛ فإن هذا لم يأت إلَّا بعد جهدٍ وسفرٍ، ومن وجد خطأ فليُسْبِلْ ثوبَ السّتر الجميل، فإنَّ المنصف مَن اغتفر قليل الخطأ في كثير الصواب، اللَّهمَّ إنِّي أبرأ من كلّ حول وطول إلاَّ بك؛ فأسألك المزيد من فضلك وأختم بدعوة أهل الجنَّة: (وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين).



الكويت ــ الجهراء المحروسة

٢٢/١٢/١٤٢٩هـ

نبذة وجيزة عن أحوال عصره ومِصْره

تعاقَبَ الحُكْمَ في الخلافة العثمانية التي عاش فيها العلاَّمة القاسمي الحُكَّامُ الآتية أسماؤهم:

ـ السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني (١٨٦١ ـ ١٨٧٦م)، خلع ومات مسمومًا.

ـ السلطان مراد الخامس بن عبد المجيد الأول (١٨٧٦ ـ ١٨٧٦م)، خلع بعد ثلاثة أشهر لخلل في عقله.

ـ السلطان عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد الأول (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م)، خلع بعد (٣٣) سنة من الحكم، ومات سنة (١٩١٧م).

ـ محمَّد رشاد الخامس بن عبد المجيد الأول (١٩٠٩ ـ ١٩١٨م)[١].

عاش علاَّمتنا القاسمي في هذه الفترة العصيبة من الزَّمن التي

---

(١) «تاريخ الدولة العلية العثمانية» لمحمَّد فريد بك (ص٧١٥ وما بعدها، وص٧٧٨).

كانت الحالة السِّياسية في الدَّولة العثمانيَّة في أشدّ أحوالها، حتى أُطلق عليها اسم (الرَّجل المريض)، الذي ينتظر سكرات الموت، وبدأت أوصاله تتقطع، ونُهب تراثه وثرواته، وانفصل عن الدولة العثمانية كثير من الجهات[1].

أمَّا الأحوال العامَّة: فإنَّ «الحريات بجميع أنواعها مفقودة، والأقلام مغلولة، والعقول مقيدة، والصحافة ــ على ضعفها وقلتها ــ مكبلة، والأحرار مطاردون، والدستور معلَّق، والمجالس النيابية معطلة، والناس يحاسبون على الهمسة والنبسة، وأعوان السلطان وزبانيته مبثوثون في كل مكان، والجاسوسية تفتك بالأبرياء، والعدالة تكاد تكون مفقودة لفساد النظام القضائي، وشراء مراكز القضاء، وانتشار الرشوة علنًا بين موظفي السلطة العامة والمواطنين، والامتناع كلِّيًّا عن البحوث السياسية، حتى حرِّم لفظ (الدستور)، لا بل حرِّم على النَّاس أن يسمّوا أولادهم (عبد الحميد) ومن شاء التشبُّه سمى ولده حمدي أو حامد»[2].

وأمَّا الحال في الشَّام: فـ «لقد بلغ الجهل مبلغًا عجيبًا في الناس، حتَّى قلَّ فيهم من يعرف القراءة والكتابة، أو أبسط العمليات الحسابية،

(١) انظر: «الشيخ طاهر الجزائري» لعدنان الخطيب (ص١٤)، ط معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة.

(٢) «جمال الدِّين القاسمي وعصره» لابنه ظافر (ص١٥)، وانظر: «خطط الشَّام» لمحمَّد كرد علي (٣/ ١٢١).

وكان من يتلقى رسالة من قريب نَأَتْ به الدِّيار، يفتش ويلوب على من يقرؤها له، وقد يبقى أيامًا حتى يجد رجلاً من معارفه يُحسن القراءة أو مجرد تفكيك الحروف على تعبير العامة، كما كان الكثيرون من التجار وأصحاب الحوانيت يتخذون رموزًا خاصة بهم تذكرهم بعملياتهم التجارية اليومية إلى أن يجدوا من يدوِّنها لهم»[١].

وكأنَّ هذا الضعف لم يكن يكفي، فأصدر المفتي أبو السعود ــ متولي مشيخة الإسلام في الأستانة ــ فتوى أخمدت ما بقي من همة في النفوس لتحصيل العلم، وصارت القاعدة التي أصبحت الدستور في وظائف الأوقاف والتكايا والزوايا؛ وهي قوله: (خبز الآباء للأبناء) فإذا مات خطيب أو إمام لم يُبحث عن أهلٍ يخلفه، وإنَّما تُعطى وظيفته لابنه، وغالبًا ما يكون جاهلاً، وتوضع على رأسه عمامة الأب: «فأصبح التدريس والتولية والخطابة والإمامة وغيرها من المسالك الدينية تُوْسَدُ إلى الجهلة، بدعوى أنَّ آباءهم كانوا علماء، وهم يجب أن يرثوا وظائفهم ومناصبهم وإن كانوا جهلة، كما ورثوا حوانيتهم وعقارهم وفرشهم وكتبهم. بل بلغت الحال بالدولة إذ ذاك أن كانت تولي القضاء للأميين، «وكم مِن أُمِّيٍّ غدا في دمشق وحلب والقدس وبيروت قاضي القضاة» كما ذكره الأُستاذ محمَّد كرد علي، وهو غير بعيد عن هذا الزَّمن[٢].

---

(١) «الشيخ طاهر الجزائري» لعدنان الخطيب (ص١٥).

(٢) «حاضر اللغة العربية في الشَّام» لسعيد الأفغاني (ص١٦)، طبعة معهد البحوث =

ويقول أيضًا ــ وهو يصف دمشق يوم نشأ فيها في القرن التاسع عشر الميلادي ــ: «أدركت مدينة دمشق وليس فيها طبيب قانوني، ولا صيدلي قانوني، ولا حقوقي قانوني ممَّن درسوا هذه الفروع على الأصول، وعرفوا صناعتهم معرفة ثاقبة لعهدي بها، وليس فيها حيسوب؛ لأن الأمَّة عاشت وتريد أن تعيش بدون حساب، أما العلوم الرِّياضيَّة التي كان يدرسها أجدادهم مع علوم القرآن والحديث فقد غدت عندهم أسماء لا مسميات لها، أو من المعارف التي يستغنى عنها»[1].

وهكذا ران الجهل على بلاد الشَّام وعلى سائر البلاد العربية، في القرنين الأخيرين من حياة الدولة العثمانية، حتى إذا اعتلى العرشَ فيها السلطان عبد الحميد سنة (١٨٧٦م) حمَّله رجال السياسة وزر تخلُّف الدولة عندما أبى أن يكون ملكًا دستوريًّا فحسب، فقد كانت فيه نزعة إلى الاستبداد، وخشي أن يصبح ألعوبة بين أيدي وزرائه. حُمِّل وزر التخلُّف الموروث، وكأنه من صنع يديه، وجارى مؤرخو القضية العربية رجال السياسة في ذلك، وقلَّ فيهم من جرؤ على إنصافه، وقد ثبت اليوم أنَّ عبد الحميد وقف موقفًا حازمًا تجاه أصحاب المطامع في تمزيق دولة

= والدراسات العربية بالقاهرة. وانظر: «خطط الشَّام» لمحمَّد كرد علي (٤/ ٧٨)، و «الشيخ طاهر الجزائري» لعدنان الخطيب (ص١٧).

(١) من كتاب «أقوالنا وأفعالنا» لمحمَّد كرد علي (ص١٠٧)، طبعة القاهرة.

بنـي عثمـان، والقضـاء علـى وحـدة الإسـلام مـن أجـل استخـلاص فلسطين حلم الصهيونية الكبير[1].

وقد شارك بعض أهل الشَّام «العرب في الجمعيات المؤلفة سرًّا أيام السلطان عبد الحميد للمطالبة بالحكم الشوري، وكان هذا هو الخطوة الأولى التي أعلنها مؤسسو الجمعيات ليضمنوا عون عناصر الدولة المختلفة من كرد وشركس وأرناؤوط وعرب. فلمَّا تم الانقلاب بإزالة السلطان، وإعلان الدستور، واستلام جمعية الاتِّحاد والترقِّي[2] أزمَّة الحكم، برز إلى الميدان من نواياهم ما لم يعلنوه قبلُ، فإذا بعصبية عنصرية تركية حاقدة تملأ نفوس هذه الجمعية، وتملي عليها تصرفاتها، وإذا في الميدان أيضًا جمعيات (ترك درنكي) و (ترك أوجاغي) و (تورك يوردي) وغيرها، كلها يتغنى بالعنصر التركي، ويذكر وطنه القديم

---

(١) عدنان الخطيب: «الشيخ طاهر الجزائري» (ص١٧، ١٨).

(٢) كثير من دعائم جمعية الاتِّحاد والترقِّي يهود، تظاهروا بالإسلام (دونمة) من سلانيك، وظهر أن السلطان عبد الحميد كان رفض رفضًا باتًّا عرضًا للجمعية الصهيونية ببيع أرضين في فلسطين مقابل مبلغ جسيم، ولم تمضِ سنواتٌ على هذا الرفض حتى وجهت الصهيونية العالمية بأساليبها الخفيَّة الأمورَ الدَّاخليَّة في الدَّولة العثمانيَّة بحيث تألفت الأحزاب الطورانية وانتهت بخلع عبد الحميد، وتفكيك وحدة الأمة بإثارة النعرات العنصرية حتى ضعفت الدولة وتجزأت وانقرضت. وقد آن للتاريخ أن يصحح ما أملته الصهيونية عليه، وتلقَّفناه جيلاً عن جيل عن هذه الحقبة من العهد التركي: عهد عبد الحميد ثم الاتحاديين. سعيد الأفغاني «حاضر اللغة العربية في الشَّام» (ص٣١)، طبعة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة.

(صحارى المغول) وتركستان، ويرتجل للأتراك الأمجادَ الفخمة مشيدين بجنكيز وهلاكو وتيمورلنك وغيرهم من وحوش البشرية، وإذا دعوةٌ متحمسة لتنقيح اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية، ومقالاتٌ ضافياتٌ في صحف ومجلات تسمِّمُ الشعب التركي بهذه النّعرات»[1].

هذا وقد تعددت طرق التصوف، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، فلا تكاد تجد عالمًا من غير طريقة، وكان من أكثر الطرق رواجًا الرفاعية، والنقشبندية، والشاذلية، والسبب في انتشار التصوُّف هو أنَّ الدولة العثمانية كانت تؤيِّد التصُّوف، وتبني لأربابه الزوايا والتكايا، بل كانت له أعلى السلطة؛ وذلك بأن جعلت أبا الهدى الصيادي الرفاعي[2] مستشارًا للسلطان وشيخًا له.

ومع هذا الواقع المرّ فقد كان هناك بعض أهل العلم المتميزين بعلمهم وصلاحهم.

يقول محمَّد كرد علي في معرض ذكره لعلماء أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل الرابع عشر:

(١) «حاضر اللغة العربية في الشّام» للأفغاني (ص٣١)، وانظر: «صفحة من تاريخ النهضة العربية» للدكتور صلاح الدِّين القاسمي (ص٤٣)، طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة.

(٢) انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩٤).

«ومن علماء القرن الأخير والذي بعدَه في دمشق:

* سليم العطَّار: مُحَدِّث فقيه.
* محمود الحمزاوي: فقيه مفتٍ، له مصنَّفات.
* بكري العطَّار: إمام في العربيَّة، ولا سيَّما النحو والتصريف، ثم الفقه والحديث.
* حسن البيطار: فقيه متفنّن.
* محمَّد الطَّنطاوي: عالم بالعربيَّة والأصول والفقه والفلك والميقات.
* حسن الشطّي: فقيه.
* محمَّد الجوخدار: فقيه.
* عبد الله الحلبي: فقيه أصولي.
* أحمد الحلواني: شيخ القراء.
* عمر العطَّار: فقيه عالم بالعربيَّة.
* عبد الرَّحمن الطيبي: فقيه.
* محمَّد المرعشلي: أديب وفقيه.
* عبد الرَّحمن البوسنوي: عالم بالعربية.
* أحمد فوزي السَّاعاتي: عالم بالعلوم المادِّيَّة والدِّينيَّة.
* عبد المجيد الخاني: أديب شاعر.
* عبد الحكيم الأفغاني: عالم بالفقه والأصول.
* محمَّد محمود الأتاسي: فقيه أصولي.

* علاء الدِّين عابدين: فقيه أديب.
* صالح قنباز: عالم بالتربية والطب، له عدة رسائل وكتب.
* عبد الله السكري: فقيه، مسند...»[1].

* * *

(١) «خطط الشَّام» لمحمَّد كرد علي (٤/ ٦٣)، وقد أفاض الدكتور إسكندر لوقَا في كتابه «الحركة الأدبية في دمشق من سنة ١٨٠٠ ـ ١٩١٨» في ذكر علماء دمشق في هذا العصر ومؤلفاتهم، فانظره إن شئت، وهو من مطبوعات دمشق سنة (١٩٧٦م).

ملامح مختصرة
من الأطوار التي مرّ بها العلاّمة القاسمي

لمحة مختصرة في تحوُّل حياة القاسمي العلميّة والدَّعويَّة:

بالنظر والتتبُّع لسيرة العلاَّمة القاسمي، نجد أنه مرَّ بمرحلتين:

الأولى: أنه كان ابنَ عصره وبيئته؛ فبعضُ شيوخه كان صوفيًّا صاحب طريقة، فشيخه محمَّد بن محمَّد الخاني أحد شيوخ النقشبندية، وقد قرأ عليه كتب الصوفية وشروحها، كما حضره في كتاب «البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية» لوالده محمَّد بن عبد الله الخاني، يقول القاسمي: «وكان رحمه الله لقَّنني ذكرَ الطريقة النقشبندية، ولازمتُ حلقته مدَّةً»، ثم صرَّح بتركها بقوله: «ثُمَّ تركتها لأمرٍ ما»[1] وكأنَّ القاسمي في أول أمره لم يستطع مواجهة أبناء بيئته فوقف موقفًا وسطًا بادىء الأمر، كما أنَّ لينَ عريكته وأسلوبَه في الدعوة تجعله يلزم هذه الطريقة، ولعله كان يخشى سطوة القوم، ممَّا جعله لم يصرّح

(١) انظر: (ص٥٠).

بسبب تركه للطريقة النقشبندية وغيرها من الطرق الأخرى[1]، و «ذلك لأن عصره كان عصر جمود على القديم، وتلقي الأقوال بالتسليم من دون تمحيص للصحيح من السقيم»[2]؛ فلا يستغرب من القاسمي أن يكون مُتدرجًا في منهجه الجديد الذي تحول إليه، ويمكن أن يكون تحديد ذلك على الأقل بسنة انتهائه من القراءة على شيخة الخاني وذلك سنة (١٣٠٩هـ).

ولكن نقطة التحول الأساسية هي حادثة المجتهدين التي حصلت له ولبعض أصحابه سنة (١٣١٣هـ)، وله من العمر ثلاثون عامًا، وسيأتي ذكرها بالتفصيل بقلمه؛ حيث إنَّ أصحابه استُجْوِبوا جميعًا، وأُطلق سراحهم، **إلَّا القاسمي**، فقد أُوقف ليلة واحدة في دائرة الشرطة، ثُمَّ أُخلي سبيله في الصباح، وقد سبق ذكر أنَّ الدولة كانت قد ضيقت الخناق على مثل هذه الأمور، فإنَّ مذهب الدَّولة الرَّسمي هو المذهب الحنفي، وسعى الوشاة به وقلَّبوا له الأمر حتى ادَّعوا أنَّه أتى

---

(١) ولذا ترى القاسمي ينكر حال أهل الطرق، فيقول: «مشايخ الطرق: هم كالعمود الكهربائي، يبث الجنون في رؤوس الناس، ويلجئهم على الإتيان بمظاهر مرض الصرع العام، والذهول العقلي، وتكرار لفظ: (الله) إلى ما لا نهاية، ينقلب إلى الجنون الروحاني، أو الماليخوليا» من مذكراته سنة (١٣٢١هـ).
وقال على طرة نسخته من «الروضة الندية»: «من العادة أن يلجأ ضعيف العلم إلى التصوُّف كما يلجأ فاقد المجد إلى الكبر، وكما يلجأ قليل المال إلى زينة اللباس والأثاث».

(٢) «أديب علماء دمشق الشيخ عبد الرزاق البيطار» لراقمه (ص٢٥).

بمذهب جديد في الإسلام هو «المذهب الجمالي»، ولا يخفى أن مثل هذه التهمة الخطيرة في ذلك العصر كانت سَتُودي به إلى غياهب السجون، ولكنَّ الله سلَّم.

فهذه بداية تحول القاسمي، ويدل على ذلك قوله في رسالة منه إلى العلاَّمة الشيخ نعمان الألوسي سنة (١٣١٦هـ): «ولله المشتكى من جماعة نبذوا الآثار ظهريًّا، وأضحى مذهب السلف بينهم نسيًا منسيًّا، خلا جماعة من أحبابنا الصَّادقين؛ فإنهم في مشربهم السَّلفي عِقْد الشَّام الثمين، وقد نالتنا وإياهم محنة سلفت من نحو ثلاثة أعوام، وربما بلغت المسامع العليَّة، حيث كان لها نبأٌ انتشر في تلك الأيام، فوقانا المولى بفضله شرّها، وانتقم الحق تعالى بعدها ممن أراد لجماعتنا ضرها. . .».

ولقد غبطه على هذا التحوُّل صاحبُه وصديقُه العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار، حيث كان يقول له: «يا جمال. . . أحمد الله على أن انتهيت وأنت في سعةٍ من عمرك، ولحيتك سوداء؛ فتتمكن من الاستمتاع بعقلك، ويتسع لك الوقت لنشر فضلك. . .»[1].

ثُمَّ سار القاسمي على هذا المنحى شيئًا فشيئًا إلى أن كان من كبار المصلحين، وصبر على ما لقيه من المحن حتى وصل به الحال أن يتسلح بالمسدس شقيقه محمَّد عيد؛ إذ يقول رحمه الله تعالى في إحدى

(١) «أديب علماء دمشق عبد الرزاق البيطار» لراقمه (ص٢٣).

مكتوباته: «وتسلح أخي بالمسدس طول تلك المدة محافظةً عليَّ وعليه في ذهابه وإيابه وبقاء أهلنا وأصحابنا في أكدار وأحزان ولا أحزان المآتم».

* * *

عائلة القاسمي العلمية وأثرها عليه

نشأته في بيت علميٍّ وأسرةٍ كريمةٍ

جدّه: الشيخ قاسم بن صالح الدِّمشقي الحلاق:

نشأ القاسمي في أسرة علمية عريقة في العلم والدِّين والأدب، فجدُّه المباشر هو الشيخ الفقيه الأمجد قاسم بن صالح الشهير بالحلَّاق الدِّمشقي، وخيرُ مَن يعرِّفنا به هو ابنه الشيخ محمَّد سعيد، وحفيدُه الشيخ جمال الدِّين، يقول الشيخ محمَّد سعيد القاسمي:

«هو بَرَكة الشَّام، العَالِمُ العَامِلُ والأُستاذ الفقيه الكامل، الوَرِع الصَّالح، المُرْشد النَّاصح، الشيخ قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبـي بكر الشهير بالحلَّاق، الدِّمشقي.

كان رضي الله عنه عالمًا فقيهًا مُحدِّثًا، وَرِعًا صالحًا، عفيفًا زاهدًا، لطيف المُحاضرة، جميل المُذاكرة، غزير الحكايات العجيبة، والنَّوادر الغريبة، مع الصِّدْقِ والأمانة والاحتشام، والتمسك بالسُّنَّة المُطهَّرة بأوثق زمام، حسن الخَلْق والخُلُق، لَيِّنَ الجانب، بارًّا بأهله وأرحامه، وكان شيوخه يثنون عليه خيرًا ويُحِبُّونه، ويصلونه بأنواع

البِرِّ ويُواصلونه، وإذا تأخَّر لِعُذْرٍ تفقَّدوه، وإن أتاهم احتفلوا به وأجلُّوه.

وُلِدَ ــ رحمه الله تعالى ــ سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين (١٢٢١هـ)، ونشأ في حِجْر والده حتى شبَّ، وتعلَّم القرآن».

ثُمَّ قال: «وأخذ طرفًا من العلوم العقلية عن عُمدة علماء الدِّيار الشَّامية، أبـي حنيفة زمانه، وسيبويه وقته وأوانه، الأُستاذ الشيخ سعيد أفندي الحلبـي، فقرأ عليه جُملاً مِن فنِّ المعقول، وشيئًا من الآداب والأُصول، ولاحت عليه علامة النَّجابة والقَبول، وكان محبوبًا عنده، ومُقدَّمًا ومحترمًا لديه ومُكَرَّمًا. . .

وأخذ الحديث وغيره عن خاتمة المُحَدِّثين، وبقية السَّلفِ الصَّالحين، علم الأعلام، وشيخِ الشيوخ في الشَّام، العلاَّمة الأُستاذ عبد الرَّحمن الكُزْبري، فإنَّه أخذ عنه «صحيح البخاري ومسلم» روايةً ودرايةً، وبقية الكتب الستَّة رواية، وحضر عليه كثيرًا من كتب الفقه وغيرها من العلوم كالتوحيد، والتفسير، ولازمه ملازمة فطِنٍ نحرير، وأجازهُ بجميع ما تجوز له روايته، وتصحّ عنه درايته، وكتب له بخطِّهِ إجازةً بديعةً حاويةً. . .».

ثُمَّ ذكر أَنَّه رحل إلى الحَجِّ، واجتمع ببعض علماء الحرمين، ومنهم: الشيخ يوسف المالكي الصَّاوي، المدرِّس بالمسجد النَّبوي، وقد كتب له الإجازة بخطه وختمها بختمه.

ورحل إلى مصر القاهرة مرَّات، واجتمع ببعض أعيان علمائها الثِّقات، من أجلِّهم: الشيخ الإمام ذو التآليف العديدة،

والتصانيف المُفيدة، رئيس علماء الأزهر الأُستاذ الباجوري إبراهيم، فإنه اجتمع به، وأثنى على فضله وأدبه، وكتب له عام (١٢٧٠هـ) إجازةً بها يتغالى. ومنهم: الفاضل النِّحرير، والعلاَّمة الكبير الشيخ مصطفى المُبلِّط؛ فإنه اجتمع به وأجازهُ بخطه تحت إجازة الشيخ الباجوري...»[١].

وقال حفيده الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «ولزم مُحَدِّثَ عصره الشيخ عبد الرحمَّن الكُزبري، وكان من أخصِّ تلامذته وأحبائه، وكان له أجلَّ سمير في كل رحلة ومسير، وكان ينوِّه بفضله وصلاحه، وينشر ألوية نبله ونجاحه، حتى إنه مرَّة قرأ في جامع السِّيبائية «رياض الصالحين» فقال له شيخه المذكور: أخبرني ليلة ختم الكتاب لأحضره مع بعض المحبين وليكن ختمك له في جامع السِّنانية لا في جامع السِّيبائية. ثُمَّ ذكر لشيخه ليلة الختام، فدعا له رحمه الله سائر علماء الشَّام، وصار محفلاً لم تسمع بنظيره الأيام، وقال له: أردت التنويه بفضيلتك، وإعلاء مزيَّتك»[٢].

وقال أيضًا: «أمَّ في جامع حسَّان وخطب به من سنة (١٢٥٨هـ) إلى أن عُيِّنَ إمامًا في جامع السِّنانية سنة (١٢٧٩هـ)، فأقرأ فيه بين العشائين في الحديث، وصباحًا في الفقه والعربية، وتفقَّه به من

---

(١) «الثغر الباسم بترجمة الشيخ قاسم» لابنه محمَّد سعيد القاسمي (ص٣ ــ ١٠، نسخة المكتبة القاسمية).

(٢) انظر: «آل القاسمي» لراقمه (ص٣٥).

لا يُحصى، وكان محبًّا للخاصَّةِ والعامَّةِ، ورعًا، متعفِّفًا، على جانب من الصلاح والقناعة. . . »[1].

مؤلَّفاته:

يقول ابنه الشيخ محمَّد سعيد القاسمي: «له تآليف مفيدة، وأشعار حميدة».

ويقول حفيده الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وله مؤلفات كثيرة، منها: «إِعانة النَّاسِكِ على أَداءِ المَناسك».

ومنها: «التَّوسلات الحُسنى بنظم أسماء الله الحسنى»، مشتملة على أوراد بهية، وأدعية إلهامية، نَظَمَ فرائدها في ثلاثة عقود، وقد سافر مرَّة بعضُ تلامذة سيدي الجَدِّ إلى مِصر، وكان معه نسخة منها، فوقعت بيد أحد علمائِها، وأعيان فضلائِها الشيخ أحمد الفيشي أبو مصلح؛ فأحبَّ شرحها، وشرع به حتى أكمله في نحو ثلاثين كراسة وسماه: «أنوار الكائِنات بما له تعالى من الأسماء والصفات».

ومِن مؤلَّفاته:

رسالة «فيمن حَجَّ البيتَ الحرام ومات، وعليه ذنوبٌ صغائرُ وكبائرُ وتبِعات».

ورسالة في «شرح آخر حديث من رياض الصالحين».

---

(١) «طبقات مشاهير الشافعية من أعيان القرن الثالث عشر، والرابع عشر من الدِّمشقيِّين» له (ص٨).

ومولدٌ سمَّاه: «مورد النَّاهل بمولد النَّبـيِّ الكامل».

وتضمين البُرْأة سماه: «الدُّرَّة الزاهرة بتضمين البُرْءة الفاخرة»، وقد طُبع في مطبعة سورية مع بعض قصائد نبوية سنة (١٢٨٤هـ).

وله «تشطير لامية ابن الوردي».

و «نظم الآجرومية»، بيد أنهما لم يتما.

وله غير ذلك من التحارير المُفيدة والفوائد الحميدة[١].

وفاته:

يقول ابنه الشيخ محمَّد سعيد القاسمي: «وكان انتقاله ليلة الثلاثاء سلخ شهر شعبان سنة ألف ومائتين وأربع وثمانين، وقد أَسِفَ لوفاته أهلُ الشَّام الخاصُّ والعامُّ، وخرجت جنازته بمشهدٍ حافلٍ كبير، وصُلِّيَ عليه في السِّنانية...».

وقال حفيده الشيخ جمال الدِّين: «لم يزل على طريقته الحسنة، وحالته المُستحسنة، مُشْرِقًا في مطالعه السَّنية، حتى ألَمَّ بسنا عمره سِرارُ المنية، وذلك ليلة الثلاثاء ٢٨ شعبان عام (١٢٨٤هـ)، وصُلِّي عليه في جامع السِّنانية، ودُفِنَ في مقبرة البَابِ الصغير رحمه الله»[٢].

هذا هو جدّ القاسمي، أحد أركان العلم في دمشق الشَّام ومن تدور عليه الرِّواية عند المتأخرين من علمائها.

---

(١) «الثغر الباسم» (ص١٦)، و «تعطير المشام» لحفيده جمال الدِّين (١/ ٤٦٠).

(٢) ولمزيد معرفة ترجمته كاملة وتلاميذه وصفاته وإجازاته، انظر: «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل»، لراقمه (ص٢٥ ــ ٤٤).

وقد ذكر القاسمي أنَّ جدَّه رآه حين ولادته ووضعه في حِجْرِه، ودعا له بالبركة والصلاح . . .

الشيخ محمَّد سعيد القاسمي:

أمَّا والد جمال الدِّين فهو أديب العلماء، وعالم الأدباء: الشيخ محمَّد سعيد، وستأتي الإشارة إلى شذرة من ترجمته، إذْ كان له الأثر الكبير في توجيه ابنه الشيخ جمال الدِّين إلى الرقيِّ في مدارج العلم والكمال، فهو يقول عن والده: «وكم غذَّاني بعوارف معارفه الحسان، وأذاقني من حلاوة آدابه ما تجهد فيه يد الإمكان . . . ، وبذل قصارى اجتهاده في إمدادي وإسعادي . . . ».

وقال معترفًا بفضله، وذاكرًا لعجزه عن شكر والده: «وإذا كان سيدي الوالد المفضال، في حُسْنِ رعايته على ذلك المنوال، فأنَّى للحقير أن يؤدِّي شُكرَ سيِّده المفضل عليه، والموصل بحنانه كل خير ومعروف إليه، وأيُّ ابنٍ حَظِيَ لدى أبيه بما حظيت، أو رُبِّي كما ربيتُ، أو رَقَىٰ على يده كما رقيت، ولا يعلم أنِّي مقصِّرٌ في وفاء حقِّ الثَّناء، فالعين بصيرة، ويد اليراعة عن تدارك الواجب قصيرة . . . »[1].

* * *

(١) وقد أفرد ابنه ترجمته وشعره بكتاب مستقل عنوانه: «بيت القصيد في ترجمة الإمام الوالد السعيد» وهو مطبوع بعناية راقم هذه السطور ضمن كتاب «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» من (ص١٩٧ ـ ٢٢١).

فالقاسمي أصيل المنبت نجل الكرام الأكابر:

نَجْلِ الأَفاضِلِ من أُناسٍ قد سَمَوا   سِبْطِ الفِخامِ من الأُولى وأَعاظِمِ(١)

هذا بالنسبة لجدِّه ووالده.

أعمامه:

أمَّا أعمامه فهم: الشيخ عبد الرحمن، والشيخ محمَّد، والشيخ عبد الغني.

وهم على قدرٍ من العلم والفضل والتحصيل والعناية بالسير على خُطَىٰ والدهم الشيخ قاسم.

كما اشتهر من عائلة القاسمي ابن عمِّه الشيخ الموهوب أحمد القاسمي، وابن الشيخ جمال الدِّين ظافر القاسمي.

فهم بيت علم ومجد، تعدَّد فيهم العلماء والصلحاء والأدباء، وفيهم(٢) يقول القائل:

بَنُو القاسمي في الشَّام يا فَضْلَ جَدِّهِمْ   وفَضْلَ أبيهم مَنْ تجلَّت كواكِبُهْ

سَلَامٌ لَهُمْ ما الكونُ ضاءَ بنورِهِمْ   مشارقه يَوْمًا وَيَوْمًا مغارِبُهْ(٣)

فهذا عامل أساسي من عوامل نبوغ القاسمي، وتدرجه في معالي الرتب ورفيع المنزلة.

---

(١) من قصيدة للزركلي ستأتي (ص٣٠٠).

(٢) أفردت لتراجم نوابغ هذه العائلة كتابًا مستقلاً بعنوان: «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» وهو من مطبوعات دار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٠.

(٣) «آل القاسمي» (ص١٠٥).

سياق ترجمة العلاّمة القاسمي الذاتية

لا شكَّ أنَّ الإنسانَ أعلم بنفسه من غيره، وصاحبُ الدار أعلم بما فيها، وقد ترجم العلاَّمة القاسمي لنفسه، وهو ـ كما أشار إلى ذلك ـ مسبوقٌ مِنْ قِبَلِ جمعٍ من الأئمَّة الكبار ممَّن أفرد نفسَه بالترجمة، أو أوردها في ضمن كتاب له في التراجم حينما يصل إلى الحرف الذي فيه اسمه أو في آخر الكتاب.

يقول السيوطي: «ما زالت العلماء قديمًا وحديثًا يكتبون لأنفسهم تراجم؛ ولهم في ذلك مقاصد حميدة، منها: التحدُّث بنعمة الله شكرًا، ومنها: التعريف بأحوالهم ليقتدى بهم فيها، ويستفيدها من لا يعرفها...»[1].

وسيرىٰ المُطالع في هذه الترجمة[2] أنَّ القاسمي قد جلَّى لنا شيئًا

(١) «التحدُّث بنعمة الله» للسيوطي (ص٣٩).

(٢) رجَّح الأُستاذ الأديب ظافر القاسمي أن والده العلاَّمة جمال الدِّين كتب هذه الترجمة وهو في نحو الثالثة أو الرابعة والثلاثين من عمره. «جمال الدِّين القاسمي وعصره» (ص٣٢).

من سيرته العلمية الزاخرة بالجدِّ والاجتهاد، ولا سيَّما في طلبه للعلم، وسيره الحثيث في سبيله؛ وذكره لشيوخه وأساتيذه الذين أخذ عنهم، وما لقي من محنة «حادثة المجتهدين» سنة (١٣١٣هـ)، وابتداء تدريسه في جامع السِّنانية[١]، كل هذا بأسلوب مُحكم البنيان، سلسل البيان، مَسوقًا بطابع التواضع، والتَّحدث بنعم الله تعالى، واللهج بفضله ومننه عليه وعدم التَّرَفُّع.

قال رحمه المولى رحمةً واسعة:

* * *

---

(١) انظر تعريفًا به مسهبًا: «آل القاسمي» لراقمه (ص٤٧).

(مقدمة في ذكر من ترجم نفسه من الائمة المتقدمين الذين)
(اقتفى العبد الضعيف في ذلك اثرهم)

منهم الامام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور والشيخ ياقوت الحموي في معجم الادباء
ولسان الدين ابن الخطيب في تاريخ غرناطة وتقي الدين الفارسي في تاريخ مكة
وابو شامة في الروضتين وهو اورعهم وازهدهم وابن خلدون في آخر تاريخه
والحافظ ابو الفضل ابن حجر العسقلاني في قضاة مصر والحافظ السخاوي تلميذه
في الضوء اللامع والحافظ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة والعارف
الشعراني في المنن والحافظ ابن طولون في الفلك المشحون والعلامة اليوسي
المغربي في محاضراته ~~والسيد [illegible] الحسيني الدمشقي في ايقاظ الهمم~~
والشهاب الخفاجي في الريحانة والمؤرخ المحبي في نفحة الريحانة والنجم الغزي
في بلغة الواجد وغيرهم ممن لا يحصى

والمسند الشهاب الشيخ اسمعيل العجلوني
في اول ثبته حلية اهل الفضل والكمال
والشهاب احمد المنيني في ثبته القول
السديد

صورة بداية سياق ترجمته الذّاتية بقلمه.

مقدّمة في ذكر مَن ترجم نفسه مِن الأئمّة المتقدِّمين الذين اقتفى العبدُ الضَّعيفُ في ذلك أثرهم

منهم: الإمام عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور»[١]، والشيخ ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»، ولسان الدِّين ابن الخطيب في «تاريخ غرناطة»[٢]، وتقي الدِّين الفاسي في «تاريخ مكة»[٣]، وأبو شامة في «الروضتين»[٤]، وهو أورعهم وأزهدهم، وابن خلدون في آخر «تاريخه»[٥]، والحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في «قضاة مصر»[٦]، والحافظ السخاوي تلميذه في «الضوء اللامع»[٧]،

---

(١) «تاريخ نيسابور» لعبد الغافر الفارسي (ص٧٥٤).

(٢) «الإحاطة في تاريخ غرناطة» للسان الدِّين ابن الخطيب (٤/ ٤٣٨ وما بعدها).

(٣) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدِّين الفاسي المكي (١/ ٣٣١ ـ ٣٦٣).

(٤) «المذيل على الروضتين» لأبي شامة المقدسي (ص٣٧ ـ ٤٥).

(٥) «العبر» لابن خلدون (٧/ ٧٩٥).

(٦) «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر (١/ ٨٥).

(٧) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي (٨/ ٢)، وقد أفرد لنفسه ترجمة حافلة في كتابه المسمَّى بـ «إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والرَّاوي للإعلام بترجمة السخاوي»، وقد وقفت له على نسختين: الأُولى: نسخة =

والحافظ جلال الدِّين السيوطي في «حسن المحاضرة»[1] والعارف الشعراني في «المنن»[2]، والحافظ ابن طولون في «الفُلْك المشحون»[3]، والعلامة اليوسي المغربي في «محاضراته»[4]، والشهاب الخفاجي في «الريحانة»[5]، والمؤرخ المحبي في «نفحة الريحانة»[6]، والنجم الغزي في «بلغة الواجد»[7]، والمسند الشهير الشيخ إسماعيل العجلوني في أول ثَبَتِه «حلية أهل الفضل والكمال»[8]، والشهاب أحمد المنيني في ثبته «القول السديد»[9]، وغيرهم ممن لا يُحصى.

= آيا صوفيا بإستانبول برقم (٢٩٥٠)، والأخرى في ليدن برقم (١١٦٠).

(١) «حسن المحاضرة» (١/ ٣٣٥)، وقد أفرد نفسه بترجمة بعنوان: «التحدث بنعمة الله».

(٢) أفرد الشعراني ترجمة لنفسه في كتابه: «لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق» وهو مطبوع.

(٣) ترجم ابن طولون لنفسه في كتابه: «الفلك المشحون في أحوال محمَّد بن طولون» وهو مطبوع بعناية محمَّد خير رمضان يوسف.

(٤) «المحاضرات» للحسن بن مسعود اليُوسي (١/ ٣٠).

(٥) «ريحانة الألبا وزَهرة الحياة الدُّنيا» للشهاب الخفاجي (٢/ ٣٢٧).

(٦) «نفحة الريحانة» (٥/ ٤٩).

(٧) ترجم نجم الدِّين الغزي لنفسه في كتابه: «بلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد»، كما ذكر ذلك عنه المحبي في «خلاصة الأثر» (٤/ ١٨٩) وشرف الدِّين الأنصاري في «نزهة الخاطر وبهجة الناظر» (ص١٥٩).

(٨) «حلية أهل الفضل والكمال باتِّصال الأسانيد بِكُمَّل الرجال» لإسماعيل العجلوني (ق ٣ وما بعدها ــ نسخة عارف حكمت ٣٠٧).

(٩) «القولُ السَّديد في اتِّصال الأسانيد» لأحمد المنيني (٨ وما بعدها نسخة عارف حكمت رقم ٤٠، ٤٢ وما بعدها نسخة الظاهرية ٣٧٠٧).

ذكر نسب الفقير

نهاية ما يعلم منه هو ما يذكره، وهو أنَّه: محمَّد جمال الدِّين أبو الفرج بن محمَّد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبـي بكر المعروف بالقاسمي، نسبةً إلى جدِّه المذكور، وهو الإمام، فقيه الشَّام وصالحها في عصره، الشيخ قاسم المعروف بالحلاَّق، ولا يعرف من أجداده من خدم العلم حق الخدمة إلاَّ جده المنوَّه به، وهو الذي غرس المجد لسلالته رحمه الله تعالى[1].

ذكر ولادته

يقـول: ولادتي ـ كمـا رأيتهـا بخـط والدي الماجـد، وخالـه العـالم النِّحريـر الشيـخ حسـن جُبينـة الشهيـر بالدسوقي ـ قد كانت فـي ضحـوة يـوم الاثنيـن لثمـان خلـت مـن شهـر جمـادى الأولـى سنـة ثـلاث وثمـانين ومائتين وألـف، بوطننـا دمشـق الشَّام، منبـت الآبـاء، ومستقـر الأجـداد، فـي محلـة القنـوات[2]، وقـد رآه جـدّه

(١) كتب الشيخ جمال الدِّين هذا الكلام في وقت مبكر من حياته، وقد تتبع نسبه بعد ذلك، وألف فيه كتابه: «شرف الأسباط»؛ كما أن أُسرته من بعد وفاته تابعوا ذلك، وقد ثبت لهم النسب النبوي من جهة الآباء والأمهات. انظر: كتاب: «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» (ص٢٣٨).

(٢) حـي القنـوات: حـي كبيـر إلـى الغـرب مـن منطقـة الـدرويشيَّة، سُمِّـي الحـيّ بـذلـك إمَّـا نسبـةً لنهـر القنـوات الـذي يمـرّ بـه، أو بسبـب وجـود قنـوات ميـاه رومـانيـة قـديمـة؛ ويظـن أن أول نشـوء لهـذا الحـي كـان فـي عهـد الممـاليـك، وقـد تـوسـع هـذا الحـي فـي أواخـر العهـد العثمـانـي. انظـر: «مـرآة الشَّـام» =

المتقدّم ــ يعني الشيخ قاسم ــ ووضعه في حجْرِه، ودعا له بما يرجو حصول بركته.

* * *

= لعبد العزيز العظمة (ص٦٣ ــ ٦٥)، و «معالم دمشق التاريخية» لأحمد الإيبش والشهابي (ص٤٥٦).

ذكر نشأته ومشيخته

قد رُبِّي في كنف والده[1]، وقرأ القرآن على الحافظ المُعمَّر الشيخ عبد الرحمن بن علي بن شهاب المصري نزيل دمشق، وكان يعلِّم الأطفال في حجرة قُبالة الشاذبكية[2] في محلة القنوات إلى أن توفي سنة (١٣١٦هـ)، ودُفن بمقبرة الدحداح، وبعدما كبرت حضر كثيرًا من مجالس دروسي الفقهية والحديثية والتفسيرية، وكان ربما أراد تقبيل يدي، فأجل ذلك لمشيخته، فينشدني صدر مواليًا مصري وهو:

كَمْ مِنْ صغيرٍ انتشا باسِ الكبير إيدَهُ

وبعد أن ختمت القرآن، أخذت في تعلم الكتابة عند الأُستاذ الكامل، الشيخ محمود أفندي بن محمَّد بن مصطفى القرصي نزيل دمشق، من صُلحاء الأتراك وكِرامهم، كان قاطنًا في تربة درويش باشا

(١) تكلَّم القاسمي في بعض مواطن ترجمته بصيغة الغائب على طريقة بعض مَن ترجم لنفسه من المتقدِّمين.

(٢) أشار إلى هذا الجامع محمَّد أسعد طلس في «تذييله على ثمار المقاصد في ذكر المساجد» لابن عبد الهادي (ص٢٣٠)، وذكر أن في الجامع كُتَّاب أطفال. . .

في القبة التي على الساباط، جوار جامع الدرويشية على الجادة، وبها كان يعلِّمُ الأطفال وغيرهم.

فمكثت عنده نحوًا من ثلاث سنين، إلى أن أتقنت الخط بالقلمين[1]، وذلك في أثناء سنة خمس وتسعين ومئتين وألف.

ثُمَّ انتقلت إلى مكتب في المدرسة الظاهرية، في إيوانها القبلي، وكان معلِّمه العالمُ الفاضلُ الشيخ رشيد أفندي قَزِّيها، الشهير بابن سنان. فقرأتُ عنده في المكتب المذكور مقدمات فنون شتى، قراءةَ جِدٍّ واجتهادٍ، من توحيدٍ، وصرفٍ ونحوٍ، ومنطقٍ وبيانٍ وعَروضٍ وغيرها.

وكنت في خلال ذلك شارعًا في قراءة المختصرات الفقهية والنحوية أيضًا، عند سيدي الوالد زِيدَ فضله، صباحًا في دارنا مع طلبة كثيرين، ومساءً أيضًا في جامع السِّنانية، وفي مجالسه الحديثية.

ثُمَّ جوَّدتُ القرآن المجيد على شيخ القراء بالشَّام، الشيخ أحمد الحلواني عليه الرحمة والرضوان. وقد ترجمته في تاريخي «تعطير المشامّ، في مآثر دمشق الشَّام». فقرأتُ عليه ختمة وأكثر من نصف أخرى، على رواية الإمام حفص عليه الرَّحمة، وحضرته من كتب التجويد في «الميدانية»، و «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام مرتين، وللشيخ خالد الأزهري مرة، وقرأت عليه معظم شرحه على منظومته في التجويد المسمى بـ «اللطائف البهية». كل ذلك صباح الثُّلاثاء والجمعة، ما عدا حصَّة القراءة من التنزيل العزيز، فإنه صباح كُلِّ يوم.

(١) أي الرقعة والفارسي.

وكنت أخرج من دار الأُستاذ المذكور إلى دار شيخنا مُسْنِدِ الشَّام، وعُمدة فُضلائها الأعلام، الشيخ سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد العطَّار، لقراءة حصة من الكتب المعينة وقتئذٍ، وقد حضرته في «شرح الشُّذور» للمصنِّف، مع مراجعة الحواشي، وابن عقيل، و «شرح القطر» للفاكهي، و «مختصر السعد»، و «جمع الجوامع»، و «تفسير البيضاوي»، و «الشنشوري»، مع مطالعة حواشي كلٍّ، وكذا حضرته في حصص من «حواشي البُجَيْرمي» على «الإقناع»، و «الأربعين العجلونية» وأسمعته الدور الأعلى[1].

وحضرته في حصة وافرة من «صحيح البخاري» روايةً، كلُّ ذلك في داره داخل باب السلام.

وسمعت منه مجالس من «البخاري» درايةً، في الجامع الأموي، ليلة الثلاثاء والجمعة بين العشاءين، وفي خميس رجب وشعبان في التكية السليمانية سنين عديدة.

وحضرته في كتب وافرة في المشهد المعروف الآن بمشهد الحسين في الجامع الأموي؛ وذلك في رمضان، خاصَّةً بعد العصر؛ فمنها حصة من «الموطأ» و «الشفا» بتمامه، ومعظم «مصابيح السُّنَّة»، و «الجامع الصغير»، و «الطريقة المحمَّدية»، وغيرها.

وكتب لي إجازةً عامَّةً بجميع مروياته سنة إحدى وثلاثمائة وألف.

---

(١) سيأتي إن شاء الله التعريف ببعض هذه الكتب.

فصل

ومن كبار مشايخي العلَّامة النِّحرير الشيخ بكري بن حامد بن أحمد العطَّار، عمُّ شيخنا المتقدّم، حضرته في فنون متعدِّدة منها: «شرح الشَّافية» للسيد عبد الله[1] بتمامه، و «شرح العَزِّي» للسعد[2]، و «شرح لامية الأفعال» لِبَحْرَق[3]، و «إيساغوجي» وشروحه للفناري، وشيخ الإسلام[4]،

---

(١) «الشافية» في التصريف لأبي عمرو بن الحاجب النحوي، وهي مشهورة، والشرح المذكور هو للسيد الشريف عبد الله بن محمَّد الحسيني المعروف بنقره كار، المتوفى في حدود سنة (٧٧٦هـ)، وشرحه المذكور، طُبع أكثر من مرة طبعات قديمة منها: في المطبعة العامرة في إستانبول سنة (١٢٩٣هـ). «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٠٢١)، و «معجم المطبوعات العربية» لسركيس (١/ ٧٧٥).

(٢) «التصريف العَزِّي» أو «العَزِّي في التصريف» لعز الدِّين أبي المعالي عبد الوهاب بن إبراهيم بن أبي المعالي الزنجاني المعروف بالعَزِّي، شرحه أكثر من واحد؛ فمن شروحه: «شرح التصريف العَزِّي» لسعد الدِّين مسعود بن عمر التَّفْتازاني، المتوفى سنة (٧٩٣هـ)، طبع في الميمنية بمصر سنة (١٣٠٧هـ)، ومن قبلها في إستانبول. «معجم المطبوعات» (١/ ٦٣٧، ٩٧٧).

(٣) «لامية الأفعال» لابن مالك، وشرحه لجمال الدِّين محمَّد بن محمَّد بن عمر بَحْرَق الحضرمي، المتوفى سنة (٩٣٠هـ)، وهو مطبوع في مصر.

(٤) «إيساغوجي» مختصر منسوب لأثير الدِّين الأبهري وهو في المنطق، ولفظة: «إيساغوجي» يونانية، وهو من أوائل الكتب المطبوعة في العالم، فقد طبع في رومية سنة (١٦٢٥م)، ومعه ترجمة لاتينية، ثم طبع في الهند سنة (١٢٦٨هـ)، وفي مصر عدة طبعات، وقلما نظرت في فهرس مكتبة عامَّة أو خاصَّة من مكتبات المخطوطات إلَّا وله فيها نسخة. وشرحه الفناري ــ نسبةً إلى الفنار، وهي =

و «مُغني الطُّلَّاب»[1]، و «المقصود»[2]، و «شرح الشَّمسية» للقطب مع حواشيه للسَّيد، ومراجعة «حواشيه» للسيلكوتي[3].

= المنارة، وهي قسم من أقسام القسطنطينية ــ، وهو شمس الدِّين محمَّد بن حمزة الرومي المشهور بالفناري، المتوفى سنة (٨٣٤هـ)، وشرحه بعنوان «شرح إيساغوجي»، وقد ذكر في آخره أنه حرَّره في يوم واحد، وهو مطبوع في الهند وإستانبول سنة (١٣٠٤هـ)، كما شرحه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، المتوفى سنة (٩٢٥هـ)، وهو مطبوع في مصر ببولاق سنة (١٢٨٢هـ). انظر: «معجم المطبوعات» (١/ ٢٩١، ٤٨٥، ٢/ ١٤٦١)، و «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» لإدوارد فنديك (ص١٩٩).

(١) هو من شروح إيساغوجي في المنطق لمحمود بن حافظ المَغْنيسي الرومي، المتوفى سنة (١٢٢٢هـ)، وهو مطبوع في إستانبول سنة (١٢٦٧هـ)، و(١٣١٠هـ). «معجم المؤلفين» لرضا كحالة (١٢/ ١٥٨)، و «معجم المطبوعات» (٢/ ١٧٦٩).

(٢) «المقصود» في الصرف نُسِب لأبي حنيفة، وقيل: لغيره، كما في «كشف الظنون» (٢/ ١٨٠٦)، وله شروح كثيرة مطبوعة، في القاهرة سنة (١٢٤٤هـ)، وإستانبول سنة (١٢٩٣هـ). «معجم المطبوعات» (١/ ٣٠٤).

(٣) «الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية» لنجم الدِّين علي بن عمر القزويني الكاتبي، طبعت أكثر من مرَّة طبعات قديمة في: إستانبول سنة (١٢٦٣هـ)، وفي كلكته بالهند سنة (١٨١٥م)، وشرحه قطب الدِّين محمَّد بن محمَّد الرَّازي، المتوفى سنة (٧٦٦هـ)، وقد طبع طبعات متعددة في الهند ومصر وإستانبول، وله حاشية للسيد الشريف علي بن محمَّد الجرجاني، المتوفى سنة (٨١٦هـ)، وهي مطبوعة في الهند وإستانبول. وحاشية عبد الحكيم بن شمس الدِّين السيلكوتي، المتوفى سنة (١٠٦٧هـ)، مطبوعة في إستانبول سنة (١٢٦٦هـ). انظر: «معجم المطبوعات العربية» (١/ ٦٧٩، ١٠٦٨، ٢/ ٩١٩، ١٥٣٨، ١٩٨٣)، و «كفاية القنوع» (ص١٩٨).

وحضرته في حصص من «ملا جامي»، مع «حواشي العصام»[١]، و «مغني اللبيب»[٢]، و «مختصر السعد»[٣]، «والتَّحرير»[٤]في الفقه، و «الشُّذور»[٥]، و «حواشي السَّمرقنديَّة»[٦] في البيان، و «حواشي السَّنوسيَّة»[٧]، و «الجوهرة»[٨] في التوحيد، وسمعت منه حصةً وافرةً

---

(١) «شرح ملا جامي على الكافية» لنور الدِّين ملا عبد الرحمَّن بن أحمد الجامي، المتوفى سنة (٨٩٨هـ)، ويُسَمَّى كتابه هذا أيضًا: «الفوائد الضيائية»؛ وذلك لأنه ألَّفه باسم ولده ضياء الدِّين، وهو مطبوع في الهند وإستانبول، وعليه حاشية لعصام الدِّين إبراهيم بن محمَّد الإسفراييني، المتوفى سنة (٩٥١هـ)، وهي مشهورة بعنوان: «عصام على الجامي» طبعت في إستانبول سنتي (١٢٥٦هـ)، (١٣٠٦هـ). «معجم المطبوعات» (١/ ٦٧٢، ٢/ ١٣٣١).

(٢) «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاري النَّحوي الحنبلي، مشهور مطبوع عدَّة طبعات، مِن أقدمها سنة (١٢٧٤هـ) في طهران.

(٣) «مختصر المطول» في البلاغة لسعد الدِّين مسعود بن عمر التفتازاني، مطبوع عدَّة طبعات، مِن أقدمها: سنة (١٢٢٨هـ) في الهند. «معجم المطبوعات» (١/ ٦٣٨).

(٤) «تحرير تنقيح اللباب» في الفقه الشافعي لزكريا الأنصاري، طبع مع شرحه «تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب» لمؤلفه أيضًا، وذلك في مطبعة بولاق سنة (١٢٩٢هـ). «معجم المطبوعات» (١/ ٤٨٥).

(٥) يعني «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» لابن هشام، مطبوع مشهور.

(٦) «السَّمرقندية» في البيان للسَّمرقندي، وقد اعتنى بها جمع من العلماء فعلقوا عليها مجموعة من الحواشي والشروح. انظر لها إن شئت: «اكتفاء القنوع» (ص٣٥٩).

(٧) ألَّف محمَّد بن يوسف السنوسي في معتقد الأشاعرة رسالتين كبرى وصغرى وهي التي سمَّاها: «أم البراهين والعقائد»، وقد طبعت مرارًا وعليها عدة شروح أحدها للمؤلف نفسه وحواشٍ أخرى مطبوعة.

(٨) «جوهرة التوحيد» لإبراهيم اللقاني الأشعري، طبعت كذلك مرارًا.

من «البخاري»، ومعظم «مسلم»، و «الموطأ»، و «سنن أبي داود»، و «ابن ماجه»، و «الشمائل»[1] وغيرها، وأجاز لي إجازةً عامَّةً، وكتبها في غرّة محرم سنة اثنتين وثلاثمائة وألف.

فصل

ومن أجلاء مشايخي صوفي عصره، الأُستاذ الجليل المُحقِّق، الشيخ محمَّد بن محمَّد الخاني النقشبندي، قرأتُ عليه حواشي كتب كثيرة بالحرف منها: «حاشية الخضري على الملوي على السَّمرقندية»[2]، و «حواشي الصَّبان على العصام على السمرقندية»[3]، و «حواشي ابن أبي شريف على العقائد»[4]، ونصف «حاشية الصبان على الأشموني»[5]،

---

(١) يعني «الشمائل المُحمَّديَّة» للإمام الترمذي صاحب «الجامع» المشهور، وهي مطبوعة عدَّة طبعات.

(٢) «حاشية الخضري على الملوي على السَّمرقندية» في علم البيان، وهي لمحمَّد الدمياطي الخضري، المتوفى سنة (١٢٨٧هـ)، وقد طبعت عدَّة طبعات في القاهرة.

(٣) ألف محمَّد بن علي الصبَّان، المتوفى سنة (١٢٠٦هـ) حاشية على شرح عصام الدِّين الإسفراييني على السمرقندية، وهو مطبوع في القاهرة. انظر: «معجم المطبوعات» (٢/ ١١٩٥).

(٤) كتاب «الفرائد في حل شرح العقائد» لمحمَّد بن ناصر الدِّين الشهير بالكمال ابن أبي شريف، ذكره صاحب «معجم المطبوعات» (٢/ ١٥٦٨) في ضمن مؤلفاته ولم يذكره في المطبوعات من كتبه.

(٥) ألَّف علي بن محمَّد الأشموني، المتوفى سنة (٩٠٠هـ) شرحًا على ألفية ابن مالك وقد حشَّاها محمَّد بن علي الصبَّان، وطُبعت أكثر من مرة في القاهرة.

و «حاشية الأمير على عبد السلام»[1] بتمامها، وقد قرأناها قراءة تحقيق وإتقان، وعلقت عليها بحمده تعالى تقريرات، وفي النيَّة تجديدها لولا الاشتغال الآن بالأهم، وهو خدمة التنزيل العزيز.

وحضرته في «حواشي عطية على شرح المنهج»[2]، وفي «حواشي ابن سليمان على شرح الحضرمية»[3]، وفي «حاشية الخضري على الشنشوري»[4]، و «حاشية عطية على شرح البيقونية»[5]

---

(١) عمل الشيخ محمَّد بن أحمد الأمير ـ المتوفى سنة (١٢٣٢هـ) ـ، حاشية على «إتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام اللقاني على جوهرة التوحيد» وبهامشها الشرح المذكور، وهو مطبوع في بولاق سنة (١٢٨٢هـ)، ثمَّ طُبع بعد ذلك أكثر من مرة. «معجم المطبوعات» (١/ ٤٧٤).

(٢) كتاب «منهج الطلاب» في فقه الشافعية لزكريا الأنصاري، مطبوع في القاهرة أكثر من مرة، أما حواشي عطية عليه فلم أقف على ذكرها في «معجم المطبوعات» ولا غيره من المصادر في هذا الشأن، والله أعلم.

(٣) «الحضرمية» مختصر في أحكام العبادات في الفقه الشافعي، مشهور بـ «المقدمة الحضرمية» لعبد الله با فضل الحضرمي، وقد شرحها أحمد بن حجر الهيتمي، لسنة (٩٧٤هـ)، وعمل محمَّد بن سليمان الكردي المدني ـ المتوفى سنة (١١٩٤هـ) ـ حاشيتين على شرح الهيتمي، وكلُّها مطبوعة بالقاهرة. «اكتفاء القنوع» (ص١٥٥).

(٤) «الشنشوري» هو عبد الله بن محمَّد الشنشوري الفرضي، والمشهور كتابه: «الفوائد الشنشورية»، طبع قديمًا في باريس سنة (١٨٩٠م). والخضري لعله الذي مضى ذكره، ولم يذكر صاحب «معجم المطبوعات» ولا غيره أن حاشيته على الشنشورية مطبوعة.

(٥) «المنظومة البيقونية» في مصطلح الحديث، معروفة مشهورة، وقد شرحها =

في المصطلح، و «حاشية العطار على شرح المقولات»[١]، وفي «شرح جمع الجوامع»[٢]، مع مراجعة حواشيه، وفي «حاشية الصبان على شرح آداب البحث»[٣].

وسمعت منه أبوابًا كثيرة من «البخاري»، ومن «شرحه للقسطلاني»، ومن «الموطأ» مع «شرحه» للزرقاني، ومن «سنن أبي داود» مع «حاشيته» للسندي، ومن «سنن الترمذي».

وسمعت منه «الأربعين العجلونية»[٤]، و«مسلسلات ابن عَقِيلة»[٥].

= محمَّد بن عبد الباقي الزرقاني، المتوفى سنة (١١٢٢هـ)، وعمل عليها عطية الأجْهوري حاشية طُبعت في القاهرة سنة (١٣٠٥هـ)، (١٣١٠هـ).

(١) «شرح المقولات» لأحمد السجاعي، وعليه حاشية حسن العطار المصري، المتوفى سنة (١٢٥٠هـ)، وقد طُبعا معًا في مصر سنة (١٢٨٢هـ)، (١٣٠٣هـ).

(٢) «جمع الجوامع» في أصول الفقه لتاج الدِّين السُّبكي، وعليه شرح مشهور لجلال الدِّين المحلِّي، المتوفى سنة (٨٦٤هـ)، وقد طُبع بهامش «جمع الجوامع» في مصر سنة (١٣٠٤هـ)، كما أنَّ عليه عدَّة حواشٍ، ينظر ذكرها وما طبع منها في «اكتفاء القنوع» (ص١٤٠).

(٣) للصبَّان محمَّد بن علي حاشية على شرح ملاَّ حنفي على الرسالة العضدية في آداب البحث، مطبوعة في مصر سنة (١٢٩٣هـ)، (١٣٠٣هـ)، (١٣١٠هـ).

(٤) نسبةً لصاحبها الشيخ إسماعيل بن محمَّد العجلوني، المتوفى سنة (١١٦٢هـ)، صاحب كتاب «كشف الخفاء»، والمُحدِّث تحت قبَّة النسر في الجامع الأموي. وهو مطبوع، وقد شرحه القاسمي في كتاب اسمه: «الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين»، وهو مطبوع.

(٥) هو «الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة»، وهو من مطبوعات دار البشائر الإسلامية ببيروت سنة (١٤٢١هـ).

ولمهارته رحمه الله في فن التصوُّف قرأت عليه من كتبه «لطائف الأعلام» للقاشاني[1]، و «شرح الفصوص» لملاَّ جامي[2]، و «مواقف» أستاذه الأمير عبد القادر الحسني ثُمَّ الدِّمشقي[3]، وحصَّة من «شرح مواقع النجوم»[4]، وغير ذلك مما لم يحضرني الآن. وحضرتُه في كتاب والده «البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية»[5].

وكان ـ رحمه الله ـ لقنني ذكر الطريقة النقشبندية، ولازمت حلقته مدة، ثُمَّ تركتها لأمرٍ ما.

وأجاز لي إجازةً عامَّةً.

ولم أنقطع عن زيارته، وكان يتودَّد إليَّ ويعظِّمني، خصوصًا في آخر أمره، وكثيرًا ما أتى بقصد زيارة الفقير، وسيدي الوالد.

وبالجملة فهو من أفضل أشياخي الذين انتفعت بمجالسهم، وتأدَّبت بآدابهم، واغتبطت بصحبتهم.

---

(١) «لطائف الأعلام» لعبد الرزاق بن أبي الفضائل القاشاني. مطبوع.

(٢) «شرح ملا جامي على فصوص الحكم» لابن عربي المتصوف، طُبع في الهند وإستانبول سنتي (١٢٥٧هـ)، (١٢٧٨هـ). «معجم المطبوعات» (١/ ٦٧٢).

(٣) «المواقف الروحية» لعبد القادر الجزائري، مخطوط في الظاهرية، وطُبع في القاهرة سنة (١٣٤٤هـ). «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر» (٢/ ٨٨).

(٤) «مواقع النُّجوم ومطالع أهل الأسرار والعلوم» لابن عربي الصوفي، مطبوع بالقاهرة سنة (١٣٢٥هـ)، ولم أقف على ذكر شرح له، والله أعلم.

(٥) هذا الكتاب مطبوع في القاهرة سنة (١٣٠٣هـ).

وكان يحضُّني دائمًا على تأليف رسائل في بعض مباحثَ علمية، وأَريتُه كثيرًا مما جمعته فسُرَّ به.

وقبل وفاته بنحو شهر كنت أنا وإياه والوالد العزيز في دعوة في قصر الأمير(١) في دُمَّر. وكان ذلك خاتمة الاجتماعات اللطيفة معه رحمه الله تعالى وإيَّانا.

فصل

ومن أشياخي وأساتذتي خال والدي، العالِمُ الفَاضِلُ، والفقيهُ الكـامـلُ، الشيـخ حسـن بـن أحمـد بـن عبـد القـادر جُبَيْنَـة، الشهيـر بالدسوقي، وهو من أخصّ تلامذة سيدي الجد.

حضرته في كتب فقهية، وسمعت منه «الشَّمائل»، و «الأربعين النَّـووية». وأجاز لي إجـازةً عامَّـةً، كما أجـاز لـه سيدي الجـدّ، وقد انتفعت بصحبة هذا الأُستاذ، وتهذبت بآدابه وإرشاداته، ونوادره عن الأقدمين.

وكان يحضُّ على الأخلاق الحسنة دائمًا، ودواعي رِقَّة الحاشية، وله لطائف كثيرة، ومحاسِنُ غزيرة رحمه الله تعالى.

---

(١) يعني قصر الأُمير عبد القادر الجزائري الذي كان يسكن فيه من بعده أخوه الشيخ السيد أحمد الحسني.

ودُمَّر: الآن ضاحية سكنية غربـي مدينة دمشق المحروسة.

فصل

وقرأت على مشايخَ غيـرِ مَنْ تقدَّم ذِكْـرُه، إلاَّ أنها قـراءة تَحَلٍّ وصُحبةٍ. وأما الانتفاع، فكان بمن سبق، وجزى الله الجميع خيرًا.

فصل

وقد أجاز لي إجازةً عامَّةً كثيرٌ مِن كبار الشُّيوخ، ممَّن هو في طبقة مَن تقدَّم وأعلى:

منهم: العلاَّمة محمود أفندي الحَمْزاوي مُفتي الشَّام، وصاحب الآثار الشَّهيرة في الأنام، ترددت إلى داره مرارًا، وسمعت منه حديثَ الرَّحمة المسلسل بالأولية، وأطلعته على لغز نحوي نظمًا للجالقي، وطلبت منه جوابه، فكتب لي جوابه كذلك. وأجاز لي إجازةً عامَّةً.

ومنهم: الإمام المُعمَّرُ طاهر أفندي بن عمر أفندي الآمدي مُفتي الشَّام أيضًا. أجاز لي أيضًا إجازةً عامَّةً.

ومنهم: العلاَّمة الفريد الشيخ محمَّد الطَّنْطاوي الأزهري، ثُمَّ الدِّمشقي. سمعت منه رسالة الأمير في «فضل عاشوراء». وأجاز لي إجازةً عامَّةً بخطٍّ يده.

وممَّن راسلني بالإجازة من غير الدِّمشقيين:

الفاضِل الصَّالح المُربـي السَّيِّد الشيخ محمَّد بن خليل القاوقجي الطَّرابلسي، من أفاضل طرابلس الشَّام ومُعمَّريها، وصاحب التآليف الشهيرة.

ومنهم: العلَّامة الكبير السَّيِّد نعمان خير الدِّين الآلوسي البغدادي، ذو الآثار الجليلة. استجزته من بلده بغداد، فراسلني بإجازةٍ بديعةٍ[1].

واستجزت عدة فضلاء مُشافهةً وكتابةً.

والعُمدة من أشياخي على من ذكرته هنا، وفي شرحي «للأربعين العجلونية» المسمَّى بـ «الفضل المبين».

فصل

وقد صاحبت بحمده تعالى كثيرًا من فُضلاء العلماء، وطالعت أنا وهم بعض المصنفات المفيدة، وانتفع كلٌّ مِنَّا بالآخر بوجوهٍ من المعارف الدقيقة:

منهم: الأُستاذ الفاضل، الأديب الجليل الشيخ عبد الرزاق أفندي البَيْطَار.

ومنهم: نبيه أقرانه السيد أحمد بن السيد محيي الدِّين الحَسَني الجزائري ثُمَّ الدِّمشقي، فقد كان لنا ولم يزل اجتماعات ودِّية، ومجالس حبية، نصرفها في المذاكرة في أجلِّ المسائل، وأدقِّ المشاكل، على محاورات ومراجعات بلطائف التحقيقات، ولا ننقطع عن المزاورة والمواصلة، وإن نَأَتْ بنا الدَّارُ فبالمراسلةِ.

---

(١) انظر ما يأتي إن شاء الله (ص٢١٥).

سيدي لاعدمت وجوده

في الجامع الصغير حديث لا قطع في زمن المجاعة رواه الخطيب
عن ابي امامة اي في السرقة في زمن القحط والجدب لانه حالة
ضرورة ولم ار من قال به اهـ مناوي قال الحفني لكن نقل عن المالكية
القول به وانه المعتمد عندهم بشروط فراجعها اهـ فهل الامر على
ما نقله الحفني ارجو ايضاحه والمولى يحفظكم

الجواب قال ابن الحاجب ولا يقطع من سرق من غريمه مماطل
جنس حقه ولا من سرق من جوع اصابه اهـ شارحه الشيخ
خليل المسمى بالتوضيح لان له شبهة ومفهوم قوله مماطل انه
لو لم يكن مماطلا انه يقطع وكذلك يفهم من قوله جنس حقه انه لو
سرق من غير جنس حقه انه يقطع وبينهما وقد قدم المص في باب
الدعوى انه اذا قدر على غير حقه ثلاثة اقوال ثالثها ان كان
من جنس حقه جاز الخ اهـ قال وروى ابن القاسم القطع على من سرق
من مال غريمه مثل دينه وخالفه اكثر الفقهاء من اصحاب مالك وغيرهم لتجويزهم
له اخذ ماله من مال غريمه مثل دينه كيفما امكنه وقد روى ذلك ابن وهب
وابن دينار عن مالك وقوله ولا من سرق من جوع اصابه اي جوع شديد
يخشى معه التلف لانه حينئذ تجب المواساة وكان مأذونا له في
الاخذ وروى ان عمر رضي الله عنه لم يقطع عام الرمادة اهـ

احمد بن محيي الدين الحسني
وفقه الله آمين

نموذج من المحاورات والمذكرات التي بين القاسمي وأحمد بن محيي الدين الجزائري، وقد صورها لي أخي الشيخ عمر النشوقاتي رعاه الله.

فصل

وقد حبَّب المولى إليَّ من حداثتي القراءة والمُطالعة، ونسخ الكتب، وتأليف الرسائل، فكنت ــ تَحَدُّثًا بنعمة المولى ــ أنصرف مِن دروسي، وآوي إلى دارنا، إلى محلّ مكتبتي على ما ذكرت، وأَذْهَبَ المولى بفضله عن عُبَيْده حُبَّ البطالة، وصرف الأوقات سُدًى.

فطالعتُ من كتب الأدب والتاريخ ما لا أُحصي، حتى أتذكَّر أنِّي في سِنِّ الخامسة عشرة من عمري أصابني مرض مكثت فيه نحوَ ثلاثة أشهر، فصرت أتسلَّى بمطالعة بعض الكتب، وجمعت في تلك الحالة كتابًا غريبًا، مملوءًا من الفوائد واللطائف والنَّوادر، والأبيات الرائقة.

وكنت في صغري جمعت سفائن[1] كثيرة من المرور على الكتب

---

(١) قوله: «سفائن»، جمع سفينة، أي كالسفينة التي تكون في البحر، ففيه استعارة تصريحية؛ لأنه شبه السفينة ــ أي: التي هي المجموع ــ بسفينة البحر بجامع امتلائها من المسائل، كما أن سفينة البحر ممتلئة أرزاقًا وغير ذلك. اهـ من كلام الشيخ جمال الدِّين على طرة إحدى سفائنِهِ. وفي «مجلة المجمع العلمي بدمشق» (١٨/ ٥٥١، ٥٥٢)، مقال للعلاَّمة كوركيس عوَّاد حول تعريف السفينة يقول فيه: «**السفينة: بمعنى المجموع الأدبي**، من الألفاظ التي شاع ذكرها في كتب التاريخ والأدب العربي، وفات أصحاب المعاجم التنويه بها: لفظة (السفينة) بمعنى المجموع الأدبي. فالسفينة مجلد يضم بين دفَّتيه أشعارًا ونوادر وأخبارًا وطرائف، يدونها جامعوها بحسب ما يتذوقونه وما يقع عليه اختيارهم من منظوم ومنثور. فقد حكى الثعالبي في «من غاب عنه المطرب» (ص١٠١): بلغني أنه لما حُمل ديوان شعر أبي مطران الشاشي إلى الصاحب بن عباد استحسن منه أبياتًا دون العشرة، وعلم عليها ليأمر بنقلها إلى سفينة كانت تجمع له ما تلذ به الأعين وتشتهيه الأنفس، فمنها قوله... =

. . . .

= وقد كان بعض الرؤساء يُعنى بمثل هذه السفينة الأدبية، فيكتبها بخطه على حد ما رواه الثعالبي بقوله: وجدت في سفينةٍ بخط الشيخ الرئيس أبي محمَّد عبد الله بن إسماعيل الميكالي، لأبي بكر بن شوذيه الفارسي. (يتيمة الدهر له ٣/ ٣٨٤).

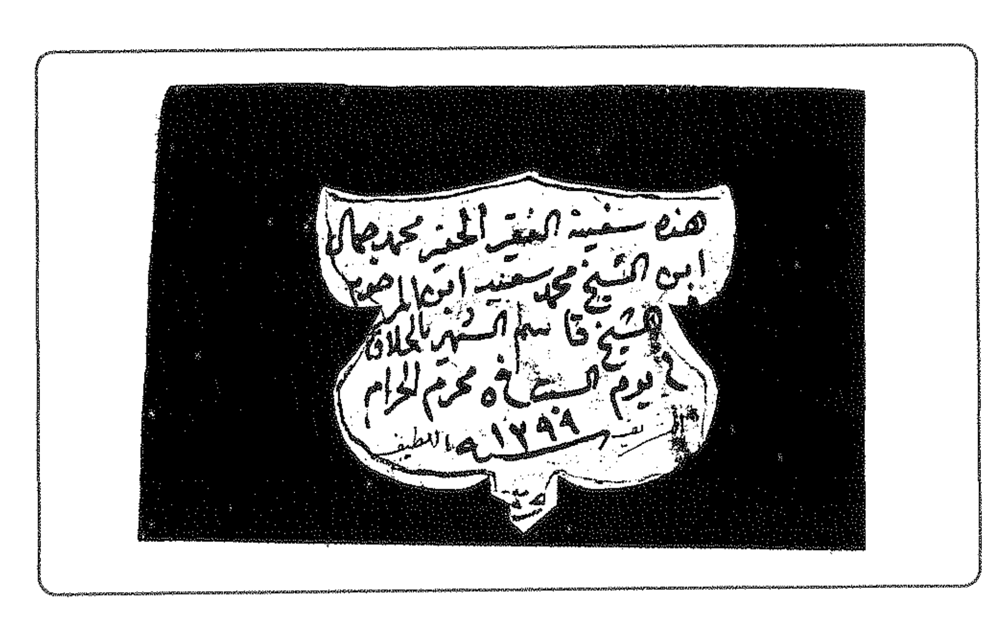
وكانت هاتيك السفن تختلف حجومها وتتعدَّد مجلداتها، فقد أورد ابن كثير في حوادث سنة (٧٠٣) للهجرة من «تاريخه» ما هذا نصه: وكذلك وقفت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبار. «البداية والنهاية» (١٤/ ٣٢).

ونظير ذلك ما رواه ابن حجر العسقلاني أن من مسموع محمَّد بن يعقوب بن بدران الجرائدي الدمشقي، المتوفى سنة (٧٢٠هـ): «السفينة المشتملة على خمسة أجزاء»، عُرِفت أيضًا بالجرائديَّة. وسمع على ابن الجميزي «سفينة أخرى فيها سبعة أجزاء»، عُرِفت أيضًا بالجرائديَّة. «الدرر الكامنة» (٤/ ٢٨٧).

وقد عمد بعض الكتاب من قدماء ومحدثين، إلى تسمية مؤلفاتهم بالسفن بالمعنى الذي بيناه آنفًا. من ذلك «سفينة الأبرار الجامعة للآثار والأخبار» لعز الدِّين محمَّد بن أحمد المكِّي الحنبلي، المتوفى سنة (٨٥٥هـ)، و «سفينة العلوم». «كشف الظنون» (٣/ ٦٠٠). و «سفينة الكردي» وهو عبد القادر الحلاَّق الكردي. و «سفينة الصَّالحي» لشمس الدِّين محمَّد بن نجم الدِّين بن محمَّد الصَّالحي الهلالي الشَّاعر، المتوفَّى سنة (١٠١٣هـ). و «سفينة الراغب» للوزير راغب باشا، المتوفى سنة (١١٧٦هـ). و «سفينة ابن زين العبادي» وهو محمَّد البكري. و «سفينة البلغاء». و «السفينة في تراجم الفقهاء السبعة بالمدينة» لشمس الدِّين محمَّد بن طولون، المتوفَّى سنة (٩٥٣هـ). و «السفينة الطولونية في الأحاديث النبوية» له أيضًا.

وهنالك تصانيف أُخرى عديدة عُرفت بالسفينة، ضربنا عن ذكرها صفحًا؛ لأن =

المتنوعة، لو جُمعت لغدت مؤلَّفًا حافلاً كبيرًا، يسامي الكشكول، والكنز المدفون. هذا عدا عن الأوراق المنثورة في محافظتي المتنوعة من الفوائد، وتقريرات الشيوخ.



غلاف سفينة من سفائن القاسمي بخطّه.

= غايتنا من إيراد ما ذكرناه منها إنما هي التمثيل لا الاستقصاء.

ولم يخلُ عالم الشعر من التنويه بهذه السفن الأدبية، فقد قرأنا لبعض الشعراء قوله فيها:

انْظُـرْ لِحُسْـنِ سَفِينَـةٍ ... فِيهَـا القَلاَئِـدُ فِـي النُّحُـور
فَـاعْجَـبْ لِـوَصْـفِ سَفِينَـةٍ ... تَجْـرِي وداخِلُهَـا بُحُـور

اهـ. من مقال كوركيس عوَّاد

فصل

وكان سيدي الإمام الوالد ـ رضي الله عنه ـ حينما يراني مواظبًا على دروسي ومطالعتي يزداد في دعواته الصَّالحة للفقير، وينظم في رضائه عني أبياتًا[1] يشوقني في دوام الاجتهاد...

وأمَّا دعواته لي النثرية في مكاتباته فلا تحصى.

وأعظم شيء عندي من جليل أدعيته قوله لي أغلب الأوقات: «الله يرضى عليك كما رضي على الصِّديق».

وفي جمل غيرها متنوعة، كافأه المولى عنِّي بخير الجزاء. آمين.

فصل

وفي نحو الرابعةَ عشرةَ من سنيّ الفقير، طُلبت لإقراء بعض الطلبة، فشرعتُ في مقدّمات بعض الفنون، أتقوى بإقرائها، وقرأت وقتئذٍ بعد صلاة المغرب في جامع السِّنانية «ابن قاسم على الغاية»[2] في الفقه مرارًا، وذلك بعد أداء فرض المغرب إلى قرب السَّاعة الواحدة،

---

(١) وهي قوله:

رضـاءُ اللهِ يـا ولـدي عَلَيْكَـا ... وعيـن اللَّـه نـاظـرةٌ إِلَيْكـا

فـلازمْ دَرْسَ أُستـاذٍ رشيـدٍ ... نصـوح مُخْلـصٍ راضٍ عليكـا

لِتَخْـرُجَ عـالمًـا فـي كُـلِّ فَـنٍّ ... وتُبقـي النَّـاسَ طـوْعًـا فـي يَـدَيكـا

«آل القاسمي» (ص٢٤٢).

(٢) «غاية الاختصار» مختصر في الفقه الشافعي لأبي شجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني، وقد شرحه شمس الدِّين ابن القاسم وعنوانه: «فتح القريب» وهو والمتن طبعا مرارًا.

وبعدها أتهيأ لحضور مجلس سيدي الوالد العام، وكنت المعيد له، ولم أزل على هذا الترتيب إلى سنة (١٣٠٣هـ)، ففيها زار سيدي الوالد حضرةُ العالم النِّحرير، والسيد الشريف الخطير السيد أحمد الحسني الجزائري هو وجماعة من وجوه محلة باب السريجة[١] يطلبون منه أن يأذن لي بأن أُصلِّي إمامًا في جامع العنَّابة[٢] بالمحلة المذكورة في الصلوات الخمس، فأجابهم إلى ذلك، وأمرني بالقيام بذلك، فامتثلت أمره، وابتهج أهل المحلة بالفقير ابتهاجًا زائدًا، وصار الجامع يغصُّ بالمصلِّين، وكان يقول السيد أحمد المنوَّه به: لقد أحييتم هذه المحلة. وذلك من لطفه وحُسْن ظنِّه بالعبد الضعيف، وتفردت للإقراء به صباحًا وبين العشائين، وقرأت كتبًا متنوعة في فنون شتى.

---

(١) حي إلى الغرب من ساحة باب الجابية بين القنوات وقصر حجاج؛ ولمزيد معرفة أقدميته وتفسير معنى اسمه، انظر إن شئت: «أبواب دمشق وأحداثها التاريخية» لقتيبة الشهابي (ص٣١٥، ٣١٦). وكم مشينا في هذا الباب وسوقه الأنيس الدالة على حركة الحياة وضجيج الباعة فيها.

(٢) قال الشيخ جمال الدِّين القاسمي عن هذا الجامع: «جامع العنَّابة في محلة باب السريجة أعمرُ جوامع تلك المحلة وأكثرها جماعة، كان أولاً مسجدًا صغيرًا بلا حرم ثُمَّ وسَّعه جماعة من موفقي جيرانه سنة (١٢٢٤هـ)». ثُمَّ ذكر أنَّه زِيد فيه سنة (١٢٣٣هـ)، ولا زال يُزاد فيه ويُعمَّر إلى أن نجزت عمارته سنة (١٣٢٥هـ). انظر: «تعطير المشام» للشيخ جمال الدِّين (٣/ ١٩١ ـ نسخة المكتبة القاسمية).

وقد رأيت هذا المسجد في إحدى زياراتي لدمشق المحروسة، وذلك في شروق شمس الجمعة في السابع من جمادى الآخرة سنة (١٤٢٠هـ)؛ بصحبة صديقنا الشيخ عمر النشوقاتي الدمشقي حفظه الله تعالى.

تم الجزء الأول من صحيح البخاري ويليه الجزء الثاني وأوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب البيوع

الحمد لله تعالى
تمت قراءة هذا الجزء دراية بين عشائي ليلة الأحد لثنتي عشرة ليلة
بقيت من شهر محرم الحرام سنة ١٣١٧ وذلك في جامع العنابة
من قسم باب الشريجة وفقنا المولى لإتمامه وخدمة
كتب السنة السنية بمنه وكرمه كتبه الفقير محمد جمال الدين القاسمي
عفي عنه

نموذج ممَّا قرأ القاسمي في جامع العنَّابة.

فصل

وفي سنة (١٣٠٩هـ)، في أواخر رجب، دُعينا إلى دار الحكومة، الفقيرُ وجماعةٌ من أهل العلم، وكنا انتخبنا أعضاء مجلس الإدارة، وذلك لإقراء دروس عامة في شهر رمضان في أقضية ولاية سورية. فذهبنا واجتمعنا بالوزير عثمان نوري باشا، فتذاكرنا معه حصة مذاكرة خاصة، وأفهمنا سرّ هذه الوظيفة، ثُمَّ انصرفنا، وعين لنا راتب ذلك الشهر ألفي قرش.

واخترت قضاء وادي العجم، فذهبت من أول الشهر المبارك، وبثثت الدروس العامَّة في أشهر قراه، وصنفت في ذلك رحلتي المسماة «بذل الهمم، في موعظة أهل وادي العجم»[1].

---

(١) قضاء وادي العجم يبدأ من قطنا وينتهي بالكسوة التي هي جنوبـي دمشق.

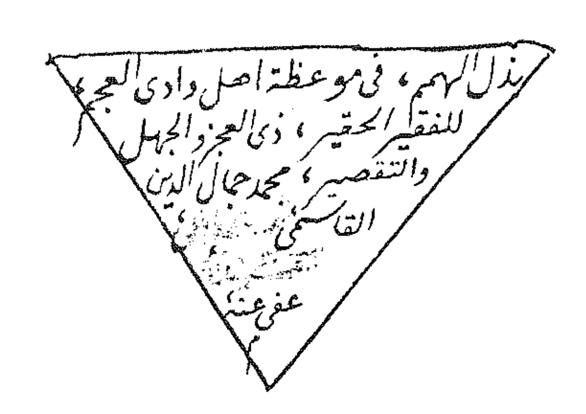
ثُمَّ عيَّنا في سنة (١٣١٠هـ) أيضًا، فاخترت قضاء النبك[1]، وقمت بالوظيفة في معظم قراه، وصنفت في ذلك الرحلة التي سميتها «حُسْن السبك، في الرحلة إلى قضاء النبك».

ثُمَّ طُلبنا في سنة (١٣١١هـ) أيضًا، فاخترت قضاء بعلبك[2]. وكذا في سنة (١٣١٢هـ) أيضًا سرت إليها، ثُمَّ كثر طالبو هذه الوظيفة فرفضتها الحكومة عندنا في الشَّام، مع أنَّ بها النَّفع العام، لمن قام بها حقَّ القيام.

* * *

(١) شمالي دمشق منطقة القلمون في الطريق من دمشق إلى حمص نحو (٨٠) كيلاً وقد مررت به.

(٢) بعلبك في شمالي البقاع شرقي لبنان، وقد صلَّيتُ الجمعة بها في جامع الحنابلة سنة (١٤١٦هـ).


بذل الهمم، في موعظة أهل وادي العجم
للفقير الحقير، ذي العجز والجهل
والتقصير، محمد جمال الدين
القاسمي
عفي عنه

قد أنشد الفاضل الأديب، والكامل الحاذق اللبيب، من أضحى في حلبة المعارف فارسا لا يشارك، الشيخ محمد بن البركة الصالح الشيخ محمد المبارك، عقب مطالعته لهذه الرحلة

جلاء الهموم ببذل الهمم	لوعظ قبائل وادي العجم
محوا سنة العرب المقتني	نداهم ودانوا بلؤم العجم
يهيمون في كل وادٍ وما	ترى فيهم غير غرٍّ بجهلهم
تجلت حقائق نعتهم لامرئ	لعود خلائقهم قد عجم
أديب أريب بأفق العلا	سما نجم عرفانه ونجم
فأفصح عن رحلة قد صفا	وراق حلا لطفها وانسجم
تمد بساط النشاط لمن	تعنى بفادح خطب هجم
ويورث إنشادها نشوة	ويطرب إنشادها من وجم
فلا زال يرقى ذرى المجد ما	نما أجر واعظ قوم وجم

صورة من رحلته إلى وادي العجم بخطّه، وعليها تقريظ للشيخ محمد المبارك.

ذكرُ محنة الفقير وبعضِ علماء الوطن
سنة (١٣١٣)
المسمّاة بحادثة المُجتهدين

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ الآية [النساء: ١٤٨].

فتأمَّل ـ أيُّها اللَّبيب ـ في هذه الآية الشَّريفة، لتعذرَنا فيما نتلوه عليك من غرائب هذه الحادثة الطريفة، فإنها حادثةٌ خفَّت فيها أحلام أكابر زماننا المُتأخّرين، الَّذين هم فضلة السَّادة المُتقدّمين.

رأيتُ الدَّهرَ يَرْفَعُ كُلَّ وغْدٍ ... ويخفِضُ كُلَّ ذي شِيَمٍ شريفهْ
كَمِثْلِ البَحْرِ يَغْرَقُ فيه حَيٌّ ... ولا يَنْفَكُّ تَطْفُو فِيْهِ جِيْفَهْ
أو الميزانِ يَخْفِضُ كلَّ وافٍ ... ويَرْفَعُ كُلَّ ذي زِنَةٍ خفيفهْ

وذلك أنَّه يوم الجمعة العاشر من شعبان سنة (١٣١٣هـ)، وردت علينا رسالة من دائرة الحكومة مضمونها أن يحضر يوم السبت إلى المحكمة هؤلاء الأفاضل وهم:

الشيخ عبد الرزّاق البَيْطار[1]، والشيخ سليم سَمَارَهْ[2]، والشيخ بدر الدِّين المغربـي[3]، والشيخ توفيق أفندي الأيوبـي[4]، والشيخ

---

(١) أفردت ترجمته بكتاب عنوانه «أديب علماء دمشق الشيخ عبد الرزاق البيطار» وهو مطبوع.

(٢) هو الشيخ سليم بن محمَّد بن يوسف الميداني، الدِّمشقي الشهير بالشيخ سَمَارَهْ، وُلِد سنة (١٢٥٤هـ)، وأخذ عن علماء بلده كالشيخ حسن البيطار ــ والد الشيخ عبد الرزّاق ــ ، والشيخ عبد الغني الغُنيمي الميداني وغيرهما، توفي سنة (١٣٢٧هـ)، ترجمته في: «حلية البشر» للبيطار (٢/ ٦٨٤)، و «منتخبات التواريخ لدمشق» للحصني (٢/ ٧٢٥).

(٣) هو الشيخ محمَّد بدر الدِّين الحسني المغربـي، وُلد سنة (١٢٦٧هـ)، وتوفي سنة (١٣٥٤هـ)، وقد ترجم له أكثر من واحد، منهم:

* تلميذه الشيخ محمود بن محمَّد رشيد العطار، المتوفى سنة (١٣٦٢هـ)، وهي مطبوعة حديثًا.

* وتلميذه الشيخ محمَّد صالح الفرفور بعنوان: «المحدث الأكبر وإمام العصر».

* وتلميذه الشيخ محمود الرنكوسي وعنوان رسالته: «الدُّرر اللؤلؤية في النعوت البدرية».

ومِن آخر ما صدر في الترجمة له رسالة بقلم أستاذنا عالم العربية الدكتور مازن المبارك حفظه الله تعالى، طُبِعت في دار البشائر بدمشق سنة (١٤٢٨هـ).

(٤) الشيخ الأديب توفيق بن محمَّد الأيوبـي ــ نسبةً إلى الصحابـي أبـي أيوب الأنصاري ــ وُلد في حدود سنة (١٢٧٠هـ)، وتولَّى التدريس في أماكن عدَّة كالجامع الأموي والمدرسة السميساطية، له شرح على مجلة الأحكام العدلية، توفي سنة (١٣٥١هـ). ترجمته في: «حلية البشر» للبيطار (١/ ٤٢٥ ــ ٤٢٩)، و «الدر الكمين في علماء دمشق سنة (١٣٤٠هـ)» لمحمَّد جميل الشطي (ص٢٤ ــ ٢٦ ــ مخطوط بخط مؤلفه).

أميـن السَّفـرجـلانـي[1]، والشيـخ سعيـد الفـرا[2]، والشيـخ مصطفـى الحلاَّق[3]، والفقير جامع الكتاب.

وكان قد وشى على هؤلاء الجماعة، من أضاع عمره في اللهو وقلة الطاعة، ومن نقلة الغيبة والنميمة، وشيمته كل صفة ذميمة، فذهب إلى والي الشَّام عثمان نوري باشا، ووشى له عن الجماعة المنوّه بهم ما شاء.

فقال له عن الشيخ بدر الدِّين: إنه قرَّرَ في درسه بعد الجمعة في الأموي على رؤوس العالمين، تحريمَ الدخان، وذم ترك العمائم، وشنع على الحيل في الرِّبا التي تجري في المحاكم، وكون الخلافة

---

(١) هو الشيخ محمَّد أمين بن محمَّد خليل السَّفرجلاني. له عدة مؤلَّفات، منها رسالة بعنوان: «عقود الأسانيد» في ذكر أسانيده وشيوخه، توفي سنة (١٣٣٥هـ). ترجمته في «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٧١١)، و «أعلام من آل السَّفرجلاني» لصلاح الدِّين السفرجلاني (ص٢١ ــ ٢٤).

(٢) الشيخ محمَّد سعيد الفرا ــ نسبةً لأحد أجداده الذي كان يشتغل بصناعة الفراء ــ وُلد في حدود سنة (١٢٧٠هـ)، وأخذ عن جده لأمه الشيخ علاء الدِّين ابن عابدين، توفي نحو سنة (١٣٤٥هـ). ترجمته في: «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٨٨٦)، و «الدر الكمين» للشطي (ص٣٨)، و «أعيان دمشق» له أيضًا (ص٣٤٤).

(٣) هو العلاَّمة النَّابه الذكي الأثري الشيخ مصطفى بن علي، الشهير بالحلاَّق ــ نسبةً إلى حرفة جده ــ، وُلد سنة (١٢٧٦هـ)، وحضر دروس علماء بلده، وكان يضرب المثل به في الذكاء، وقد أثنى عليه وعلى علمه صاحبه العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي في «تعطير المشام» (٣/ ٢٥)، وذكر أنه توفي سنة (١٣٢٩هـ).

صارت ملكًا عضوضًا، وغير ذلك مما نقله ذاك النمَّام، عن هذا النِّحرير الهُمام.

وأما الشيخ توفيق أفندي الأيوبـي فوشوا عليه بأنَّه تكلَّم في درسه بين العشاءين في الأموي بنجاسة أعيان المشركين، وغير ذلك مما لفقوه من المَيْنِ.

وأما بقية الجماعة فوشوا عليهم بأنهم عدُّوا أنفسهم من المجتهدين، وأنَّهم يجتمعون على قراءة الحديث الشريف، ويريدون أن يستنبطوا منه كل معنى شريف، وأنَّهم صاروا يتذاكرون في أقوال الفقهاء، ويبحثون فيها، ويتطلَّبون الأدلة على تلك الآراء، إلى غير ذلك مما نسبوه إليهم.

ولنذكر أول سبب هذا الاجتماع، الذي شاع نبؤه في دمشق وذاع، وذلك أن صفينا الفاضل الحسيب، والنِّحرير النَّسيب، السيد أحمد الحسني[1] ــ أخا ذي الفضل الباهر، والمكرمات الشهيرة والمآثر، الأمير السيد عبد القادر الحَسَني الجزائري ثُمَّ الدِّمشقي قُدِّس سرّه ــ أحبَّ يومًا أن يزور كلاًّ من العالمين الشهيرين، والفاضلين الكبيرين، الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار، والشيخ سليم سَمَارَهْ، حفظهما المولى الغفار، فأشار عليَّ السيد أحمد المذكور، أن أكون رفيقًا في هذا المسير، وكان لنا عادةٌ في زيارتهما، والتأنُّس بطلعتهما، وهما لا يقطعان مواصلتنا، ويحسنان مكافأتنا، وبيننا من الودِّ

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله (ص١٩٠).

ما لا يحتاج إلى تكلُّف، ولا يشوبه تعسُّف ولا تصلُّف، فسرنا لزيارتهما المشكورة، وكان ذلك في جمادى الثانية من السَّنة المذكورة، فبدأنا أولاً بزيارة الشيخ سليم سَمَارَهْ، في ظاهر باب المصلَّى[1] عند جامع صُهيب من الميدان[2] كان مشيدًا داره. فلما قضينا زيارته سار معنا لقصد الشيخ عبد الرزاق البيطار، وعند جامع الدَّقاق كانت داره المعمورة الأقطار.

فلما اجتمعنا شكونا جميعًا تنائي الدِّيار، التي يقل بسببها اجتماع الإخوان الأخيار، وقضينا معظم النهار في محاضرة لطيفة، ومباحث علمية شريفة، ثُمَّ أحببنا أن نعيِّنَ يومًا في الأسبوع، تجتمع به هذه الرِّفقة وتؤنس به الربوع، وتدور النوبة فيه بين الجماعة، ولا يتأخَّر أحد عن الميعاد ساعة.

---

(١) باب المُصَلَّى محلة في حي الميداني التحتاني وسبب تسميته فيما يبدو أنه كان مُصلى لصلاة العيدين. انظر: «أبواب دمشق وأحداثها التاريخة» للشهابي (ص٣١٧).

(٢) قال الشيخ جمال الدِّين القاسمي في «تعطير المشام» (٢/٦٥/أ): «جامع سيدي صهيب في ميدان الحصى، جدَّده مع منارته الحاج خلف بن ضرغام، خليفة الملك المعظمي من نعم الملك المعظم أبي المظفر عيسى بن الملك العادل سنة (٦٠٦هـ)، وفي سنة (١٢٩٤هـ) سعى بتجديده إمامه العالم النِّحرير من أضحى الصَّلاح شعاره الشيخ سليم سَمَارهْ، واشترى حَوْشًا صغيرًا كان في جواره وأدخله في حرمه، ورفع جدرانه، وجدَّد منبره وسقفه، جزاه اللهُ خيرًا. وربما يُظَنُّ أنَّ صهيبًا رضي الله عنه دُفن في جواره، وليس كذلك؛ لأن وفاته كما ذكرناه أول الكتاب عند ذكر الصحابة الذين قدموا دمشق».

فتم الرأي على أن يجتمعوا أولاً عند الفقير، فحضروا إلى حُجرتي في جامع العنَّابة، الكائن في باب السريجة، صباح الأربعاء ثاني رجب من السنة المذكورة، وهم: الشيخ عبد الرزَّاق البيطار، والسيد أحمد الحسني، والشيخ سليم سَمَارَهْ، وعززهم الشيخ مصطفى الحلاَّق، وكان بلغه ما حصل عليه الاتفاق.

وكان مع الجماعة حاضرًا أيضًا بعض تلامذة الفقير، فجلسنا إلى الظهر على أنس كبير، ومذاكرة شهية، ومحاضرات بهية. ثُمَّ دعا جماعتنا يوم الأربعاء الذي بعده الشيخ مصطفى المذكور ليجتمعوا عنده، وزاد معهم سيدي الوالد الماجد، وغيره من الأماجد، فجاؤوا على ميعادهم، وحظوا من دواعي السرور بمرادهم.

ثُمَّ دعاهم حضرة السيد أحمد ــ المتقدّم ذكره ــ أن يأتوا داره في الأربعاء الآتية، فوافوا جميعًا، وزاد بعض أصدقائه، وحصلت للجميع المسرة الوافية.

ثُمَّ دعاهم في الأربعاء بعدها الشيخ سليم سَمَارَهْ، فلبوا دعوته بغاية البشارة، وكان دعا صفييه الفقيهين الكاملين الشيخ أمين السَّفرجلاني، والشيخ سعيد الفرا.

وبينما نحن عنده إذ قدم علينا اثنان من الوجهاء، ممن يفسدون في الأرض، ودأبهم الفحش والنميمة والبذاء، فقعدا يتلقفان أبحاث إخواننا ويخزنانها، ثُمَّ جادل أحدهما بعضَ فضلاء الإخوان، فانتدبتُ لقمعه، وأنه ليس من فرسان هذا الميدان.

وبعد انصرافنا دعانا قبل الأربعاء أحد أدباء الميدان، وعيَّن يومًا توافيه لداره الإخوان. فأجابوا وما تأبّوا، وزاد معنا شيخنا العلامة الشيخ بكري أفندي العطار[1] فحضر وآنس تلك الدِّيار. ولما علمت جماعتنا أن أمامهم أدوارًا آتية، وأن المدة ليست قريبًا مُتناهية، قالوا: الأَوْلى أن نُطالع كتابًا نشغل به مجلسنا، نزداد بمراجعته علمًا يكمل أنسنا.

وغبَّ المذاكرة اتفقوا على كتاب «كشف الغمَّة عن الأمَّة»، للعارف الرباني، الشيخ عبد الوهَّاب الشعراني، قدَّس الله سرّه، وأناله رضوانه وبرَّه.

فبدأنا بقراءته عند هذا الأديب، وكان القارىء من الإخوان الأُستاذ الشيخ عبد الرزَّاق أفندي البَيْطار؛ لما أنه أكبرنا سنًّا، وأفصحُنا لسانًا. وبدا لي وقتئذٍ أن أكتب حاشية على «كشف الغُمَّة» أُخَرِّج أحاديثه، وأشرح بعض معانيها.

ثُمَّ دَعاهم يوم الأربعاء الأُستاذ المنوّه به، وزاد في الدعوة بعضَ أخصائه، وأخاه العالم الفاضل الشيخ عبد الغني البَيْطار[2]، فأكملوا

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله (ص١٤٢).

(٢) هو الشيخ المقرىء عبد الغني بن حسن البيطار، وُلد سنة (١٢٤٠هـ)، وحفظ القرآن بالرِّوايات السبع على شيخ قراء الشَّام الشيخ أحمد الحلواني، كما أخذ عن الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، والشيخ سعيد الحلبي وغيرهم من علماء دمشق، توفي سنة (١٣١٥هـ). ترجمته في: «حلية البشر» للبيطار (٢/ ٨٧٣)، و «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٧٦١).

يومهم في غاية النشاط، ونهاية الانبساط. وكانوا بحثوا ذلك اليوم في دليل نجاسة الخمر، وأحبوا تحقيق هذا الأمر، وتذاكروا في مسائل سواها، وأفكارهم مطلقة في مسراها، لا يروقهم إلاَّ التحقيق، ولا يقنعهم إلاَّ البرهان الواضح مع التدقيق.

واتّفق أن حضر يومئذٍ رجلٌ ينتمي بزيِّه للعلماء، بيد أنَّه مَشَّاءٌ بنميم، عُتُلٌّ زنيم، فعدَّ عليهم أبحاثهم وأحصاها. وبعد انفضاض الجمع، قلب موضوعها في المجالس وأفشاها، فعزَّز هذا السَّفيهُ أخويه السابقين، وأضحى ثالثهم، وتعاونوا في المجامع على أن ينشروا مباحثهم، ففشا أمر اجتماعنا وانتشر، وطار صيته في أقطار دمشق واشتهر، ولقَّبوه جمعية المجتهدين، ونسبوا مذهبهم إلى الفقير، وقالوا: **المذهب الجمالي**، وصار إناء كل إنسان ينضح بما فيه عليهم، ويرى مرآته فيهم، ويحكم بطوية نفسه عليهم.

ثُمَّ دعانا الشيخ أمين السفرجلاني، ودعا العلاَّمة مُقدَّم علماء الشَّام الشيخ بكري العطَّار، فحضر معنا ضحوة ذلك النَّهار. وقصد بدعوته أن يطلعه على هذا الاجتماع، ويريه هل يرى فيه ما ينكره سليمو الطباع؟ فلم ير في مباحثنا ما يُستنكر! بيد أنه قال: قد ذاع صيتكم بالاجتهاد وانتشر.

فقلنا: أين الاجتهاد ونحن على ما ترى؟ وهل نباهة المرء وحرية أفكاره تعدُّ نُكْرًا؟

وانشـرح الشيـخ المنـوّه بـه لجمعنـا أعظـم انشـراح، ودعـاه أحـدُ الإخوان فوعده أن يباكر في الصباح.

ثُمَّ لم تشعر الأصحاب إلاَّ والقضية صارت لدى المحاكم، نَمَّ بها بعض من يتشوف للمظالم، وقلبوا على الجماعة، ونسبوا لهم عجائب الأمور، وأخبر النمَّامُ الوالي بما نقله عن الشيخ بدر الدِّين، وضمَّ إليه جماعتنا، وأنَّهم رفضوا آراء الأقدمين، وغير ذلك بما رشح من إنائه القذر، وسَنَحَ لفكره الكدر.

ثُمَّ لمَّا حضر المفتي المنيني[1] مجلس الإدارة، قال له الوالي: ألم يبلغك ما شاع عن هؤلاء الأشياخ؟ فلم يظهر له إنكاره، وأبدى تغيظه على هؤلاء الأعلام، مشيًا مع رضىٰ الحاكم، وحِفْظًا للمقام. فتـذاكـر أهـل المجلـس فـي إحضـارهـم جميعًـا للمحكمـة الشَّـرعيـة، واستنطاقهم عن المسائل التي يتباحثون عنها في هذه الجمعية، وكتبوا أسماءهم أجمعين، وأمر البوليس أن يخبرهم بحضورهم للمحكمة الكبرى آمنين. وعينوا عقد مجلس كبير رئيسه القاضي مكي بك أفندي، وأعضاؤه المفتي وأعوانه من المنتفشين.

(١) هـو مُفتـي الشَّـام الشيـخ محمَّـد بـن أحمـد المنينـي، وُلـد سنـة (١٢٥١هـ)، ودرس علـى علمـاء دمشـق كـالشيـخ عبـد الله الحلبـي، تـولَّـى الإفتـاء سنـة (١٣٠٥هـ)، بعـد المفتي السيد محمـود الحمزاوي، وتوفـي سنـة (١٣١٦هـ)، انظر ترجمته في: «حلية البشر» للبيطار (٣/ ١١٨٣)، و «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٧٨٨).

وكان الوالي حنق على الشيخ بدر الدِّين؛ لبثّه تلك المقالات على ملأ السَّامعين. وظنَّ الوالي أنَّا عُصبة في هذا الشأن، وأنَّا متعاضدون على ما لا يناسِبُ سياسة الأوان. فاجتمعت يوم السبت في ١١ شعبان هيئةُ المجلس المشكل من فضلات الأعيان، وأتوا بالبواليس والشرط. وفي زعم المفتي أنَّ الجماعةَ سينالهم أسوأ شطط.

فحضـرت جمـاعتنـا علـى الميعـاد، ولـم يتخلَّـف إلاَّ الشيـخ عبد الرزَّاق البيطار، والشيخ بدر الدِّين.

فأمَّا الأوَّل فقد أظهر أنه مريض قبل أيام، وأقام في الفراش بينما ينتظر بماذا يُقْضَىٰ على الأقوام، وكان أسرَّ إليه أَحدُ خاصَّتِهِ بأنَّ في نيَّة الحكومة تكديرًا لجماعته، فتخلّص بالتمارض (كذا تحققته أخيرًا)، وكنت أَظنُّ أوَّلاً أنَّه مرض قطعًا، وكنا سهرنا عنده ليلتئذٍ وشاورناه عن هذ الحضور، فقال: اذهبوا، أليس السؤال إلاَّ عن حالنا المشهور؟ وما في مذاكرتنا ما ينكر، أو يعترض على مسائلها المعشر. فلما ذهب إليه البوليس وجده في الفراش مقيمًا، فشرح عليه أنَّه مريض ليس سليمًا.

وأما الشيخ بدر الدِّين فسار إليه البوليس لمَّا تأخر عن الميعاد، فأظهر له أنه الآن لا يمكنه الحضور لأمور، ثُمَّ أَعادوه إليه، فأصرَّ على أنه مشغول ومعذور، وأنه يكتب ما وعظه إن أحبوا الآن بكتاب، يرسله للمجلس المذكور فينظروا الجواب، فأمهلوه لوقت آخر، واكتفوا بمن حضر.

وأما حضرة السيد أحمد الحَسَني الجزائري فإنهم لم يطلبوه بالكلية؛ لما علموا من وجاهة عائلة أخيه عبد القادر لدى الدولة الفرنسوية.

فانظر إلى عدولهم عن الإنصاف، وقصدهم بالإيذاء مَنْ رأَوهم من الضِّعاف، وأما حضرة والدي الجليل فاكتفوا بابنه الفقير، وحمى المولى سمو قدره الخطير.

وأمَّا بقية جماعتنا فحضروا، وقعدنا في جامع المحكمة ننتظر الخلوص من هذه المظلمة. فبعد أن صلَّينا في الجامع المذكور الظهر، وإذا بنائب التزكية مرسلاً لطلب الفقير أوَّلاً للحضور للمجلس في قاعة القاضي الكبير، فدخلت معه على هذا المجلس، الخالي من النصير والمؤنس، وسلّمتُ عليهم، وقعدت بلا مبالاة مني إليهم، فإذا هم مهيئون سجلاً للاستنطاق، مملوءًا من الاختلاق، مرتبًا على أسئلة ملبسة، من أخبار مُدلَّسة.

فقال المفتي لأحد كُتَّاب المحكمة ــ وقد أعطي ورقة المسائل المعلمة ــ :

سلهُ، فقرأ عليَّ من الورقة أولاً ما ملخَّصه: بناءً على الأخبار الواصلة إلينا عنكم أنكم تجتمعون على تفسير القرآن والحديث برأيكم، وتردّون على الأئمَّة المجتهدين، فهل صدر ذلك منكم؟

فقلتُ لهم: إننا نبرأ إلى المولى من ذلك، ومعاذ الله أن نسلك هذه المسالك.

ثُمَّ قالوا: ما هذه الجمعية؟

فذكرتُ لهم مبدأَها بما مضى في الكيفية. فقام مُفتي الحنفية وَقَعَدَ، وأَبْرَقَ في المجلِس وأرْعد. وجعجعَ وبعبعَ، وأبدى لُؤْمه، وأظهر شُؤْمه، وقال: قلتم بطهارة الخمر، وشاع عنكم ذلك، فما هذا الأمر؟

فقلت: إنَّا ننظر مرة في دليل نجاسة الخمر، ثُمَّ قلت له: وإنَّ لي رسالةً سمَّيْتُها «تنبيه الغُمر، في رد شُبه طهارة الخمر» وها هي معي، فطلبها، فناولته إياها، فتأملها ومرّ على معظمها (**أقول: قد أحرقتها بعد ذلك؛ لأني لم أرضها، أسوة بما رجعت عنه**).

ثُمَّ قال المفتي: بم كنتم تتذاكرون، وعمَّ كنتم تبحثون؟

فقلتُ: إما في معنى حديث، أو أثر، أو آية قرآنية، أو في مسألة فقهية أو أدبية، تنويرًا للفهم، على عادة مجالس أهل العلم.

فقال: بيِّن ما به تذاكرتم، وما عنه تباحثتم.

فقلتُ: مسائل عديدة لا تُحصى، من غرَّة رجب إلى الآن فكيف تُستقصى؟

ثمَّ قال: بلغنا أنكم تطالعون كتاب «كشف الغمَّة» للشَّعراني، وأنك وضعت عليه حاشية تبين فيها ما تجتهده من المعاني.

فقلتُ: أمَّا الكتاب فنطالعه لأنه من كتب الحديث، ولا يزال يقرؤه أئمة التحديث، وأمَّا الحاشية فكنتُ علّقت على أوائله حلَّ بعض

ألفاظ لغوية، أو ضبط كلمات خفية. فقال: ما لكم ولقراءة الحديث؟ وعزَّز بعضُ مجالسيه هذا القول الخبيث، بأنه يلزم قراءة الكتب الفقهية، والحجر على قراءة الكتب الحديثية والتفسيرية، ظنًّا منه أنَّ العلماء يمتثلون أمره، فقبَّحَ الله فكره، وأخمد ذكره، ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره. ثُمَّ قال: بحثتم في حديث: «من قال أنا مؤمن فهو كافر»[1].

فقلتُ: نعم فقد اسشكلنا معناه، ثُمَّ وجدنا الغزالي في «الإحياء» أماط اللثام عن وجهه السَّافر.

فقال: شاع ذلك عنكم في الأنام، وتناقله أهل الشَّام، وتربَّد وجهه واصفرّ، وتغيّر واكفهرّ. وأعضاء المجلس منهم الساكت، ومنهم المعين للسائل الماقت. هذا والقاضي منحنٍ وساكت، وعن هذه المسائل المضحكاتِ صامتٌ، ثُمَّ قال لي المفتي: إنك قلتَ في جواب مسألة: خُذْها على المذهب الجمالي!

فقلتُ: لا أتذكَّر أنَّه صَدَر مِنِّي ذلك في حال من أحوالي.

فقال: عندي على ذلك شاهدان، يثبتان هذا الشأن.

(١) قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٤٢٣): «[أخرجه] الطبراني في «الأوسط» بالشطر الثاني منه عن ابن عمر بسندٍ فيه ليث بن أبي سليم، وفي «الصَّغير» بالشطر الأول من قول يحيى بن أبي كثير بلفظ: «من قال أنا في الجنَّة فهو في النار»، وسنده ضعيف، وهو عند الديلمي في «مسنده» عن جابر بسند ضعيف جدًّا، ورواه الحارث بن أبي أسامة من جهة قتادة عن عمر بن الخطاب موقوفًا عليه وهو منقطع». اهـ، وعليه؛ فقد سقط الإشكال عنه بالكلية لضعفه.

فقلتُ له: هذا افتراءٌ وتزوير، فالحكم لله العلي الكبير.

فقال: أحد الشَّاهدين أبو زوجتك.

فقلتُ له: إنَّه متوفى من نحو عشر سنين ــ يعني وكفى ذلك تكذيبًا لمقالتك ــ.

ثُمَّ خاض في مسائل لم أتذكَّرها بعدُ. وثرثر وبربر، وكلح بوجهه وبسر، وكاد يطير مع بنات نعش، وحاص حيصة حمر الوحش.

ثُمَّ أذن لي بالانصراف. فخرجت من القاعة، وأُدخلت لحجرةٍ في المحكمة بين برانيها وجوانيها. وكان بها ابن المفتي وبعض الوجوه، فجلست معهم حصَّة، ثُمَّ قال لى البوليس: تفضل، فرافقني مع عسكريٍّ في المسير إلى دائرة البوليس، وأدخلوني على قصر رئيسهم، فدخلت عليه، فرحَّب بي، وسألهم عن السبب في إحضاري إليه، فأجابوه بأنَّ المفتي حكم بذلك عليه، وأن يوقف عندكم وقتيًّا، حتى يتَّضح الأَمرُ جليًّا. فقعدت وأنا أتأمل في هذه القضية، وأقول: هل يعدّ بحثنا في المسائل الدينية ذنبًا عند مفتي الحنفية[1]؟ فإنَّا لله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله. ويغفر الله للقائل:

لا تَعْتَبِ الوغدَ اللَّئيمَ إذا أَسَا	واصْبِر على مُرِّ الإِساءةِ والأَسَا
لا ذنبَ إلاَّ للزَّمانِ فقد بَغَى	حتَّى دعا الأذنابَ أن تَتَرَأَّسا
زمنٌ يُؤَخِّرُ رَبَّ كلِّ شهامةٍ	ويقدِّمُ السُّفهاءَ أن تتحمَّسا

(١) هو المنيني السابق ذكره.

زمـنٌ بـه ذُلُّ الأُسـودِ كمـا بـه عِـزُّ الكـلاب جـراءةً وتفـرُّسـا
زمنٌ بنى بيتَ الكمال على شفا جرفٍ وبيتَ النَّقْصِ شادَ وأسَّسا
زمـنٌ تنكَّـرَ كـلُّ معـرفـةٍ بـه أو مـا تـرى عَلَـمَ العلـومِ مُنكَّسَـا

هذا ما كان من أمر الفقير.

ثُمَّ بعدُ أتوا بالشيخ مصطفى الحلَّاق إلى مجلس الجماعة، وسألوه عمَّا سُئِلتُ عنه تلك السَّاعة، فقلب الأمر إلى المجون، وقال لهم: كنا نجتمع على البطون، وليس في أحد منا أهلية لما بلغكم عنا، وأوصيكم بوالدتي إذا في الحبس بتنا؛ فإنَّه ليس لها من يسأل عنها غيري، وهي الآن في البيت وحدها تنتظر عاقبةَ أمري.

فضحك بعض أهل المجلس عدا المفتي، فإنَّه سأله عمَّا سألني عنه، فأخذ يحاوله بمضحكات منه. ثُمَّ قرَّعه ووبَّخه وهدَّده، وأمر أن يوضع في حجرة بالمحكمة وحده، فأخذوه إليها، وحرسوه لديها.

ثُمَّ أَتوا بالأُستاذ الكبير الشيخ سليم سَمَارَهْ، ولم يراعوا سنه ولا مقداره، فسألوه فأجاب، ونطق بالحقِّ والصواب، وقال: والله ما في هذا المجتمع ما ينكر شرعًا ولا عُرفًا، ما هو إلَّا مذاكرةٌ في مسائل، ومراجعاتٌ على حل مشاكل، وتزاور وموالاة، وتعاطف وتحابٌّ في الله. فأخذ المفتي يقرِّعه ويقول: أنت رجل مُسنّ كبير، فكيف انخدعت ولم تشفق على قدرك الخطير؟

فقال له: وهل من اجتماع العلماء من باس، لا سيَّما إذا ضمَّ مذاكرة تفيد الجُلَّاس؟

فقال له: أما بلغك ما تواتر عنكم من الاجتهاد، وانتشر ذلك بين العباد؟ ثُمَّ قال له: ما تلك الحاشية التي كتبها فلان ــ يعنون الفقير ــ ؟ فقال لهم: هي في حَلِّ ألفاظ لغوية، أو توضيح جملة خفيَّة.

فقالوا له: إذن ثبتَ أنَّه يكتب حاشية على الكتاب!

فقال لهم: نعم، وما أبدى لهم من ارتياب، وتاللهِ ما بها ما يُنْكَرُ، ففيم هذا التهويل أيُّها المعشر؟

وبعد مسائل وكلام، أمر به أن ينصرف إلى حجرة أخرى، من حجر المحكمة الكبرى.

ثم أتوا بالشيخ سعيد الفرا، فدخل المجلس ودموعه أجرى، وبدأَ بتقبيل يد المفتي وبعض الشيوخ، ولم يكن له في ذلك المقام رسوخ. وغِبَّ أن سُئِلَ: أقسم بأنه ما عنده خبر بهذا الحال، وأنه اجتمع مدعوًّا مع أولئك الرِّجال، وتبرأ بالأَيمان من أن يكون له ميل إلى ما يخالف المذاهب، وقد شَرِقَ بدموعه، وتململه لديهم كان من الغرائب. فعنَّفه المفتي بالكلام. ورحمه بعض الحاضرين، وكان ترجَّاه الشيخ سعيد في صباح ذلك النهار برجاء متين، فقال مساعده للمفتي: هذا ليس من الجماعة، ولا من أهل تلك الإشاعة. فأمر به إلى حجرة في المحكمة أيضًا.

ثُمَّ أتوا بالشيخ أمين السَّفرجلاني فسألوه عن هذا الحال، فصدق في المقال، وأخبرهم بأنه اجتماع على مذاكرات حسنة، في مسائل

مُستحسنة. ثُمَّ قال لهم: وها شيخنا الشيخ بكري أفندي العطَّار قد حضر في بيتي، وشاهد أن ليس في جمعنا إنكار.

فقال له المفتي: لا تذكر الشيخ في هذا المقام، فإنَّ أخباركم قد شاعت في نوادي الشَّام. وبعد محاورته معهم أمر المفتي بوضعه في حجرة في المحكمة المذكورة.

ثُمَّ طلبوا توفيق أفندي الأيوبي، وكان حاضرًا في المجلس ابن عمّه رئيس كُتَّاب المحكمة سعيد أفندي الأيوبي، فقال له المفتي: ما هذه المسائل التي تسوقها في درسك من نجاسة أعيان الكافرين وغير ذلك؟

فأخذ يجيب عمَّا قرَّره، وما كانت المناسبة فيه، وأنه مرَّ عليه حديثُ أبي ثعلبة الخشني، رضي الله عنه[1]، في التفسير.

فعنَّفه المفتي، وقال له بعض أهل المجلس: ما لكم وللتفسير، وأين أنتم من كتب الفقه الخطير؟ واشترطوا عليه أن لا يعود لمثل هذا المقال، وأمروه بأن يراقب سياسة الحال، ونظرًا لكونه ليس من جماعتنا المعنيِّين، وإن كان على مشربنا بيقين،

(١) يعني الحديث الذي رواه البخاري (٩/ ٦٠٤)، ومسلم (٣/ ١٥٣٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني في حديث له يقول فيه: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنَّا بأرض قَوْمٍ من أهل الكتاب، نأكل في آنيتهم... فقال النبيُّ ﷺ: «أمَّا ما ذكرْتَ أنَّكم بأرْضِ قَوْمٍ مِنْ أهلِ الكتاب، تأكلون في آنيتِهم، فإن وجدتم غير آنيتِهِمْ فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا، فاغسلوها ثُمَّ كُلوا فيها...».

أمروه بالانصراف وسرحوه، وراقبوا خاطر قريبه المذكور وراعوه.

ثُمَّ تذاكر أهل المجلس بعضهم مع بعض، ورأوا أنهم قد أدوا ما لزمهم في تعزير الجماعة من الغرض، وكان بودهم أن يُقر أحدنا بصريح الاجتهاد، أو أن يزلَّ واحد مِنَّا فيلحقه الحمق منهم والعناد، فيبلغوا مأربهم من نفيهم من الشَّام، كما صمَّم عليه المفتي وقال: ما لهم في هذه البلدة من مقام! فردَّ الباري كيدهم في نحرهم، وانقلبوا صاغرين عن مكرهم.

ولما أمسى المساء، وفرغوا من هذه الأعمال المبرورة الحسناء، أمر المفتي بإحضار بقية جماعتنا المحبوسين بالحجرات إلى مجلس القاضي، وقال لهم: قد خطر للقاضي الآن العفو عنكم وتسريحكم، بشرط أن تتعهدوا بعدم العود للماضي.

فكفَّ البوليس يده عنهم، وانصرفوا من المحكمة، نائلين من هؤلاء الأكارم ــ بل الأعاجم ــ تلك الرحمة.

ثُمَّ خرج أهل المجلس من المحكمة، وفي مقدمتهم المفتي، وقد غصَّت أرجاء المحكمة وشعب أبوابها الثَّلاثة بالنَّاس، وكانت حادثة في البلد قامت لها وقعدت. فلما خرج المفتي من باب المحكمة لاقاه أخي محمَّد عيد[1] وقال له: لِمَ لم تأمر بسراح أخي؟ أهكذا الرأي السَّديد؟ واستطال عليه الأخ وبعض الحاضرين بالكلام، فخاف المفتي على

---

(١) انظر ترجمة أخيه الشيخ محمَّد عيد القاسمي في: «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» لراقمه (ص٦٦).

نفسه من أن يناله الضرب لما رأى من المساعدة للأخ من بعض العوام. وكان المفتي قصد بعدم سراحي تلك الليلة أن يجعلني مكان رهبة لبقية الجماعة؛ لِمَا أنِّي أصغرهم سنًّا وجسمًا[1].

ثُمَّ ذهب سيدي الوالد الماجد في المساء إليه، فأراد المفتي أن يثرثر عليه، فرفع الوالد صوته وأسكته، وأخرسه وأبهته، ولم يبال بالمقال، ولم ير له أدنى احتشام، ولا عبأ بما له من المقام، وقال له: أنت تعرف ترجمة ابني وحاله، وانفراده عن أقرانه بالتحصيل وكماله، وما استفرغت قوتك إلاَّ في أصغر الجماعة سنًّا. أظننت أن آله يذرون ما صنعت وهنًا؟ أين أنت ممن ينتقم الله لهم، ويرفع إلى الملأ الأعلى ابتهالهم؟ أما تخشى على ابنك الوحيد، فلا أحزنك المولى عليه كما لوَّعك على أخيه الفقيد؟ وكان للمفتي ابن كبير توفي قبل حادثتنا بشهرين، وأنسته قصَّتنا عن مصابه الكبير.

فلما أكثر الوالد من تهكمه قال له المفتي: غدًا خذه من ذقني. وأخذ يُلاطف الوالد ويُؤنسه عني.

وشرعتِ الأصدقاء والأقرباء بعد المغرب في زيارتي بدائرة البوليس، حتى دهشت وجوه تلك الدائرة من مرؤوسيها والرئيس.

ودعاني بعض رؤساء هذه الدائرة إلى العشاء معه، وقد هيأ فيه من أبدع الألوان الفاخرة، وصار يؤانسني إيناسًا عجيبًا، ويُبدي من اللطائف

---

(١) كان سنه في هذه الحادثة نحو الثلاثين سنة.

حالاً غريبًا، وأنا أحمد الله على هذه الحال، وأعلن بشكره تعالى أمامهم في المقال، وسهر عندي ليلتئذٍ في قصر منيف في تلك الدائرة مشرف على مرجة لطيف، جماعة من الأصدقاء، وفي مقدمتهم سيدي الوالد والأشقاء. ولما جاء ميعاد المنام، هيأ لي بعض وجوه الدائرة تختًا بديع الانتظام. فازددت حمدًا للمولى، على ما تكرَّم به على عُبيده وأولى.

ثُمَّ تَرجَّيتُ سيدي الوالد والجماعة بالانصراف لبيوتهم، فذهبوا بعد إباء شديد، لعظم شفقتهم. ثُمَّ نمت حسب عادتي، وقرأت وردي، وأخذت راحتي. ثُمَّ استيقظت ميعادي وقت السحر، وبعد أداء فريضة الصبح، إذا بنور سيدي الوالد عَلَيَّ قد سَفَرَ. فقمت لتقبيل يده، فدعا لي بما أرجو إجابته من المولى لخلوصه إليه. وبعد أن طلعت الشمس ودعاني للفطور من دعاني للعشاء، وأظهر غاية الأنس، وكان قد هيَّأ أقداح الشاهي، مع ما أعد من الطعام الزاهي. ثُمَّ تواردت علينا الناس، لسؤال الخاطر والإيناس، ومهما أراد أحد منهم أن يذكر لي ما يخفف الحال، أُظْهِرُ له حمد المولى وأبث له من الصبر جميل المقال. هذا ما كان من أمرنا.

ثُمَّ إن القاضي سهر ليلتئذٍ عند الوالي، وأعلمه أَنْ ليس فيما وشي إلى دولتكم عن الجماعة أمر ينافي الرضاء العالي. وكان قد ظن الوالي أنَّ في الجمع سرًّا سياسيًّا، فغِبَّ الفحص تحقَّقوا أنه ليس إلاَّ جمعًا علميًّا، وأُخبرت أن القاضي قال له: يحق أن يُفْتَخَرَ بهكذا جماعة، يتباحثون في مسائل علمية، ويحفظون وقتهم عن الإضاعة، وفكرهم

من أحوال السياسة خالٍ، ولا خطر لهم شيءٌ من شأنها على بال. فأسف الوالي على ما هيَّجوه، وعلى جماعتنا أحنقوه، وكان ذهب بعضُ الوجهاء الموالي، إلى بيت الوالي، وقال: أنا لا أحبُّ في أيامكم إلاَّ أن ينال العلماء غاية الإكرام، حتى يخلد لكم الثناء الحسن مدى الأيام، وهؤلاء الجماعة زهرةُ الشَّام، فالأولى ملاحظتهم بالإحسان التَّام.

فأشار الوالي على القاضي بتدارك الحال، وأمره بأن يسرحني بلا إمهال، فلم أشعر يومئذٍ قُبيل العصر إلاَّ والقاضي آت إلى دائرة البوليس، وداخلٌ إلى مجلس ما بها من الرئيس، فغِبَّ جلوسه برهة من الزمان، إذا داعٍ يدعوني إلى القاضي ذي الشان. فحينما دخلت عليه سلمت، فقام ناهضًا على قدميه، ثُمَّ قال لي من ترجم عنه: لا تأسفوا، فما حصل إلاَّ كلُّ خيرٍ ولطفٍ، فانصرِفوا بالأمان، وادعوا لمولانا السُّلطان.

وكان عندي وقتئذٍ في القصر ينتظرني والدي وبعض الإخوان، فدخلتُ عليهم، وأخبرتهم بكلام القاضي وما أبداه من اللطف في هذا الشأن. فخرجنا حامدين لله، على ما لطف وما بنا أولاه. وحينما وصلت للدار، كأني غيبتي هذه العشرين ساعة وقعت عند الناس أعوامًا عديدة، فهرعوا للسلام علينا، وأبدوا غاية اللطف إلينا.

وقال لي شيخنا الأُستاذ الشيخ محمَّد الخاني[1]: هذه الحادثة سببٌ لرفعتك، وظهورِ فضيلتك.

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله (ص١٧٠).

وكنت أقول كما قال بعض العارفين بمولاه: وممَّا مَنَّ الله به عليَّ أن أدرجني في سلك الذين أوذوا في الله. وكنت أتذكر لطف الله بي في هذه القضية، وأتفكَّر فيما حلَّ بالسَّادة السالفين من المصائب القوية.

وزارني بعض العلماء الأفاضل فقال: لقد أحرزتَ منقبةً ما أحرزها فاضلٌ.

فقلت: الحمد لله حيث نُقِمَ منا على دعوى الاجتهاد، ولم يكُ ذلك على مُنْكَرٍ يبغضه الله والعباد.

هذا ولمَّا امتنع الشيخ بدر الدِّين عن الحضور إلى المجلس المتقدّم المذكور، واعتذر بما مرّ، وأخبر الوالي بإصراره على إنكاره، وكانت مواعظه التي شدَّد بها النكير على ولاة الأمور وتطرق بها للأمير الكبير، هي التي في الحقيقة ضاعفت قضيتنا ارتفاعًا، وأوجبت لخرقها اتِّساعًا، وانضمَّ أمرنا بها إلى أمره، وظنَّ أنا يد واحدة في سيره، حنق الوالي منه أشدَّ الحنق، واعتمد على نفيه البتة من جِلَّق[1]، حيث إنَّ خوضه في السياسة جهرًا، وليس لمثل هذا الحال عند الحكام غُفرًا،

(١) اسم دمشق أو غوطتها، قال حسان رضي الله عنه يمدحُ آل جفنة:

لله دَرُّ عصابة نادمتُهُم يومًا بجِلَّقَ في الزمان الأَوَّلِ

انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٢٥/ ١٢٩ ـ ط الكويت).

وصدر حديثاً كتاب بعنوان: «البَرقُ المُتألِّق في محاسِنِ جِلَّق» لمحمَّد بن مصطفى ابن الرَّاعي، المتوفَّى سنة (١١٩٥هـ) في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة (١٤٢٩هـ).

ولكنَّ العناية أدركت الشيخ بدر الدِّين، فذهب أحد أولاد الأمير عبد القادر الحَسَني وهو عبد الله باشا، فاستعطف خاطر الوالي عليه، وأبدى له غاية الرجاء إليه، وفي اليوم الثاني ذهب الباشا المذكور بالشيخ بدر الدِّين إلى القاضي، فكلَّمه في مراعاة سياسة الوقت، وقال له: عفا الله عن الماضي.

ولما سكن الأمر بعد أيام، خرج الشيخ عبد الرزَّاق البيطار من بيته بسلام، وأخذه صديقُه رئيس كُتَّاب المحكمة سعيد أفندي الأيوبي إلى القاضي، وأبدى له الاعتذار عن تخلُّفه بمرضه، وتذاكرا في المسألة إلى أن حصل التراضي، هذا ما كان من أمر الجماعة.

وأمَّا أهل الشَّام، من العقلاء إلى العوام، فكلهم عادوا باللوم على المفتي، وقالوا: كان الأولى لمَّا سأله الوالي عن هذه الجمعية، وذكر له ما نمَّ به عليهم، أن يتلو عليه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الآية [الحجرات: ٦]. ويتعهَّد بأن يجمعهم في داره، ويسألهم عن الحال بما لا يخل من أحد بمقداره، ويشير عليهم بترك ذلك، حيث إنَّ الوالي مضطرب في هذه المسالك.

ولكن هيهات من ذاك المفتي هذا التدبير، فإنَّه يحتاج أن يكون لذي عقل كبير، لا لأحمق أخرق، يستفزّه الطّيشُ فيكاد يتمزَّق، كما امتلأ صدره مِنَّا غيظًا، وأصبح لئيمًا غليظًا فظًّا.

ونحن لا ننكر أنَّ كثيرًا من الأعيان أغروه علينا، بل من الأغرب ما وشى له بعض من يخلِصُ الحبَّ ظاهرًا إلينا، ولقد قال له بعض

المشايخ المُتصدرين: إنَّ هؤلاء إنْ دام جمعُهم لا نأمن أن يردوا فتوى المفتي، حيث إنَّهم يناقشون الأقدمين. كما أنَّ بعض المشهورين قال له: لو كان المفتي الحمزاوي حيًّا ما جسر أحد على دعوى الاجتهاد، وقد مات مَنْ كان يغار على مثل هذا الحال من الأمجاد. إلى غير ذلك؛ ممَّا قام به وقعد، وأرغى وأزبد، ولكن أين حرمة خرق العلم، وأين العقل في مغبَّة الأمور وقوة الفهم، وأين التثبُّت والرَّزانة، وأين الدهاء والرصانة؟

واستبان للعامة أنَّ هذه الخفة من الحسد الكمين، كما قالوا: وهل المفتي من رجال الجماعة في الفضل المبين؛ فإن أصغرهم ــ يعنون الفقير ــ يُقرؤه سنين.

ولقد غصَّ بريقه لما بلغه مجيء قاضي الشَّام لتسريحي بنفسه، وما ظنَّ أنْ يحصلَ للفقير هذا الاعتناء التام، ولكن قهره المولى وأعزني، رغمًا عن أنفه ورأسه.

وإذا كان العلاَّمة الخفاجي يقول في «الريحانة» مما شكا به زمانه، ما نصه:

«قد انهدمَ في الفضل بنيانُه، وانقضت عمدُه وأركانُه، وقُوِّضت خيامُه، واندرست رسومُه وأعلامُه، وصار أمرُ الفتوى والقضاء والمناصب العلمية ملعبةً وشعبذةً وسخريةً!» انتهى. فكيف بهذا الزمان الذي ظهرت فيه أشراط القيامة، ولُبِسَ لباسُ الجهل من النعل إلى العمامة، وكيف لا، ورئاسة مفتيه المذكور هجو الزمان، وإظهار

لعداوة الأحرار والأعيان، فلو لم يخسف بأهاليه، لما ارتفعت أسافله على أعاليه؟

كالبحر ترسُبُ في أسافله درزٌ وتعلو فوقَه جِيَفَه

أما خشي هذا اللئيم لمَّا أخذه الغضب، أن تؤرِّخَ مثالبَه أهلُ الأدب، فتبقى سُبةً له مدى الأيام. ومذمَّةً تتناقل إلى ساعة القيام؟ أيخال هذا الوغدُ أنَّ ما فعله نقصَ بالجماعة؟ كلا فإنه بذلك أظهر كامل فضلهم وأَشاعه، حيث أشهر أنهم ادعوا الاجتهاد، ولا مزية أعلى منها، إذ هي حلية الأئمَّة الأمجاد. ولكن تحاسد العلماء شهير، ومن القديم يقيمون على مثل هذا النكير.

هذا وبعد أسبوع من هذه القضية، وظهور براءة الجماعة من كل حالة غير مرضية، نهض أحد إخواننا وهو أمين أفندي السَّفرجلاني لتقديم عرض حال إلى الوالي يطلب فيه جزاء المفتري، وختمه منا، وغرضه الشكاية باطنًا على المفتي في ذلك، ثُمَّ أشرنا عليه بتركه غضًّا عن هذا الحال، وعفوًا عمَّا مضى.

ثُمَّ إن قاضي الشَّام، أراد في رمضان ذاك العام، أن يصنع وليمة خاصة لجماعتنا، استرضاءً لخاطرنا، فانتدب رئيسُ الكُتَّاب في محكمته وقال: أنا أقوم عن الوالي في قصد وليمته. فدعا الرئيس المذكور جماعتنا في رمضان، فحضرنا عنده، وأبدى لنا كلّ رفعة شان. ثُمَّ إن معظم جماعتنا أعرضوا عن المفتي وزيارته، وألقوه في زوايا الخمول على رتبته، وبالأخص الفقير والشيخ عبد الرزاق البيطار، فإنا

أهملناه، وأظهرنا له كل أنفة وانقباض وازورار، مما لم يخطر له على بال، ولم يتصوره بحال، إذ كان يأمل أن تفد إليه جماعتنا بعد انفضاض القضية، ويسألوا خاطره نِفاقًا على ما أبداه من التلطف في التخفيف من حالتها القوية. فهناك يبدي منَّته عليهم ويقول: لولا ما أجريناه لكان الأمر أشدَّ منه إليهم. ويبدي التمويهات الباطلة، والامتنانات العاطلة. وإذا بمعظم جماعتنا عاملوه بعكس أُمنيته، فغصَّ بريقه؛ إذ فقدت جلالة حيثيته، وانقلبت مجالسنا في كل محفل بلومه وتعنيفه، وسوء تدبيره وتهريفه، وما بقي أحد من العُقلاء والكُبراء إلَّا وعاد باللائمة عليه من كل الأنحاء، خلا مَنْ كان على شاكلته، ممَّن لا يميز فريضةَ الفضلِ من نافلته.

وبقي الحال نحو عشرة أشهر على ما شرحناه، ونحن لم نقطع اجتماعاتنا السالفة، وقد كان نهى عنها، فما عبأنا بما رسمه وعناه. فلما ضاق الأمر عليه، صار يتطلَّب زيارة أكبرنا، وهو الشيخ عبد الرزاق البيطار، ويقول لأخصائه: صار لنا مدة ما رأيناه، ظنًّا منه أن الشيخ يأتي إليه ابتداءً بلا افتكار. فتوسَّط أحد أحبَّاء الشيخ وترجَّاه في ابتداء زيارته، فأقسم لا يبدؤه ما دام في قيد حياته. فحينئذٍ تجشَّم المفتي لقاءه، وذهب لزيارته في داره، وأظهر له من الود صفاءه. فبعد نحو أسبوعين أو أكثر قابله الشيخ برد الزيارة، وبسط للعتاب المقال الأوفر، واعتذر المفتي له بأن من أغراه علينا غير واحد، وأن نصرنا كان من فضل الله الواحد الماجد، ولم يكن

بواسطة أحد من الأعيان، كما يوهمكم من يشيع ذلك عن بعض كُبراء الزمان.

وكان شاع لدينا أنَّ بعض البشوات في مجلس الإدارة هو الذي لَطَّفَ الأمر إلى هذه الدَّرجة مع الوالي ذي الوزارة، وأنَّ الوالي كان قال: أنا أُجليهم عن الأوطان، رأسًا بلا استئذان؛ حتى أحاله الباشا في المذاكرة، إلى مجلس القاضي غِبَّ المحاورة. هكذا ذاع، وفيما بيننا شاع. فأقسم المفتي ثلاثة أيمان أنه لم يأخذ بيدنا أحد إلاَّ الرَّحمن جلَّ جلاله، وعمَّ نواله، وقال: لا تحتملوا مِنَّة أحد؛ ولا تشكروا إلاَّ الفرد الصمد. ورأى المفتي أن مصالحته مع أكبرنا، تقوم لدى جمعيتنا مقام إرضاء خاطرنا.

ثُمَّ إنَّ الشيخ رأى أن انفراده بالمصالحة دون الإخوان، ليس من وفاء الوداد وكامل الإحسان، فانتدب حفظه الله لعمل وليمة شائقة، ودعوة فائقة، دعى إليها جمعيتنا بتمامها، والمفتي، والأُستاذ الجليل المقدار، الشيخ بكري أفندي العطَّار، وسيِّدي الوالد وأخا داعينا الشيخ عبد الغني البيطار؛ وذلك في إحدى الجمادين من سنة (١٣١٤)، فغِبَّ تناول الغداء، ثُمَّ أداء صلاة الجمعة في جامع الدقاق، عدنا جميعًا مع المفتي ومن ذكر إلى دار الشيخ بغاية الصفاء، ومكثنا إلى قُبيل العصر في الدار.

ثُمَّ استأذن المفتي في الانصراف، ودعانا إلى الذهاب معه

للعسالي[1]، فأبدينا الاعتذار، وغِبَّ انصرافه مكثنا بُرهةً من الزمان، ثُمَّ ودَّعه الإخوان. وسقط في أيدي المفسدين، لما رأوا ما كان من أمر الصلح المكين، وأصبحوا ساقطين من العيون، وبسيماهم وتملُّقهم يعرفون.

ومع ما أظهره المفتي من اللطف مع الإخوان، لم تسمح نفسي بالذهاب لزيارته في حين من الأحيان، حتى جاء رمضان سنة (١٣١٥)، ففيها أرسل مكتوبين فخمين لحضرة سيدي الوالد الكبير، ولابنه الحقير، يدعونا للإفطار عنده. وتتميمًا لودِّنا دعا في ذلك النَّهار أيضًا الشيخ عبد الرزَّاق أفندي وأخاه والشيخ سليم سَمَارَهْ، فاجتمعنا عنده في الفطور، واحتفل بنا غاية الاحتفال بالسرور، وبقينا لقرب العشاء، ثُمَّ ذهبنا وودَّعنا بتمام الاحتفاء. وكان هذا الاجتماع آخر اجتماعاتنا معه ولم تطل مدة حياته بعد ذلك إذ مرض في رجب سنة (١٣١٦)، وعُدْتُهُ مع سيدي الوالد.

وفي غرَّة شعبان درج ومضى كأنه ما كان.

ومن العجب العُجاب أنَّ الحقَّ تعالى انتقم من كل من سعى بالفساد في هذه القضية، وعاجلهم بعدله سبحانه، ورأى كل واحد أدهى بلية. فمنهم ــ والله الذي لا إلـٰه غيره ــ مَنْ عَمِيَ وفقد بصره من

(١) هي قرية سكنية جوار قرية القدم جنوبي دمشق؛ وتنسب إلى الشيخ أحمد بن علي العسَّالي، المتوفى بدمشق سنة (١٠٤٨هـ)، «معالم دمشق التاريخية» (ص٤٠٦) لأحمد الإيبش وقتيبة الشهابي.

عينيه، ومنهم ــ والله ــ من فُلِجَ، ومنهم عُجِّلت له منيتُه، وهم ثلاثة أشخاص. ومن عاش منهم قُيِّض له مَنْ هجاه في قصيدة في بعض الحوادث جرت بينهم وبين آل الخطيب شاعت، وفي كافة البلاد ذاعت، حيث ذكرت فيها مساوئهم ومثالبهم، نعوذ بالله من مكره، ولو شئت أن أسميهم واحدًا واحدًا لفعلت، ولكن الستر أولى وأحسن، وكفاهم ما حلَّ بهم من هذه المحن.

وبعد هذه الحادثة ارتفع بحمد الله قدرنا، وعلا بفضله وستره أمرنا. أقول ذلك تحدُّثًا بنعمة الله، فالحمد لله ثُمَّ الحمد لله.

وقد قلتُ:

زَعَمَ النَّاسُ بِأَنِّي ... مَذْهَبِي يُدْعَىٰ الجَمَالي

وإليهِ حينما أُفـ ... ـتِي الورى أَعْزُو مَقَالي

لا وَعَمْرُ الحَقِّ إِنِّي ... سَلَفِيُّ الانْتِحَالِ

مَذْهَبِي مَا فِي كِتَا ... بِ الله ربِّي المُتَعَالي

ثُمَّ ما صَحَّ مِنَ الأَخْبَـ ... ـارِ لا قِيلَ وَقَالِ

أَقْتَفِي الحَقَّ وَلاَ أَرْ ... ضَىٰ بِآرَاءِ الرِّجَالِ

وأَرَى التَّقْلِيد جَهْلاً ... وعَمًى فِي كُلِّ حَالِ

وقلتُ:

أقولُ كَمَا قَالَ الأَئِمَّةُ قَبْلَنَا ... صَحِيحُ حَدِيثِ الْمُصْطَفَىٰ هُوَ مَذْهَبِي

أألبسُ ثَوْبَ القِيلِ وَالقَالِ بَالِيًا ... ولا أَتَحَلَّى بِالرِّدَاءِ المُذَّهَبِ

وقلتُ:

زعموا بأنَّ مَنِ اقْتَفَىٰ الآثَارا أَوْلَى الَّذِيْنَ تَقَدَّمُوا الإِنْكارا
كلا، فأجرُ الاجتهادِ لهم سوى متعصبٍ يَتَأَوَّلُ الأَخْبَارا

غريبة تقرب مما تقدّم

قَدِمَ في أواخر ربيع الأول سنة (١٣٢٢) دمشق من مصر، العالم الفاضل، السيد أحمد بك الحُسَيْني المحامي[١] الشهير، ثمة، وكان سبق له الاعتناء بنا في مصر، أيام رحلتنا إليها، كما بينته في تاريخ رحلتي للأقطار المصرية، اعتناءً ندر نظيرُه. فذهبتُ للسَّلام عليه، وكان نزل في لوكندة في المرجة، ووفد للسَّلام عليه كثيرٌ مِن أهل الفضل، فلم نشعر إلاَّ بطلبٍ من الحكومة، لمواجهة مدير البوليس. فذهبتُ، ورأيت جماعة ممن وفدوا لزيارته، مأتيًّا بهم.

فلمَّا دخلنا على المدير، قام واحتفل، وأمر بالقهوة، وقدَّم لنا شراب الدخان، فأشرنا له بأنَّا لا نستعمله. ثُمَّ طَفِقَ بعد برهة يتلطَّف بنا، بالسؤال عن سبب معرفتنا بالسيد أحمد بك، فذكرنا له اجتماعنا به في مصر، وإكرامَه لنا بها، وأنه لما بلغنا مقدمه زرناه؛ لأن القادم يُزار. فقال: قد بلغ مسامع الحكومة عنه ما يسوء، وقد نمي إلينا بأنكم تجتمعون به، فننصح لكم أن لا تجتمعوا به.

---

(١) هو العلاَّمة الفقيه المحامي أحمد بن أحمد بن يوسف الحُسَيْني القاهري، من فقهاء الشَّافعية، وُلد سنة (١٢٧١هـ)، له عدَّة مؤلَّفات مطبوعة، منها: «دليل المسافر»، تُوفي سنة (١٣٣٢هـ). «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٤).

فقلنا: سمعًا وطاعة.

ثُمَّ انتظر المدير مَن أرسل وراءهم، من بقية من زاره، فلم يحضر إلاَّ اثنان غيري من أهل العلم. فقام وقال: نذهب للوالي. فسرنا معه، فسبقنا إلى قصر الوالي، وناجاه حصة، ثم أُذن لنا بالدخول على الوالي، وهو الوزير ناظم باشا. فصادفناه واقفًا، فسلمنا عليه، فرحَّب وأشار بالجلوس قريبًا منه فجلسنا.

ثُمَّ نادى بأن يحضر لمجلسه محمَّد باشا العظم، وكان بحجرة قريبة من حجرة الوالي، فقدم. فقام له الوالي، فقمنا. وبعد أن جلس، اتخذه الوالي ترجمانًا يترجم لنا بالعربية ما يتكلم به الوالي بالتركية.

فكان خلاصة الكلام المترجم: إنَّ الوالي بلغه أنكم تقولون بالاجتهاد، وتدعون الناس له، وأنه تكرر منكم ذلك. وهذا لا يناسب ما تقرَّر من أمر المذاهب، وأنَّه لما يعهده من فطنتنا وذكائنا يتأمَّل أن لا يبلغ مسامعه ذلك عنكم، وأنه عاملنا الآن بلطف ومرحمة، ولو كان غيره واليًا، لربَّما أجرى ما لا يُحْمَدُ. فالتفت أحد رفقائنا وأنكر ما بلغ دولته، وأخبره بأنا مشتغلون بشؤوننا.

ثُمَّ قال الوالي بعد حصة طويلة موضوعها تكرار ما تقدَّم: مَنْ هذا الرَّجل القادم مِن مصر، ومِن أين لكم المعرفة به؟

فأخبرناه بما تقدَّم. فطفق يبحث: هل هو من أهل الاجتهاد، ومن القائلين به؟

فقلنا: هو فقيه شافعي، وله مؤلَّفات فقهيَّة، ومشربه الظَّاهر هو هذا، وسوى ذلك لا ندري.

وذكر أحد رفقائنا للوالي موضوع بعض مؤلَّفاته التي ناقش بها الحنفية في مسألة الصاع (التي أوغرت صدور بعض وجهاء الحنفية في الشَّام عليه، فأتم السعاية عليه).

وبعد تحذيرنا من الاجتماع معه أذن لنا بالانصراف، فانصرفنا، وذلك عصر يوم الثلاثاء ٢ ربيع الثاني من السنة المذكورة.

ثُمَّ تبين لنا أنَّ البيك المنوَّه به قُدِّمَ به جرنالٌ في سوء أمره للوالي، بما هو بريءٌ منه، وقيد في دفتر أسماء الواردين لزيارته، فاحتاطت الحكومة، على عادتها، وكأنه حصل مذاكرة في الجماعة الذين زاروه، فقيل له إنهم من المجتهدين، ولعلَّه منهم، فتمَّ ما تمَّ على هذا الضيف. وقد روقب في حركاته وسكناته، ووضع له من يتأثر ذهابه وإيابه من الشُّرَط.

وقد بعث البيك يريد ردّ الزيارة لي، فأعفيته، وتباعدت عنه. وسيلقى الذي سعى به، واتَّهمه بما هو بريء منه جزاء ما قدمت يداه، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله. (كتبته يوم الخميس في ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢).

ولمَّا بلغ ما جرى للبيك المنوَّه به مسامع صديقنا الفاضل رفيق بك العظم كتب إليَّ من مصر كتابًا منه:

وقد تأسَّفت على صاحبكم، ولم أستغرب ما حصل له، مع استقامة مشربه، فإنَّ هذا داءٌ سرى في نفوس الأَذْنياء الذين يتذرَّعون بمثل هذه السفاسف، إلى ما يعلم الأخ، فلا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، وهو المستعان على مثل هذه الحال.

* * *

ذكر ابتداء الفقير الدَّرس العام بين العشائين في جامع السِّنانية بعد سيدي الوالد المرحوم

لمَّا أُصِبنا بفقد عزيزنا وسيِّدنا حضرة نُخْبة الفُضلاء، وعين العلماء الأُدباء، سيدي الوالد، الماجد، قدَّس الله سِرَّه، وأعلى منزلته في الجنان وأَسَرَّهُ، وذلك في ٢٣ شوال صبيحة الجمعة سنة (١٣١٧)، وكان ما كان من تلك الفاجعة الأَليمة، والمصيبة العظيمة كما بسطتها في كتابي الذي جمعته في ترجمته ومنظوماته وسمَّيته: «بَيْت القَصيد في تَرْجَمَةِ الإمام الوالد السعيد»[1]، ففي اليوم الثاني وهو يوم السبت اجتمع في دارنا بعضُ أصحابنا الأجلَّاء وفي مقدمتهم العلاَّمة الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار، والأُستاذ النِّحرير الشيخ طاهر أفندي الجزائري ثُمَّ الدِّمشقيّ[2] وغيرهما، فذهبوا بالفقير إلى

(١) طبع هذا الكتاب في ضمن الكتاب الذي جمعته عن آل القاسمي (ص١٩٧).

(٢) هو الشيخ طاهر بن صالح الجزائري الدِّمشقي، وُلد سنة (١٢٦٨هـ)، وأخذ عن الشيخ عبد الغني الغنيمي، وهو أحد دعاة الإصلاح والتعليم في دمشق، له مُؤلَّفات عديدة، أفرده بالترجمة تلميذه محمَّد سعيد الباني بكتاب عنوانه: «تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر»، وأفاض محمَّد كرد علي في ترجمته في مطلع كتابه «كنوز الأجداد»، ولعدنان الخطيب كتاب مطبوع بعنوان: «الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشَّام»، ولحازم زكريا محيي الدِّين: «الشيخ طاهر =

قاضي الشَّام في المحكمة الكُبرى، فدخلنا عليه، وعزَّانا بفقد سيِّدي المرحوم، ثُمَّ نوَّه الجماعةُ له بالفقير، وأنَّه أكبر أولاد المرحوم، وأَريته براءة[1] سيدي الوالد الحميديَّة في إمامة الشَّافعية بجامع السِّنانية المؤرخة سنة (١٢٩٧)، فأمر القاضي حالاً بتوجيه الوظيفة المذكورة على الفقير، وإخراج تقريرٍ وإعلام، وإجراء المعاملة عليه لاستجلاب براءة سُلطانية طبقه.

ثُمَّ بعد مضي أيَّام صار جيران الجامع وقُوَّامه يحثُّون الفقير على بداءة درس في الجامع، مكان سيِّدي الوالد، لإحياء البُقعة، وجمع شمل الناس فيه، فاعتذرت بفقدان المفكرة والذاكرة، لما دهمنا وحلَّ بنا، ثُمَّ ألحوا كثيرًا، وتوسَّلوا بمن لا يُرَدُّ كلامه لدينا، فعزمت على ذلك، واستعنت بالقوي المالك، وعينت لهم البداءة ليلة الأحد في ٣ ذي القعدة الحرام سنة (١٣١٧)، واخترت قراءة كتاب «رياض الصالحين»، لكون الجد كان قرأه في هذه البُقعة، وكذلك سيدي المرحوم؛ وكونه كتابًا لم يؤلَّف نظيره في موضوعه، وقد نوَّه بانفراده في بابه الإمامُ المجتهد محمَّد بن المرتضى اليماني في كتابه «إيثار الحَقِّ». فبدأته من أوله، وأحبَّ حضرة سيدي عمي الفاضل الكامل

= الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشَّام في العصر الحديث»، تُوُفِّي الشيخ طاهر سنة (١٣٣٨هـ).

(١) براءة: شهادة أو: أمر صادر عن الدولة يقضي بالإذن لحامله في مباشرة العمل المكلَّف به ضمن دائرة اختصاصه. «معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة» لمصطفى الخطيب (ص٧١).

الشيخ محمَّد أفندي القاسمي[1] أن يدعو لحضور بداءته أعيان العصر وفضلاءه، فدعاهم، ولم يتخلَّف أحد إلاَّ لعذر، فمن حضر ليلتئذٍ شيخُ العلماء، ومُقَدَّم الفضلاء، شيخنا الشيخ بكري أفندي العطَّار، ومفتي الشَّام الفقيه النَّبيه الشيخ صالح أفندي قطنا[2]، ونخبة العلماء الشُّرفاء، الفاضل السيد أحمد الحَسَني الجزائري أخي الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، والعالم الصَّالح الجليل الشيخ سليم سَمَارَهْ الميداني، والفاضل الفقيه الخطير الشيخ أبو النَّصر الخطيب[3]، وريحانة الأُدباء الأجلاء الشيخ عبد المجيد أفندي الخاني[4]، وبهجة الأدباء اللُّطفاء

(١) انظر ترجمته في: «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» لراقمه (ص١٧٣).

(٢) مفتي الشَّام، شيخ الحنفية الشيخ صالح بن محمَّد قطنا ــ نسبةً إلى بلدة قريبة من دمشق ــ وُلد سنة (١٢٥١هـ)، وأخذ عن علماء دمشق، تولَّى الإفتاء بعد وفاة الشيخ محمَّد المنيني سنة (١٣١٦هـ)، وتوفي سنة (١٣٣٥هـ). ترجمته في: «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٧٣١).

(٣) خطيب الجامع الأموي والمدرس فيه الشيخ محمَّد ناصر الدِّين أبو النصر بن عبد القادر الخطيب، وُلد سنة (١٢٥٣هـ)، أكثر من الرحلة، وجاور بالمدينة النبوية، وأخذ عن علمائها، وتوفي سنة (١٣٢٤هـ). ترجمته في: «حلية البشر» للبيطار (١/ ١٠٠، ١٠١)، و«مُنتخبات التواريخ لدمشق» للحصني (٢/ ٧١٠).

(٤) ترجم له الشيخ جمال الدِّين في «تعطير المشام في مآثر دمشق الشَّام» (٣/ ٥١ ــ ٥٩)، حيث قال: «الشيخ عبد المجيد ابن شيخنا محمَّد بن محمَّد بن عبد الله الخاني، الدمشقي الشافعي، أديب كبير، وبليغ شهير، انفرد بين أقرانه بجودة الصناعتين جودة فاقت الوصف، وذوق للدقائق الأدبية بلغ الغاية، ورقة حاشية ولطف سمتٍ إلى النهاية، وُلد سنة (١٢٦٣)». ثم ذكر حضوره دروس العلم.

=

الشيخ محمَّد بن محمَّد المبارك الجزائري[1]، والأُستاذ الفقيه المُعَمَّر البَركة الشيخ أمين البَيْطار[2]، إمام الحنفية بالجامع المذكور السِّنانية، والمولى توفيق أفندي المنيني ابن المفتي السابق محمَّد أفندي

= ثُمَّ قال: «وكان له في عنفوان الشباب مع سيدي الوالد المودَّة الفريدة، وكان يُحيي معه الليالي الطويلة إلى الصباح ويتجاذبان أطراف اللطائف الأدبية، وكنت آنس بزيارته لنا...».

وذكر أنه توفي سنة (١٣١٩هـ)، وانظر: «الأسرة الخانية الدِّمشقية» لعلاء الدِّين الخاني (ص٤٥ ــ ٥٦).

(١) قال الشيخ جمال الدِّين: «الشيخ محمَّد ابن الشيخ المبارك المغربي الجزائري ثُمَّ الدِّمشقي، أحد الأساتذة الأفاضل والأُدباء البارعين، وُلد في بيروت سنة (١٢٦٣هـ)، أثناء قدوم والده إلى الديار الشَّاميَّة، ثُمَّ يمَّم والده دمشق واستوطنها، وذكر أخذه طرفًا من العلوم العربية وغيرها عن أهل العلم، وحفظه للمقامات الحريرية عن ظهر قلب، وألَّف عدَّة مؤلَّفات في المقامات والمفاخرات الأدبية، منها: «مقامة في المفاخرة بين الغربة والإقامة»، وأخرى «بين الأرض والسماء»، وله: «بهجة الرائح والغادي في أحاسن محاسن الوادي» وكلها مطبوع، توفي سنة (١٣٣٠هـ). انظر ترجمته في: «تعطير المشام» (٣/ ٨٥ ــ ٨٧)، و «حلية البشر» للبيطار (٣/ ١٣٥٤ ــ ١٣٦٨)، و «المعاصرون» لمحمَّد كرد علي (ص٣٦٧ ــ ٣٧٢).

(٢) هو الشيخ الفقيه المعَمَّر أمين بن عبد الغني البيطار، وُلد سنة (١٢٣٤هـ)، وأخذ عن الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، والشيخ حسن البيطار، والشيخ عبد اللطيف فتح الله مفتي بيروت، وكان كثير المداومة للإقراء والتدريس في كتب الفقه الحنفي، توفي سنة (١٣٢٦هـ).

ترجمته في: «حلية البشر» للبيطار (١/ ٣٤٢، ٣٤٣)، و «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٧).

المنيني[1]، والأديب الشَّريف السيد عبد الباقي الحَسَني الجزائري[2]. وسواهم من طبقات وسطى وصغرى.

وممن كان دعي فلم يحضر لمرضه الأُستاذ الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار، وعُدْتُهُ في اليوم الثاني في صحبة صفينا السيد أحمد الحَسَني، فوجدناه في الفراش.

فحضر المتقدمون جميعًا بعد المغرب، وانتظرت المفتي، فجاء بعد مضي نصف ساعة ودقائق من أذان المغرب، فقعدنا نحن وإيَّاه حصة في بيت السَّاعات في الجامع المذكور. ثُمَّ دخلنا نحن وإيَّاه إلى الحرم. فبعد أن جلسنا، وقرأ أحد الحُفَّاظ عشرًا من القرآن الكريم، أعاد الدرس أخي محمَّد قاسم خير الدِّين، سلَّمهُ الله تعالى، وبعد فراغه قرأتُ خطبة الدرس بعونه تعالى، ثُمَّ قلت بعد أن تلوت شيئًا من خطبة «رياض الصَّالحين» هذه المقالة وهي:

«قد جرت عادةُ أسلافنا وأشياخنا المُحققين، قدَّس الله أرواحهم أجمعين، أن يذكروا في مثل هذا المجلس سندَهم لمؤلِّفِ مقروئهم، وأن يذكروا بعض مشايخهم والآخذين عنهم، والمجازين منهم، تجديدًا لذكرهم، وطلبًا للترضِّي عنهم، والترحُّم عليهم. وإنِّي مع قصر

---

(١) هو أحد خطباء الجامع الأموي توفيق بن محمَّد المنيني، تُوفي سنة (١٣٥٣هـ). «علماء دمشق في القرن الرابع عشر» لمطيع الحافظ وصاحبه (٣/ ١٢٥).

(٢) الشيخ محمَّد عبد الباقي الجزائري، ابن أخي عبد القادر الجزائري، وُلد سنة (١٢٦٧هـ)، وتُوفي سنة (١٣٣٥هـ)، «منتخبات التواريخ» (٢/ ٧٥٦).

باعي، وقلَّة بضاعتي، ووفور انكساري، أتأسّى بهديهم، وأقتدي بصنعهم تشبُّهًا بهم، كما قيل:

إنْ لَمْ تكونوا مِثْلَهم فَتَشَبَّهُوا ... إنَّ التشبُّهَ بالكِرامِ فَلاحُ

وأقول:

لولا التَّبَرُّكُ ما جَلَسْتُ بِمَجْلِسٍ ... حَلَّتْ به الفُضَلاءُ والكُبَراءُ

فَلَئِنْ أَصَبْتُ فَمِنْهُمو أو إنْ يَكُنْ ... خَطَأٌ وَسَهْوٌ إنَّهم كُرَماءُ

فأقول ــ مُتَطَفِّلاً على موائد عفوهم ــ: إنَّ من أعظم أشياخي عندي، وآمنهم عليّ، وأكثرهم حقوقًا لديَّ، سيدي وسَنَدي والدي المرحوم، أغدق الله على روضته سحائب الرضوان، وأحله في أعلى فراديس الجنان، وجزاه خير ما جزى والدًا عن ولده، ومُرشدًا عن مرشده. ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

فقد قرأت لديه ــ عليه الرحمة ــ جملة كثيرة من فنون العربية، وكُتُبًا فقهيَّة وحديثيَّة وتوحيديَّة، وقد أحسن تربيتي غاية الإحسان، ولم يزل يربيني في حِجْره، ويُغدقُ عليَّ بما تصل إليه يد الإمكان، فجزاه الله أحسن الجزاء وأتمَّه، ولقَّاه من النَّعيم الأُخروي أعمَّه...[1].

ولنقتصر على هؤلاء الأساتذة الأخيار، بوأهم المولى دار نعيم

---

(١) ساق الشيخ جمال الدِّين بعد هذا جملة من شيوخه وما قرأه عليهم مما تقدَّم ذكر بعضه، وسيأتي إن شاء الله ذكرهم في إجازاتهم وتراجمهم (ص١٠٥).

الأبرار، وإلاَّ فاستقصاء من شملتني بركتُه وإجازتُه، لا يسعه هذا المجلس.

وأمَّا أعلى سند للفقير إلى سيِّدنا النَّووي قُدِّسَ سِرُّه، مؤلف هذا الكتاب، فهو روايتي لهذا الكتاب وسائر مصنفاته عن سيِّدي الوالد، عن سيِّدي وجدِّي بركة عصره العلاَّمة الشيخ قاسم، ولسيدي الجد أسانيد عديدة، فإنَّه قُدِّسَ سِرُّهُ أخذ عن مُسْنِد الشَّام الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، وهو أجل أساتذته. ومن مشايخه أيضًا العلامة الشيخ سعيد الحلبي. ومنهم الإمام الجليل السيِّد الشيخ محمَّد الدسوقي نسبًا، الدِّمشقي. ومنهم ولده العلاَّمة السيد الشيخ صالح الدسوقي. ومنهم العلاَّمة الشيخ إبراهيم الباجوري، فإنه عام رحلته إلى مصر سنة (١٢٧٠) استجاز منه، فكتب له إجازة فخيمة، ومن مشايخه العلاَّمة الشيخ يوسف الصَّاوي المدني، استجاز منه في إحدى حجاته سنة (١٢٦٦)، وله أشياخ أخر.

وأعلى إسناد له في هذا الكتاب ــ وسائر مصنَّفات الإمام النَّووي ــ عن أستاذه جدّ جدَّتي السيد محمَّد الدسوقي المنوَّه به، وهو يرويه عن أستاذه العلاَّمة الشيخ علي السُّليمي الصَّالحي، المترجم في «تاريخ المرادي»[1]، وهو يرويه عن شيخه العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي، وهو يرويه عن الإمام نجم الدِّين الغزي، عن والده بدر الدين الغزي، عن القاضي زكريا الأنصاري، عن حافظ عصره

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ٢١٩).

أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، عن الحافظ زين الدِّين عبد الرَّحيم العراقي، عن علاء الدِّين العطار، عن شيخه الإمام النووي، رضي الله عنه، أحد الأفراد الأعلام، المنعوتين بشيوخ الإسلام، مشى على قدم السَّلف الأعيان، وسار سيرة لم يختلف في كمالها اثنان. وقد ترجمه التَّاج السُّبكي في «طبقاته»، و «الإسنوي»، وابن شاكر في «ذيله على تاريخ ابن خلكان» وغيرهم.

وُلد رضي الله عنه سنة ثلاثين وستمائة بقرية نوى، وقدم به أبوه إلى دمشق، وتوطنها للتعلُّم والتعليم، ثُمَّ سار إلى بلده، وتوطنها في آخر أمره لبعض البواعث، وتُوفي بها سنة ست وسبعين وستمائة، عن ستَّة وأربعين عامًا.

قال السبكي في «طبقاته»: وأنا إذا أردت أن أجمل تفاصيل فضله، وأدل الخلق على شرف مقداره، لم أزد على بيتين سمعتهما من الشيخ الوالد ــ يعني والده ــ التقي السبكي، لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية سنة (٧٤٢)، وكان يخرج في الليل إلى إيوانها، فيتهجد تجاه الأثر الشريف، ويمرغ وجهه على البساط الذي كان الإمام النووي يجلس عليه وقت التدريس وينشد:

وفي دارِ الحديثِ لَطيفُ معنى ... على بُسُطٍ بها أَصْبو وآوي

عسى أَنِّي أَمَسُّ بِحُرِّ وَجْهي ... مَكَانًا مَسَّهُ قَدَمُ النَّواوي

نفعنا المولى بعلومه، ووفقنا للمشي على منهج الاستقامة بفضله وكرمه، آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

وقد حكىٰ لي بعض الأُدباء ممن حضر هذا المجلس المذكور ليلتئذٍ: أنَّ سماع هذه الأسانيد أهاجت من بعض الفُضلاء تطلبها، والسَّعي في الاستجازة من الأخيار المُعاصرين، وأسِفَ على كونه لم يوفّق للاتِّصال بالطَّبقة التي نوَّهت بالاتِّصال إليها، ثُمَّ اجتمعتُ به، فحكى ذلك وطلب من الفقير إجازةً له، ثُمَّ جاءني أحد تلامذته النُّجباء، ورام مني إجازته فأجبته بعد الإباء، عِلمًا بقصوري عن هذا المقام، والحمدُ لله العلاَّم.

فصل

وقد أتممتُ بحمد الله تعالى قراءة «رياض الصالحين» المذكور المعينة بين العشائين، ليلة الخميس الحادية عشرة من شهر ربيع الأول سنة (١٣١٩)، الموافقة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر حزيران، وذلك في صحن الجامع المذكور، وكان تخلَّل مدَّة قراءته عوائق نحو ثلاثة أشهر ونصف مفرقة في خلال المدة المذكورة، وكان المُعيد لي في جميعه شقيقي خير الدِّين قاسم، وحضر الختم أخي وشقيقي صلاح الدِّين[١]، سلَّمهما الله تعالى، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) انظر ترجمته في: «آل القاسمي» لراقمه (ص٩١).

تراجم شيوخه
ونصوص إجازاتهم له



تراجم شيوخه ونصوصُ إجازاتُهم له

قال العلاَّمة القاسمي:

إنَّ الأساتذة آباءٌ في الدِّين؛ فجديرٌ بالعاقل أن يُقَدِّرهم أقدارهم، وينشـرَ مآثرهم وآثارهم، ويمحضهم الشُّكـرَ والدُّعـاءَ لهم في السَّرَّاء والضرَّاء؛ والنَّسبُ الرّوحانيُّ لا يقلّ ــ إن لم يتفوّق ــ عن النسب الجسماني، وقد كان ينشدنا الإمام الوالد السَّعيد ــ قدَّس الله سرّه ــ كثيرًا:

أُقـدِّم أُستـاذي علـى فَضْـل والـدي ... وإنْ نالني من والدي الفضلُ والشَّرف

فهذا مُربِّي الرُّوحِ والرُّوحُ جوهرٌ ... وذاكَ مُربِّي الجسمِ والجسمُ كالصدف»[1]

وسبق أن أشار العلاَّمة القاسمي في ترجمته الذاتيَّة إلى شيوخه، وما أخذه عنهم من العلوم على وجه الإيجاز؛ ومن تمام برِّه بشيوخه ومعرفته لِقَدْرهم وفضلهم، أنَّه ترجم لكلٍّ واحدٍ منهم ترجمة حافلة، وذلك في كتابه المعطار «تعطير المشام في مآثر دمشق الشَّام»؛ إذْ جُلُّهم

(١) «الطالع السعيد في مهمات الأسانيد» (ص٥ ــ قطعة صغيرة من أوله من مسودته بكل أسف).

من دمشق؛ كما أنَّه ذكر في هذه التراجم ما أخذ عنهم، وما أجازوه له من العلوم، وقد تفرَّس فيه شيوخُه النَّجابة والنبوغَ العلميَّ المبكر، فأجابوه إلى مقصوده وطلبته.

يقول صاحبه العلاَّمة عبد الرزَّاق البيطار حينما ترجم له: «أجاز له الكثير من الأفاضل، وشهدوا له في خطوطهم بالفواضل والفضائل...»[1].

وبحمد الله وقفتُ على مجموع لطيف أصيل فيه إجازاتُ بعض مشايخه، وبعضهم الآخر اكتفى بالتوقيع أو الختم[2]. وهذه الإجازات تُعدُّ من أنفس الوثائق وأندرها.

وهذا أوان ذكر تراجم شيوخه، مُردفًا كل ترجمة بإجازة صاحبها، مبتدئًا في ذلك بوالده العلاَّمة الأديب الشيخ محمَّد سعيد القاسمي؛ إذ هو أجلُّ الشيوخ لديه، وأوَّل من أرشده إلى طريق العلم والخير.

* * *

(١) «حلية البشر» للبيطار (١/ ٤٣٥).

(٢) كان القاسمي مهتمًّا بخطوط وإجازات شيوخه، ومن حرصه عليها أنه جمع التي بخطوطهم أو تواقيعهم في مجلد صغير؛ ثُمَّ بعد هذا أفردها برسالة عنوانها «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» وكتبها بخطه. ومن تمام احتفاله بشيوخه وأدبه معهم، قال في مطلعها: «وإني لأدعو من صميم الفؤاد عقب الصلوات، وخواتم الدروس العامَّة، ومظان الإجابات لكل من أفادني وعلَّمني وأرشدني، وأسأله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء في الدُّنيا ويوم الجزاء آمين»، رحم الله القاسمي كم كان مثالاً نادرًا في البر بالشيوخ.

١ ـ الشيخ محمَّد سعيد بن قاسم بن صالح القاسمي

أحد العلماء الأُدباء، والفُقهاء النُّبغاء.

وُلد بدمشق سنة (١٢٥٨هـ) وحفظ التنزيل، وحضر دروس والده الليليَّة والنهاريَّة في الفقه والحديث والعربيَّة، وتخرَّج به، وقرأ على العلاَّمة الطنطاوي، والشيخ سعيد الأزهري النَّابُلسي لمَّا قَدِم دمشق، ولازمه بعد وفاة والده، وكان قويَّ الملكة في الشعر والنثر، شهيرًا في الذكاء والفصاحة، خَطَبَ في جامع حسان، وأمَّ في جامع السنانيَّة بعد أبيه، وأقرأ فيه بعده الفقه صباحًا، والحديثَ مساءً، وانتفع به عدة من النُّبهاء، وكان ينظم الشِّعر الجيِّد، وجُمِعَ له ديوان لطيف.

ومن تآليفه النادرة التي لم يُسبق إليها في الصناعات الشَّاميَّة ــ وهو بمثابة قاموس لها مُرتَّبٍ على حروف الهجاء ــ كتابٌ سمَّاه: «بدائع الغرف في الصناعات والحرف»، وكتاب «تنقيح الحوادث اليوميَّة في دمشق» التي جمعها البُديري، وكتاب «الثغر الباسم في ترجمة والده الشيخ قاسم»، ومنها: «سفينة الفرج»[1] مجلَّد على نمط الكشكول.

---

(١) طبع بدار البشائر الإسلامية ببيروت سنة (١٤٢٥هـ)، بتحقيق محمَّد خير رمضان يوسف.

وكان لا يملّ من المطالعة ليلاً ولا نهارًا، مُحببًا متودِّدًا، لطيف المذاكرة والمُحاورة، له أورادٌ وأذكارٌ مرتَّبةٌ صباح كل يوم، لا يتركها، وحزب من القرآن يقرَؤهُ قبل النوم.

وكانت وفاته فجأة صباح يوم الجمعة بعد أن صلَّى جماعةً في جامعه في **٢٣** شوَّال سنة (١٣١٧هـ)، وأُخِّرَ تجهيزه إلى السبت، ودُفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى[١].

رواية القاسمي عن والده

قال الشيخ جمال الدِّين في أوائل ثبته «الطالع السعيد في مهمات الأسانيد» (١/٨)، وذلك في سياقه لأسانيد «صحيح البخاري»[٢]:

«طريق خامس يتصل بالآباء ثم بالأجداد من بني الدسوقي، وأرويه عن سيِّدي الوالد، الإمام الجليل الماجد، ريحانَةِ الأُدباء، وزهرةِ العُلماء النُّبلاء، ذي الفضل السَّني السَّمي، الشيخ محمَّد سعيد القاسمي، فقد سَمعت منه جانبًا من هذا «الصحيح»، وكذا من «صحيح

---

(١) هذه الترجمة ساقها ابنه العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي في رسالته المختصرة «طبقات الشَّافعية من أعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر من الدمشقيين» (١١/ب ــ بخط المصنف)، كما أفاض في ترجمته في كتابه «تعطير المشام» (٣/٣٧ ــ ٤٤)، وفوق هذا كله أفرد في ترجمته وشعره كتابًا عنوانه: «بيت القصيد في ترجمة الإمام الوالد السعيد»، وقد نشرته في كتابي «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» (من ص١٩٧ ــ ٢٢١).

(٢) لم أقف على إجازة خاصة من الشيخ محمَّد سعيد القاسمي لابنه الشيخ جمال الدِّين فاكتفيت بما هو في «الطالع السعيد».

مسلم»، و «الجامع الصغير»، ولازمته في طليعة سني، وريعان شبابي، في كُتُبٍ من الفقه والتوحيد وبعض المقدمات العربية، واكتسبت من سليقته وملكته الأدبية، وأعدت له «الجامع الصغير» بين العشائين في جامع السِّنانية، إلى أن عُيِّنت إمامًا ومُدَرِّسًا في جامع العنَّابة سنة (١٣٠٣)، ولم أزل مُقتطِفًا من ثمار معارفه الجنية، إلى أن ألمَّ بسنا عمره سِرار المنية، فجزاه الله عني خير ما جزى والدًا عن ولده، ورضي عنه وأرضاه، وجعل في أعلى فراديس الجنان مقيله ومثواه.

وهو يروي عن فُضلاء كثيرين شاميِّن وحجازيِّن سماعًا وإجازةً، فمنهم ــ بل أجلُّهم عنده ــ والده الإمام العلاَّمة الفقيه الورع سيدي الجدّ الأمجد الشيخ قاسم بن الشيخ صالح بن الشيخ إسماعيل الحلاَّق الدِّمشقي الشَّافعي».

* * *

٢ ـ الشيخ محمود الحَمْزاوي

السَّيِّد محمود أفندي الحَمْزاوي بن مُحمَّد نسيب بن حُسين بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم المعروف كأسلافه بابن حمزة الحُسيني الحَنفي الدِّمشقي.

علاَّمةُ الأَعلام، وفهَّامَةُ الأَنام، ونُخبة الأئمَّة الفِخام، وفَخْرُ الموالي العِظام، ومرجعُ الخاصِّ والعامِّ، عُمدةُ المُفتين، وقُدْوةُ المُحقِّقين، الذي طَنَّتْ حصاةُ فضله، واشتهر في الآفاق كمال علمه ونُبله.

فهو الحَبرُ الذي فاق بصفاتِهِ الأوائل، والبحرُ المشتمل على جواهر الفضائل، وُلد بدمشق سنة (١٢٣٩)، ودخل المدرسة سنة (١٢٤٨)، واجتهد في تحصيل العلوم، فأخذ عن العلاَّمة الشيخ سعيد الحلبي، والمُحدِّث الكبير الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري، والقُدوة الشيخ حامد العطَّارِ، والمُتَفَنِّن الشيخ حسن الشَّطي، والمُحَقِّق الشيخ عمر الآمدي، والمدقِّق الشيخ منلا بكر الكُردي، وغيرهم ممَّن ذكرهم في ثبته المسمَّى بـ «عنوان الأسانيد»[1].

(١) (ص٣٤ ـ ٤١ ـ بتحقيق محمَّد مطيع الحافظ، طبعة دار البشائر بدمشق).

ثُمَّ تعاطى النِّيابات الشَّرعيَّة في دمشق وغيرها سنة (١٢٦٠)، وسافر إلى دار السَّلطنة وأناظولي سنة (١٢٦٨) بعد أن انتظم في سلك الموالي سنة (١٢٦٦).

وتدرَّج في الرُّتب العلمية إلى رتبة إسلامبول مع ما يتبع ذلك من النياشين الرَّسمية مثنى وثلاث ورُباع مجيدية وعُثمانية، ولم تُرَ قَطّ عليه، لكنها في الصندوق لديه، وتولَّى إفتاء الشَّام سنة (١٢٨٤)، فاشتغل بتحرير المسائل الفقهيَّة بجدٍّ واجتهاد، ودقَّقَ وحقَّقَ، واشتهرت تحقيقاته البديعة حتى كانت تتوارد عليه المسائل المُعضلة من كُلِّ فَجٍّ، ووقع بينه وبين جمعية المجلة[1] في دار السَّعادة مُناقشات كُلِّيَّة، وكانوا يرجعون إليه فيما أشكل من المسائل، ومع علوٍّ كعبه في العلوم العقلية والنقلية كان له الباع الطويل والتَّفَنُّنُ في كمالات وصنائع شتَّى منها: ما اشتهر عنه من أمر الكتابة الكثيرة على القطع الصغيرة، فكان يكتب سورة الإخلاص على حبة من حبوب الأرز، وبعضهم يبالغ عنه بأكثر من ذلك، وبالجملة ففضله أشهر من أن يذكر.

وأمَّا مُؤلفاته فهي تُناهز الأربعين، منها:

«در الأَسرار»، وهو التفسير الجليل بالحروف المهملة.

---

(١) يعني بذلك «مجلة الأحكام العدلية» المطبوعة بإستانبول سنة (١٢٩٧هـ)، انظر الدراسة المفردة حول هذه المجلة كتاب «مجلة الأحكام العدلية مصادرها وأثرها في قوانين الشرق الإسلامي» للقاضي سامر القُبَّج، طبعة دار الفتح بعمان الأردن سنة (١٤٢٨هـ).

و «دليل الكُمَّلِ إلى الكلم المُهْمَل».

و «الفتاوى المنظومة» في مجلد.

و «الفتاوى الحَمْزاوية الكُبرى».

و «نظم الجامع الصغير» للإمام محمَّد، في نحو ثلاثة آلاف بيت من بحر البسيط.

و «نظم مرقاة الأُصول» من البحر المذكور.

وشَرَحَ «بديعيَّة والده» شَرْحًا لطيفًا سمَّاه: «كشف القناع».

ومِن مؤلَّفاته:

«غُنية الطَّالبِ بشرح رسالة الصدِّيق لعلي بن أبـي طالب».

وكتاب «القواعد الفقهية».

و «ترجيح البيِّنات» وغير ذلك.

ولم يزل ناشرًا ألوية العِلْمِ والفَضْلِ إلى أن توفي ليلة الاثنين تاسع محرم الحرام سنة (١٣٠٥)، وحضرتُ الصَّلاة عليه بجامع بني أُمية ودفنه في مقبرة باب الفراديس، وكان الجمعُ متوافرًا.

ولي منه إجازةٌ عامَّةٌ بجميع مروياته، أجاز لي ذلك مرَّتين، مرَّةً في ذي الحجة سنة (١٣٠٠)، ذهبت لداره صُحبة خال والدي الفقيه الكامل الشيخ حسن جُبينة الشهير بالدَّسوقي، فناولني إجازته التي جمعها في أربعة أوراق، وأعدَّها للمُستجيزين، فنسختها، ثُمَّ ختمها وشافهني بما يجوز له.

ومـرَّةً فـي غُـرَّة محـرَّم سنـة (١٣٠٢)، ذهبـت لـداره أيضًـا صحبـة الفاضل المذكـور، وطلبنا منـه أن يُسمعنـا حديث الرَّحمـة المُسلسـل بالأوَّليَّة، فأسمعنا إياه، وأجاز لنا أيضًا ما يجوز له روايته، جزاه الله خير الجزاء، وأناله ما يتمنَّاه يوم الجزاء. آمين[1].

* * *

(١) «تعطير المشام» (٣/٣ ـ ٥)، ولترجمة الحمزاوي انظر أيضًا: ما كتبه تلميذه محمَّد سعيد الباني في «الكوكب الدر المنير في أحكام الذهب والفضة والحرير» من (ص٥٥) إلى (ص٦٤) فقد أطال النفس فيها، وأفرده محمَّد وائل الحنبلي بترجمة بعنوان: «مفتي الشَّام العلاَّمة محمود الحمزاوي، حياته ومكانته العلمية وآثاره»، رسالة تخرُّج في معهد الفتح الإسلامي بدمشق، لم تطبع بعد.

إجازة كوكَب الفَضْلِ التَّام[1]
السيد محمود أفندي الحمزاوي
مفتي دمشق الشَّام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رَفَعَ مسانيدَ الرِّواية، وكمَّلَهُم بمعارف لطائف الدِّراية، وشَرَّفَهُم بنقل الصَّحيح من الأخبار، والحَسنِ مِن بدائع الوقائع، وشرفِ الآثارِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدنا وسَنَدنا محمَّد، الذي قويت به أسانيد المشايخ في الطرق والمذاهب، وانجلت ببعثته عرائس النِّعَم من الله علىٰ البَريَّة، وهطلت غيوثُ المواهب، وعلى آله وأصحابه الذين أيدوا هذا الدِّين المتين بنقلِ الأحاديث النبويَّة، والمُجاهدة في سبيلِ الله مع خلوص النِّيَّة، والتابعين لهم بإحسانٍ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، صلاةً وسلامًا دائمين بدوام الله الحَنَّان المَنَّان.

---

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص٥ ــ ١١)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» للشيخ جمال الدِّين (ص٢ ــ ٨)، وعبارات الثناء في مطلع كلّ إجازة منها.

أمَّا بعد:

فإنَّ العلم أشرفُ المطالب وأعلاها، وأنجحُ الرَّغائب وأَغْلاها، وأطيبُ المكاسب وأزكاها، وأهمُّ الأمور بالعنَاية وأولاها، بيَّن الله شرفه وفضله، وميَّز في الشهادة بالوحدانية حملته وأهله، ونبَّه النَّبـيُّ ﷺ في غير ما حديث، واتَّفق العُقلاء علىٰ أنهم هم القادة الأخيار في القديم والحديث، ومِن أجلِّ ذلك علم الحديث النبوي؛ فإنَّه أصلُ الدِّين القويم، والشَّرعِ المستقيم، وقد ورد في فضله وشرفِ أهله من الأخبار ما لا يُعدُّ، ومن الآثار ما لا يُحَدُّ.

وكفى الرَّاويَ المنتظمَ في هذه السلسلة شرفًا وفضلاً، وجلالةً ونُبْلاً، أن يكون اسمه مُنتظَمًا مع اسم المصطفى ﷺ في طُرْسٍ واحدٍ، على رغم أنف الحاسد المُعاند، وبقاء سلسلة الإسناد من شرف هذه الأمة المُحمَّدية، واتصالها بنبيِّها خصوصيةٌ لها بين البريَّة.

وقد جرت عادةُ أهل الحديث أن يذكروا أسانيدهم واتصالها بالأئمَّة الأشياخ؛ لأنَّها أَنسابُهم المُعتبرةُ لديهم، وعليها يعوَّل وإليها يصاخُ، فقد نقل الشيخ إسماعيل الجرَّاحي عن الإمام سفيان الثَّوري أنَّه[1] قال: الإسنادُ سِلاحُ المُؤمن، فإذا لم يكن له سلاح فبأي شيء يقاتل؟

وذكر عن الحافظ ابن عبد البر أنَّه قال: الإجازةُ في العلم رأسُ مالٍ كبير أو كثير.

---

(١) «حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بِكُمَّلِ الرِّجال» (٢/ب نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ٤١/ ٢٣١).

وذكر عن الإمام الشَّافعي رحمه الله تعالى أنَّه قال: الذي يطلب الحديث بلا سندٍ كحاطب ليلٍ، يحملُ الحطبَ وفيه أفعى وهو لا يدري.

وذكر عن عبد الله بن المبارك أنَّه قال: الإسنادُ مِن الدِّين، ولولاه لقال مَنْ شاء ما شاء.

على أنَّه نقل عن الحافظ السيوطي أنَّه قال في كتابه «الإتقان»: الإجازةُ من الشيخ ليست بلازمةٍ في رواية الحديث، بل الشَّرط أن يكون أهلاً للرِّواية والدِّراية، إلَّا أنها أولى وأكمل.

ثُمَّ قال: لكنْ نَقَلَ ابنُ حجر المكي في «فتاويه الحديثية» عن الزَّين العراقي أنَّه قال: نقلُ الإنسان ما ليس لديه رواية، غيرُ سائغٍ بإجماع أهل الدِّراية.

ثُمَّ قال: وعن الحافظ ابن جبر[1] الإشبيلي أنه قال: اتفق العُلماء على أنَّه لا يصح لمسلم أن يقول: قال النبي ﷺ؛ حَتَّى يكون عنده ذلك القول مرويًّا، ولو على أقل وجوه الرِّوايات. وتعرض للجمع بين الأقوال بحمل الجواز على ما إذا كان لمجرد الاستنباط، وعدمه على ما إذا كان للرِّواية عن القائل.

هذا وإنَّ ممَّن لاحظَتْهُ العناية، وشملهُ التوفيق والهداية، فسابقَ في

(١) كذا في الأصل الذي عليه توقيع المُجيز الحمزاوي، وهو نقلاً عن «حلية أهل الفضل والكمال»، والصواب: «ابن خير».

ميدان العلوم، على طرف الذَّكاء والفُهُوم، وتحلَّى بتحرير درر المسائل، وغُررِ المَقاصد والوسائل، بين كُلِّ باحثٍ وسائِلٍ، الفَاضِلُ الكَامِل، العَالِمُ العامِلُ، الشيخ محمَّد جمال الدِّين بن العالم الأديب، والكامل اللبيب، الشيخ محمَّد سعيد بن العلاَّمة المشتهر في الآفاق، الشيخ قاسم المعروف بالحلاَّق، أدام الله تعالى عليه أمداده وتوفيقه وإسعاده؛ فإنَّه أفاد واستفاد.

وقد حَسَّنَ ظنَّه بي، كما هو شأن المؤمن، وطلب مني أن أُجيزه في علوم الدِّين، إجازةً عامَّةً بجميع مرويَّاتي، وما تطفَّلتُ بجمعه من مصنفاتي، كالتفسير بحروف المهمل المسمى بـ «دُرِّ الأسرارِ»، و «نظم الجامع الصغير» للإمام محمَّد صاحب أبي حنيفة، رحمهما الله تعالى، و «نظم مرقاة الأُصول» لملا خسرو، و «اللآلىء البهية» في القواعد الفقهية، و «غنية الطَّالب في شرح رسالة الصديق لعلي بن أبي طالب» رضي الله عنهما، و «قواعد الأَوقاف»، و «كشف السُّتور، في المُهايأة في المأجور»، و «منظوم غريب الفتاوى»، و «الفتاوى الحمزاوية»، و «شرح بديعية الوالد» المسمَّى بـ «كشف القناع»، و «دليل الكُمَّل إلى المُهْمل» في اللغة.

فاستخرتُ الله تعالى، وأجزتُه بأن يروي عني «صحيح الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري»، وسائر ما تجوز لي روايته، وتصحّ لي نسبته ودرايته، إجازةً عامَّةً شاملةً لجميع ذلك، بشرطه الصحيح المعتبر عند أهل الحديث والأَثر بحقِّ روايتي لذلك، ما بين القراءة والسَّماع

والإجازة الخاصَّةِ والعامَّةِ عن مشايخي الثِّقات، رحمهم ربّ الأرض والسموات، منهم: العلاَّمة المحقِّق مُحَدِّثُ الدِّيار الشَّامِيَّةِ الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبَري، فإني حَضرت عليه «البخاري» تحت قُبَّة النَّسْر سنين، درايةً، وحضرت في منزله «البخاري» وغيره كـ «الشفا»، و «صحيح مسلم» روايةً ودرايةً، سماعًا وقراءةً بإجازةٍ خاصَّةٍ وعامَّةٍ.

ومنهم: الفقيهُ المُتَفَنِّن شيخ الحنفية في دمشق المحميَّة، الشيخ سعيد الحلبي، رويت عنه «البخاري»، و «مسلمًا» من أولهما إلى آخرهما إلاَّ ما قلَّ، و «الجامع الصغير» للسيوطي، و «الشفا»، وأكثر الكتب الفقهية المتداولة قرأتها، والنَّحو والصَّرف والأصول، والكلام والمنطق، والآداب والمعاني والبيان والاستعارات، ومن التفاسير «القاضي»[1]، وبعضًا من «الجلالين»، وغير ذلك حيث جُلَّ طلبي كان عنده جزاهُ الله تعالى خيرًا.

ومنهم: العَالم العلاَّمة صُوفي زمانه، والمفسر في أوانه، الشيخ حامد العطَّار، رويت عنه بعضًا من «صحيح البخاري» روايةً وبعضًا درايةً، وحضرت عليه جانبًا من «تفسير القاضي»، و «شرح الأربعين» لابن حجر[2]... رحمه الله تعالى.

ومنهم: الشيخ عمر الآمدي العَالِم، العلاَّمة، المُتْقِن المُحَدِّث

(١) يعني تفسير القاضي البيضاوي.

(٢) يعني الهيتمي، وشرحه اسمه: «فتح المبين».

رحمه الله رحمةً واسعة حضرت عليه «المختصر» وبعده «المطوَّل» مع الحواشي، وتوفي قبل إكماله.

ثُمَّ إن تفاصيل أسانيد الكُتب المُتَّصلَة إليَّ بواسطتهم وبيان أنواعها لا يمكنني ذكره في هذه العجالة لضيق وقتي، على أنَّه قد تكفَّل بذكرها أثبات الشيوخ وشيوخهم وأكثر الطرق بجمعها شيخ الشيوخ محمَّد بن أحمد عقيلة المكِّي. . .».

ثُمَّ ساق العلاَّمة الحمزاوي سنده بما يطول إلى «صحيح البخاري»[1] مع نظمه لرجال السند إلى البخاري مبتدأً في ذلك بشيخه الكُزْبري، ونظم كذلك سنده المتصل بفقه الإمام أبي حنيفة، وختم ذلك بقوله:

«سبحان ربك ربّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

هذا ما أردت تحريره في هذه العُجَالة، والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قاله بفمه وكتب هاهنا بقلمه: محمود الحمزاوي، مُفتي دمشق الشَّام عُفِيَ عنه، في ٢٧ ذي الحجة يوم الأحد ختام سنة (١٣٠٠)».

* * *

(١) ولمزيد معرفة شيوخ وأسانيد العلاَّمة الحمزاوي صاحب هذه الإجازة، يراجع ثبته المطبوع وهو بعنوان: «عنوان الأسانيد» بتحقيق الشيخ محمَّد مطيع الحافظ.

عن شيخه النسفي أبي علي ،، عن البخاري حجة الأقران ،
عن السبزموني الإمام وهو عن ،، أبي حفص صاحب الإذعان ،
عن أبي حفص الكبير هو عن ،، إمامنا محمد الشيباني ،
وهو عن الإمام قدوة الورى ،، سندي أبي حنيفة النعمان ،

ولي طرق غير هذه أضربت عن ذكرها طلبا للاختصار وقد جرت عادة الشيوخ أن يذكروا بعض الفوائد في أواخر الثبت قيل

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا ،، إن التشبه بالرجال فلاح ،

فأقول تشبها بهم منها ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الكزبري ونصه أخرج الإمام أبو حنيفة في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من داوم أربعين يوما على صلاة الغداة والعشاء في جماعة كتبت له براءة من النفاق وبراءة من الشرك ومنها ما رواه مسلم عن سمرة مرفوعا أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ومنها ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الكزبري في ثبته ونصه ومنها ما روي عن علي كرم الله وجهه مرفوعا من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين هذا ما أردت تحريره في هذه العجالة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

في ... ذي الحجة يوم الأحد ختام ... ١٣..

قاله بفمه وكتبه بقلمه محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشام عفي عنه

صورة آخر إجازة الحمزاوي للقاسمي ،

ويظهر في آخرها خطه .

٣ـ الشيخ طاهر الآمدي

طاهر أفندي بن عمر بن مصطفى الآمدي الشهير بالمفتي.

من أَجَلِّ أعيان فُقهاء الشَّام، وأوحدها في التَّفنن بالفروع والأصول والمعقول والمنقول.

وُلد سنة (١٢١٥)، ونشأ مُجتهدًا في تحصيل العلوم، فقرأ على أبيه علاَّمة عصره، وعلى الشيخ سعيد الحلبي، ولازمه كثيرًا، ثُمَّ بعد وفاته لازم ابنه الشيخ عبد الله الحلبي، وأمَّ بالحنفية بعد أبيه في الجامع الأموي.

وكانت له حُجرة في المُرادية[1] يقيم بها للقراءة والإقراء، وكان

---

(١) قال الشيخ جمال الدِّين في «تعطير المشام» (٣/ ٢٢٣) في ضمن تعداده لمدارس دمشق: «المرادية: مدرسة معمورة عند باب البريد، كانت خانًا يَسكنه أهل الفسق فاشتراه وبناهُ مدرسةً العالم الرباني الشيخ مراد بن علي بن داود الحسيني الحنفي البخاري الدِّمشقي، وشرط في كتاب وقفه أن لا يسكنها أمرد ولا متزوج ولا شارب تتن...». وانظر ترجمة واقفها في: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» لحفيده خليل المرادي (٤/ ١٢٩).

من أُمناء الفتوى مدة حسين أفندي المُرادي، وابنه علي أفندي، ولمَّا عزل نفسه عن الإفتاء علي أَفندي المذكور لرؤيا هالته، وكان المرجع في الشَّام الشيخ عبد الله الحلبـي، فتذاكر مع والي الشَّام وقتئذٍ في نصب طاهر أَفندي المُترجَم مُفتيًا فعينه، وورد المنشور من باب المشيخة له بها، وقام بأعبائها . . . ولم يزل المفتي المذكور على طريقته المُثلى إلى أن وقعت حادثة النَّصارى سنة (١٢٧٧).

ولما قدم فؤاد باشا من دار السَّلطنة مُفتِّشًا على هذه القضية أُمِرَ بإجلاء أعيانها عن دمشق، ومنهم المُفتي المذكور، فأُجلي مع الشيخ عبد الله الحلبـي، وعمر أفندي الغزّيّ، وأحمد أفندي حسيبـي إلى الماغوصة فأقاموا بها مُدَّة، ثُمَّ نُقِلوا منها إلى صاقص، ومنها إلى أزمير، ومنها إلى الآستانة، واسترحموا العفو عنهم بعد أمور يطول شرحها.

ثُمَّ إنَّ المُفتي المذكور بعد ذلك تقلَّد القضاء في حمص لما كانت مركز المتصرفيَّة، ولما نقل المركز إلى حماة نُقِلَ إليها، واستمرَّ مُتوليًّا القضاء بها سبع سنين، ثُمَّ سافر إلى الآستانة، وعُيِّنَ قاضيًا في معمورة العزيز، ثُمَّ أتمَّ مدَّته، وقصد الآستانة وعُيِّنَ قاضيًا في جهة طرابلس الغرب، ثُمَّ أناخ ركابه بوطنه دمشق.

ثُمَّ وُجِّهَت عليه بها نيابة المحكمة الكُبرى، فلم يزل عليها إلى أن توفي في ١٦ ربيع الثاني سنة (١٣٠١)، وشَهدتُ الصَّلاة عليه في جامع بني أُمية ودفنه في باب الصغير.

ولي منه إجازة عامَّة بما يجوز له روايته رحمه الله تعالى.

ووالده الشيخ عمر ممن هاجر من ديار بكر إلى دمشق، واتخذها دار إقامة، وقَدِمَ بابنه المذكور وعمره نحو سبع سنين، وأبقى بعض أولاده في وطنه الأصلي، ووجهت عليه إمامة الحنفية بجامع بني أُمية، وقرأ عليه جملة من الفُضلاء في المعقول إلى أن تُوفي سنة (١٢٦٣). رحمه الله تعالى[١].

* * *

(١) «تعطير المشام في مآثر دمشق الشَّام» لجمال الدِّين القاسمي (٣/ ٢ ــ نسخة المكتبة القاسمية بخط المصنف).

إجازة الفاضل الكبير والهُمام النِّحرير
طاهر أفندي الآمدي ثُمَّ الدِّمشقيّ
مفتي دمشق[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الكبير، الخبير في الضمير، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، أحمده وهو بالحمد جدير، وأَشكُرُهُ ونعمه فوق شُكري بكثير، وأشهد أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له ولا نظير، وأشهد أن سيِّدنا مُحمَّدًا عبده ورسوله البشير النذير.

وبعـد:

فيقول العبد الضعيف محمَّد طاهر بن عمر الآمدي، تغمدهما بالرحمة الإلـه الأبدي:

لما كان الشَّابُّ[2] اللبيب، والصَّالح الأديب، الشيخ محمَّد

---

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص١ ــ ٣)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص١٠ ــ بخط الشيخ جمال الدِّين).

(٢) كان عمر الشيخ جمال الدِّين لما أخذ هذه الإجازة نحو الثامنة عشر.

جمال، ابن الفاضل العالم العامل الشيخ محمَّد سعيد الحلاَّق، مُشتغلاً منذ نشأ بتحصيل العلوم العقليَّة والنقليَّة، ومُواظبًا على قراءة دروسه بُكرةً وعشيَّة، وقد حَسَّنَ ظَنَّه بي، وطلب مني أن أُجيزه بكل ما يجوز لي روايته، وإن كنت لست أهلاً لذلك، ولا ممن سَلَكَ تلك المسلك، لكن تمثَّلت فيه قول القائل:

إذا رأيتَ من الهلال نُمُوَّهُ أيقنْ بأنْ سيكونُ بَدرًا كاملاً

فاستخرت الله وأَجزته بأن يروي عني «صحيح الإمام البخاري»، وغيره مما تجوز لي روايته، عن المشايخ الأَعلام، عليهم رحمة الملك العلاَّم، منهم: سيدي الوالد المرحوم عمر أفندي الآمدي، عن شيخه الأعظم، أبي حنيفة زمانه، ووحيد أوانه، أورع العلماء العاملين، وعُمدة الفقهاء المُحَقِّقين ــ شارح «إحياء علوم الدِّين» بعشر مجلدات، و «القاموس» كذلك ــ الشريف الحُسيني السيد محمَّد مُرتضى المصري، وهو أنَّه قال: أخبرني به الشيخ الفقيه المُحَدِّثُ محمَّد بن علاء الدِّين المزجاجي الحنفي الزَّبيدي قراءةً عليه وأنا أسمع بمدينة زَبِيد سنة (١١٦٢)، قال: أخبرنا الشيخ العارف إبراهيم بن حسن الكوراني المدني سنة (١٠٩٩)، قال: أخبرنا الإمام المُسْنِد المُعَمَّر عبد الله بن سعد الله الحنفي المدني قراءةً عليه بالمدينة المنورة سنة (١٠٧٦)، قال: أخبرنا المُسْنِد قطب الدِّين مُحمَّد بن أحمد الحنفي المكي، قال: أخبرني به والدي شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد الحنفي، قال: أخبرني الحافظ جلال الدِّين أبو الفتوح أحمد بن عبد الله

الطَّاوسي، قال: أخبرنا المُسْنِدُ المُعَمَّر ثلاثمائة سنة بابا يوسف الهَرَوي[1] سَمَاعًا عليه، قال: أخبرنا محمَّد بن شادبخت، وكان أحدَ الأبدال بسمرقند، أخبرنا يحيى بن عمَّار الختلاني قال: أخبرنا أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن مطر الفِرَبْرِي قال: أخبرنا الإمام الحُجَّة الحافظ أبو عبد الله مُحمَّد بن إسماعيل البُخاري، بما رواه من الأحاديث الشَّريفة، بأسانيده المُتصلة إلى النَّبي ﷺ، فأجزته إجازةً طيبةً ميمونةً مباركة.

وأرجو منه أن لا ينساني من صالح دعواته، كما أنِّي أتضرَّعُ إلى مُجيب الدعوات أن يعطيه الخيرَ والبركاتِ، ويكشف عنه ما لم يكن يفهم، ويُعَلِّمه ما لم يكن يعلم، ويجعله من العلماء العاملين، والصُّلحاء العارفين.

والحمد لله في البدء والختام، والصَّلاة والسَّلام على خير الأنام، وعلىٰ آله وأصحابه الكرام.

حُرِّرَ في ٢٥ صفر سنة (١٣٠١)
كتبه الفقير
محمَّد طاهر الآمدي
مفتي الشَّام أسبق

(١) سيأتي الكلام على هذا الإسناد (ص٣٥١).

محمد بن يوسف بن مطر الفربري، قال اخبرنا الامام الحجة
الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، بما رواه من
الاحاديث الشريفة باسانيده المتصلة الى النبي صلى الله عليه
عليه وسلم، فاجزته اجازة طيبة ميمونة مباركة، وارجو
منه ان لا ينساني من صالح دعواته، كما اني اتضرع الى
مجيب الدعوات، ان يعطيه الخير والبركات، ويكشف عنه
ما لم يكن يفهم، ويعلمه ما لم يكن يعلم، ويجعله من العلماء
العاملين، والصلحاء العارفين، والحمد لله في البدء والختام
والصلاة والسلام على خير الانام، وعلى اله واصحابه الكرام
حرر في ٢٥ صفر ١٤٠١

كتبه الفقير محمد طاهر الآمدي مفتي آمد سابقاً

صورة الورقة الأخيرة من إجازة الشيخ طاهر الآمدي
للشيخ جمال الدِّين، وفيها خطه وختمه.

٤ ـ الشيخ سليم العطّار

الشيخ سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد الشهير بالعطّار الشّافعيّ.

شيخُنا صَدْرُ المُدرِّسين، وإكليلُ أجلاء الكاملين، مخدوم السِّيادة والسَّعد، وقُدوة أهل الحَلِّ والعقد.

وُلد سنة (١٢٣١) بدمشق، وقرأ على الجُلَّة من المشايخ، منهم: جدّه الشيخ حامد العطّار، والشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، والشيخ عبد الرَّحمن الطيبي، والشيخ سعيد الحلبي، وعمر أفندي الآمدي، وغيرهم، في فنون كثيرةٍ، وأجاز له العلاَّمة الشيخ إبراهيم الباجوري مُكاتبةً.

ولما تُوُفِّي جدّه المذكور أَقرأ مكانه دُروسه العامَّة في الجامع الأموي، وفي التكية السُّليمانية[1] خميس شهري

(١) التكية: كلمة تركية تعني المطعم العمومي للفقراء والدراويش يأكلون فيه، وقد يبيتون كذلك، بناها السلطان العثماني سليمان القانوني ابن السلطان سليم، وهي تضم مسجدًا ومدرسةً. وهي اليوم تقع غربي جسر فكتوريا في شارع بيروت، كما =

رجب وشعبان، وتَصَدَّرَ للإفادة والإقراء.

وتَدَرَّجَ في درجات الكمال، وترقى في معارجِ المَجْدِ والإجلال، وعكفت عليه الطُّلاب، وسار صيته في سائِر الجهات، وكان رئيسًا نبيهًا، وافرَ الحُرمة، جليلَ القَدْر، عظيمَ الهيبة، نافذ الكلمة، كبيرَ الجاهِ عند الأُمراء، عَذْبَ البيان، لطيفَ المُسامرة.

وكان مَرْجعًا لمعضلات الشَّام، وكهفًا للأُمور العِظام، وكان ينتصر لطلبة العلم أشدَّ انتصار، ويُجيرُ من ينتسب لجنابه أحسن جوار، وله قوَّة حافظة يُقضى منه بالعجب.

وبالجُملة فإنَّ شيخنا المُترجَم كان من نوادر الأوان، وحسناتِ الزَّمان، ولم يزل على طريقة حميدة فريدة إلى أن توفي يوم الاثنين في ٧ جمادى الأُولى سنة (١٣٠٧)، وأُخِّرَ تجهيزه للثلاثاء، ودُفِنَ بعد زوالها في مقبرة باب الفراديس، وكان الجمع مُتوافرًا جدًّا، وكان مرضه قريبًا من يومين فقط رحمه الله تعالى[1].

* * *

= أنها تعدّ معلمًا من أشهر الآثار في دمشق «العمارة الإسلامية وآثارها في سورية» لعبد القادر الريحاوي (ص٢٨٦ ــ ٢٩٦).

(١) «تعطير المشام» للقاسمي (٣/ ١٦).

إجازة شيخنا مسنِد الشَّام في عصره، ومُقدم الأساتذة الشيخ سليم العطّار[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفعَ مقدار أهل الحديث، وأعلا ذكرهم في القديم والحديث، ووفقهم لتتبُّع بيان أقسام الحديث من صحيحه وحسنه وضعيفه، وطلب عُلُوِّ الإسناد واتصاله إلى السَّادة الأخيار من سالف العصر وقديمه، والصَّلاة والسَّلام على من بعثه الله رحمةً للأنام، وعلى آله وصحبه الكرام.

وبعد:

فلمَّا كان الشَّاب النَّجيب، والكامل الأديب، الشيخ محمَّد جمال أفندي ــ نجل الفاضل الشيخ محمَّد سعيد أفندي، نجل العلاَّمة المرحوم الشيخ قاسم أفندي الشهير بالحلاَّق ــ مُشتغلاً منذ نشأ بتحصيل العلوم النَّقلية والعقلية، مُواظبًا علىٰ ذلك في البكرة والعشية،

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص١٢)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص٩، ١٠).

وقد طلب من الحقير أن أجيزه بكُلِّ ما تجوز لي وعني روايته مما أجاز لي به السَّادة الكرام، العلماء الأعلام؛ فأجبته إلى ما طلب، وإن كنت لست أهلاً لذلك، ولا ممَّن سلك تلك المسالك، غير أنَّ التَّشبُّه بالكرام فلاح، فأقول:

إنِّي أجزته بـ «صحيح الإمام البخاري» علىٰ الخصوص وبغيره علىٰ العموم من كُلِّ ما تجوز لي وعني روايته بالشرط المعتبر، عند أهل الأثر؛ بحقِّ روايتي لذلك كله عن المشايخ العظام، المُحَرَّرةِ أسماؤهم في إجازة العلاَّمة الحسيب النسيب السيِّد محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشَّام، فإن جميع المشايخ المذكورين قد شاركته في الأخذ عنهم بالإجازة الخاصَّة والعامَّة بأسانيدهم المتصلة كما هي مذكورة في أثباتهم.

وأرجو المُجاز أن لا ينساني من صالح دعواته، كما أني أرجو الله أن يفتح عليه فتوح العارفين.

والحمد لله في البدء والختام، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الأنام وآله الكرام.

في ١٥ صفر سنة (١٣٠١)[١] كتبه الفقير إليه سبحانه سليم العطَّار الشَّافعيّ القادريّ عُفِي عنه.

* * *

---

(١) هذا التاريخ من «مجموعة لطيفة» (ص١٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع مقدار أهل الحديث، وأعلى ذكرهم في القديم والحديث،
ووفقهم لتتبع بيان أقسام الحديث من صحيحه وحسنه وضعيفه،
وطلب علو الإسناد واتصاله إلى السادة الأخيار في سالف العصر وقديمه،
والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للأنام، وعلى آله وصحبه الكرام،
وبعد فلما كان الشاب النجيب والكامل الأديب، الشيخ محمد جمال أفندي
نجل الفاضل الشيخ محمد سعيد أفندي نجل العلامة المرحوم الشيخ قاسم أفندي
الشهير بالحلاق مشتغلاً منذ نشأ بتحصيل العلوم النقلية والعقلية
مواظباً على ذلك في البكرة والعشية، وقد طلب من الحقير أن أجيزه
بكل ما يجوز لي وعني روايته مما أجازني به السادة الكرام العلماء الأعلام،
فأجبته إلى ما طلب وإن كنت لست أهلاً لذلك، ولا ممن سلك تلك المسالك،
غير أن السنة بإبرام ذلك جرت فأقول إني أجزته بصحيح الإمام البخاري
على الخصوص وأجزته على العموم في كل ما يجوز لي وعني روايته بالشرط المعتبر
عند أهل الأثر، محققاً رادیف لذلك كله عن المشايخ العظام المحررة أسماؤهم
في إجازة العلامة الحسيب النسيب السيد محمود أفندي حمزاوي مفتي دمشق الشام
فإن جميع المشايخ المذكورين قد شاركته في الأخذ عنهم بالإجازة
الخاصة والعامة بأسانيدهم المتصلة كما هي مذكورة في أثباتهم، وأرجو
المجاز أن لا ينساني من صالح دعواته كما إني أرجو الله أن يفتح عليه
فتوح العارفين والحمد لله، والختام والصلاة والسلام على سيد الأنام وآله الكرام

كتبه الفقير إليه سبحانه سليم
العطار الشافعي الأشعري
[illegible]

صورة إجازة الشيخ سليم العطّار بخطه
للشيخ جمال الدين.

٥ ـ الشيخ محمّد الطّنطاوي

الشيـخ محمَّـد بـن مصطفـى الطَّنطـاوي الأزهـري الشَّـافعـي الحُسيني[١]، نزيل دمشق، علاَّمة عصره، ووحيد دهره، اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره، واستخرج من بحار المعارف نفائس الدُّررِ بدقيق فكره.

وُلد ـ كما أخبرني ولده صديقنا الشيخ عبد القادر، حفظه الله تعالى ـ بعد سنة (١٢٣٠) بقليل في بلده، وحَفِظَ القرآن المجيد وهو ابن سبع سنين، وأقبل على طلب العلم، وأخذ عن أفاضل تلك الدِّيار.

ثُمَّ قَدِمَ إلى دمشق سنة (١٢٥٥) مع أخيه، وكان من الجنود المصرية، فأقام بها خمس سنين، وفي خلالها حضر مجالس من دروس بعض فُضلاء دمشق وقتئذٍ، وكان مَرَّ على حلب، وأخذ بها عن العلاَّمة الشيخ أحمد الترمانيني.

ثُمَّ رحل إلى مصر، واشتغل في الجامع الأزهر بإتمام المادة على

(١) هو أحد أجداد العلاَّمة شيخ أدباء عصرنا الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى.

فحول علمائه كالعلاَّمة الشيخ إبراهيم الباجوري، والشيخ إبراهيم السَّقَّا، والشيخ محمَّد الخضري وغيرهم.

ثُمَّ رجع إلى دمشق وقد أتقن كافة العلوم من صرفٍ ونحوٍ، ومنطقٍ وبيانٍ، ومعانٍ وكلامٍ، وحديثٍ وتفسيرٍ وفقهٍ، وهيئةٍ وحسابٍ، وميقاتٍ وحكمةٍ وغيرهما، حتى صار آية في المعقول والمنقول باهرة، فَطَفِقَ ينشرُ لواء العلوم، وكَتَبَ بخطه الجميل كُتُبًا كثيرةً، وانتفع به من الطَّلبة جمّ غفير.

ولما قدم من مصر سكن أولاً في ميدان الحصا[1]، وأَقرأَ الدروس في حجرةٍ بجامع صهيب سنين عديدةٍ، وورد عليه هناك للاستفادة من لا يحصى.

ثُمَّ في سنة ثمانين تقريبًا نزل من الميدان، وسكن في جوار الجامع الأموي في دار اشتراها له الأمير السيد عبد القادر الحسني الجزائري، ولازم الإقراء في داره وتارةً في حُجرة له بمدرسة

(١) هو حي الميدان، أكبر ضواحي دمشق جنوبيها، وسُمِّي بحي الميدان لأنه كان ميدانًا رحبًا واسعًا، تقام سباقات الخيل فيه، وأمَّا إطلاق اسم «ميدان الحصى» عليه فلأنه كان يمر بأرضه الكثير من فروع نهر بردى عبر العصور القديمة، فكانت هذه الأنهار الغزيرة تحمل معها الحصى المتفتت من الجبال الغربية فترسب في أرضه قبل أن تتلاشى قوة المياه شرقًا باتجاه البادية. «معالم دمشق التاريخية» لأحمد إيبش والشهابي (ص٥٠٧)، وكذا سمعته من عالم العربية الأوحد عاصم البيطار الدِّمشقي رحمه الله تعالى، وقد أفرد الدكتور بريجيت مارينو «حيّ الميدان» بكتاب ترجمه إلى العربية ماهر الشريف، وصدر عن دار المدى بدمشق سنة (١٤٢٠هـ).

البادرائية[1]، وبين العشائين في الجامع الأموي في محراب المالكية، وصارت له عند حضرة الأمير المنوَّه به المكانة المكينة حتى رتَّب له الأمير مدة حياته في كُلِّ شهر ألف قرش من ماله. . .

وكان شيخنا المُترجَمُ مَرْجعًا لِحَلِّ مُشكلات الفنون قوَّالاً بالصِّدقِ، صدَّاعًا بالحَقِّ لا يُحابي في دينه أحدًا، جسورًا مُتعففًا جدًّا، وعَيَّن له أحد ولاة الشَّام بإرادة سلطانية، معاشًا من الخزينة فأبى أشدَّ الإباء ولم يقبله.

وكان فصيحَ العبارة، جَيِّدَ التَّقرير والتحرير، يُدقِّقُ في المقولات والفنقلات[2] أشدَّ التدقيق، وله في حساب الرُّبع ورسمه حل إشكالاتٍ وتوضيح مُعضلات تشهد بسعة اطلاعه.

ولما طرأ على حجر البسيط ــ الذي وضعه علاَّمة زمانه الشيخ علاء الدِّين علي بن إبراهيم الفلكي الشَّهير بابن الشَّاطر، المُتوفَّى سنة (٧٧٧) لمعرفة الأوقات في منارة العروس[3] التي في الجامع الأموي ــ

(١) نسبةً لبانيها القاضي نجم الدِّين البادرائي المُتوفى سنة (٦٥٥هـ)، وهي من المدارس الشافعية، ولا تزال موجودة إلى اليوم. انظر: «تعطير المشام» للقاسمي (٣/ ٢٠٠)، وقد أفردها ببحث الدكتور محمَّد سعيد رضا في مجلة كلية الآداب ببغداد العدد (١٩) من (ص٧١) إلى (ص١٣٦)، وقد ذكر أنها تأسست سنة (٦٥٣هـ).

(٢) «الفنقلات»: هي الكتب التي يقول فيها العلماء: «فإن قالوا: قُلنا».

(٣) تقع هذه المنارة في منتصف الرواق الشمالي للجامع الأموي؛ قيل: إن سبب تسميتها بالعروس أنها كانت تتلألأ بأنوار الفوانيس في المناسبات مما يجعلها تشبه =

قليل خلل لتقادم عهده، طلب متولي الجامع وغيره من العلماء إلى المترجَم أن يُصلح ما وقع فيه فأصلحه، فلما أرادوا وضعه في مكانه وقع الحجر وانشقَّ شطرين فنسبوا ذلك إلى المترجم لحضور أحد تلامذته إذ ذاك، فاضطرَّ المترجَم أن يُبرىء نفسه وراح إلى داره يصرف حولين كاملين ليعمل بسيطاً يحاكي به بسيط ابن الشَّاطر فعمله، وخرج بسيطاً أحسن مِن الأوَّل وحسبه على الأفق الحقيقي، وزاد فيه قوس الباقي للفجر وأنزل القديم، وجعل هذا مكانه في يوم مشهور مشهود غبطه عليه أجلاَّء الفضلاء، فجاء في غاية الضبط والإتقان، جزاه الله خير الجزاء وذلك سنة (١٢٩٣).

ثُمَّ ذكر القاسمي شذرةً من فرائد فوائده الدَّالة على تسنمه للمعارف والعلوم، وختم ترجمته بقوله: «ولو جُمعت تحريراته وهوامشه لبلغت أسفارًا.

ولم يزل على سيرته الحميدة إلى أن توفي يوم الأربعاء سلخ ربيع الثاني سنة (١٣٠٦)، ودُفن بعدما صلي عليه في الجامع الأموي بمشهد عظيم جدًّا في جوار سيِّدنا بلال الحبشي رضي الله عنه في مقبرة الباب الصَّغير»[١].

* * *

= العروس ليلة زفافها. انظر: «الجامع الأموي» للشيخ علي الطنطاوي (ص٥٤ ــ طبعة دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٠هـ)، و «مآذن دمشق» لقتيبة الشهابي (ص٥٧، ٥٨).

(١) «تعطير المشام» (٣/ ٨ ــ ١٤).

إجازة العلاَّمة المُحَقِّق، والأُستاذ الأَكمل المدقِّق الشيخ محمَّد الطَّنطاوي ثُمَّ الدِّمشقيّ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المُجيز مَنْ قَصَدَهُ وأَمَّ له، المجيب من دعاه وأمَّلَه، الذي جَعل مزيد النِّعم على شكره إجازة، ومَنَحَ بفضله طالب العلم حقيقة السَّعادة، وسهَّل إليها مجازه، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّد صاحب الشَّريعة المُطهَّرة، والسُّنَّة الواضحة النَّيِّرة، الواصلة إلينا بالإسناد علىٰ وجوه وأنواع، من إجازة وكتابة وقراءة ومناولة وسماع، وعلىٰ آلـه وصحبه نجوم الاهتدا، والسُّنَّة في الاقتدا.

أمَّا بعد:

فقد أجزت الشَّاب النَّجيب، والفاضل اللبيب، الشيخ محمَّد جمال ابن الشيخ محمَّد سعيد الحلاَّق، بكل ما تجوزُ لي روايته، وتصحّ عني درايته، من معقول ومنقول، وفروع وأصول، بشرطه المعتبر، عند

(١) «مجموع الإجازات الموقَّعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص١٤)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص١٢).

أهل الأثر، وأوصيته بتقوى الله في السِّرِّ والعلن، وما ظهر وما بطن، فقد قيل لفاضل في النَّوم:

تعلَّمْ ما استطعتَ لِقَصْدِ وجهي ... فـإنَّ العلـمَ مِـنْ سُبُـلِ النَّجَـاةِ

وليس العلمُ في الدُّنيا بِفَخْرٍ ... إذا مـا حَـلَّ فـي غيـرِ الثِّقَـاةِ

والله أسأل أن ينفع هذا المُجاز وينفع به، ويَنظِمه في سلك أهل قربه.

كتبه أسير المساوي

محمَّد بن مصطفى الشَّهير بالطَّنطاوي

في ٩ ربيع الثاني سنة (١٣٠١)

الاربعا ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٠٧

٤ نيسان ٣٢٣ * ٤ ربيع اول ٣٢٥

حدثني ابن شيخنا الطنطاوي عن ابيه انه قال

في ابن تيمية لو كان في عصر الائمة

لما انعقد اجماعهم الا به

من مذكرات القاسمي سنة (١٣٢٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المجيز من قصده وام له المجيب من دعاه واملّه
الذي جعل مزيد النعم على شكره اجازه ومنح بفضله طالب العلم
حقيقة السعادة وسهل اليها مجازه والصلاه والسلام على
سيدنا محمد صاحب الشريعة المطهره والسنة الواضحة النيره
الواصلة الينا بالاسناد على وجوه وانواع من اجازة وكتابة
وقراءة ومناولة وسماع وعلى اله وصحبه نجوم الاهتدا
والسنة في الاقتدا اما بعد فقد اجزت الشاب النجيب
والفاضل اللبيب الشيخ محمد جمال الدين ابن الشيخ محمد سعيد الحلاق
بكل ما تجوز لي روايته وتصح عني درايته من معقول ومنقول
وفروع واصول بشرطه المعتبر عند اهل الاثر واوصيه
بتقوى الله في السر والعلن وما ظهر وما بطن فقد قيل لما ضل في النوم

تعلم ما استطعت لقصد وجهي فان العلم من سبل النجاه
وليس لعلم في الدنيا بفخر اذا ما حل في غير الثقاة

والله اسال ان ينفع هذا المجاز وينفع به وينظمه في سلك اهل قربه

كتبه اسير المساوي
محمد بن مصطفى الشهير
بالطنطاوي
سلخ ٣٠٠ شعبان
٩٤ ربيع ثا



صورة إجازة الشيخ محمّد بن مصطفى الطّنطاوي بخطه للشيخ جمال الدّين.

٦ـ الشيخ بكري العطّار

الشيخ بكري بن حامد بن أحمد بن عبيد الشهير بالعطَّار الدِّمشقيّ، الشَّافعيّ، خاتمةُ شيوخنا العِظام، وأساتذتنا المقدَّمين الكِرام، العلاَّمةُ، العَلَمُ، كَوْكَبُ الشَّامِ، وبهجةُ أقرانه الأعلام، وبقية الفضلاء الصَّالحين، والأجلاء البارعين المُتمكنين.

وُلد سنة (١٢٥١) بدمشق ونشأ في حِجْرِ والده نُخبة الأفاضل الشيخ حامد العطَّار، وحفظ القرآن عن ظهر قلب، وجوَّد على شيخنا مُقرىء الشَّام الشيخ أحمد الحلواني، وحَفَّظَه والده المنوَّه به «الأربعين النَّوويَّة» فاستظهرها، وأسمعه «الأربعين العَجْلونية» مع جماعة، وأجاز له إجازةً عامَّةً.

ولمَّا همَّ والده بالحجِّ سنة (١٢٦٢) استصحبه معه، ثُمَّ لما توفي منصرفه من الحَجِّ في (القَطرانة) قرب (مَعَان)، حضر شيخنا مع حاشية والده إلى دمشق، وأخذ بالجِدِّ في الطَّلب، وحَفِظَ كثيرًا من المتون في فنون متنوعَةٍ؛ فَحَضَرَ في الفقه على شافعيٍّ وقتِهِ الشيخ عبد الرَّحمن الطِّيبي من أقران والده، وقرأ على الفاضل البارع الشيخ هاشم التَّاجي

البَعْلي، وحضر على الشيخ عبد الله الحلبي في «البخاري»، وقرأ على العلاَّمة الشيخ حسن البَيْطار طرفًا من النحو والحديث، وعلى العلاَّمة الشيخ حسن الشَّطِّي الحَنْبَليّ «صحيح البخاري» والفرائض، وأخذ النحو على الأُستاذ الشيخ عبد الرَّحمن بايزيد، وكان انفرد بفنّ النَّحو واشتهر باستحضار قواعده وشواهده. . .

ثُمَّ ذكر الشيخ جمال الدِّين في ترجمته جمعًا من شيوخه الذين أخذ عنهم وأجازوه من علماء بلده دمشق ومصر والحجاز، ثُمَّ قال: وجدَّ واجتهد في الأخذ والحِفْظِ والتَّلقي، والمُطالعة والمذاكرة، وحِفْظِ الوقت للإفادة والاستفادة.

وتصدَّى للإقراء بإذن شيوخه حتى نما فضله، واشتهر صيته، وأضحى من المنوَّه بهم، واشتهر بِحسن التفهيم وجودة التعليم، فأكبَّ الطَّلبةُ عليه ولزمته، وانتفع به مَنْ لا يُحصى، وأخذت الطَّلبة في الإقبال عليه، سيَّما أوقات امتحان طلبة العلم الذين أصابتهم القُرعة العسكرية، فقد كان المرجع لهم في الكُتُب التي يُمتحنون منها، وفي عويصات المسائل التي يُسألون عنها، وانفرد باستحضار الدقائق المنطقية والصَّرفية والنَّحوية، والفقهيَّة، وحفظها، والكشف عنها، انفرادًا لم يشاركه فيه أحد من أقرانه فيما أعلم؛ لقوَّة ملكته وذكائِه، وغَوْرِ فهمه.

كان يُقرىء مثل «حواشي العصام» على الجامي، و «حواشي الشَّمسية» وشروحها، و «حواشي الفناري»، و «حواشي النَّتائج»،

و «المغني»، وشروح «الشَّافية»، ومثل «التُّحفة»[1] في الفقه الشَّافعي بلا مُطالعة مُتقدمة، بل يُدْرك غورها وما لها وما عليها بمجرد مروره عليها أول وهلة، مما لم أره لغيره من أقرانه. . .

وكان متودّدًا إلى الكافَّة، لطيف الأخلاق، مُتواضعًا بشوشًا، سليم الصَّدرِ، لين العَريكة، سهل الانقياد، مُحَبَّبًا إلى الجميع، سخيًّا سخاءً جِبِلِّيًّا، مضيافًا، يُلاطف الكبير والصغير، ويعاشر طلبته ويُحادثهم ويحادثونه، يحفظ أخبار الطَّبقة المُتقدمة ومجرياتها، مُنْقطعًا للإفادة والتعليم، وبلغت دروسه عشرة في اليوم والليلة، وربما أقرأ قبل طلوع الشمس، وأقرأ كثيرًا بعد العشاء في الليالي الطويلة، وحضرته سنة من السنين وقتئذٍ وله درس عام بين العشائين في الأموي درَّس فيه كثيرًا من الحديث والتفسير وغيرهما، وبالجملة فإكبابه على التعليم والتدريس والإفادة والصَّبْرِ على الطلبة، وتكرير المسائل وتفهيمها أمر غريب، كأنَّه شُغِفَ بهذه الحالة، ولم يتولع بتأليف، وإن كان جَمَعَ عنه بعض الطَّلبة كثيرًا من التَّقارير والتَّحارير وتوضيحات المسائل جملةً وافرة.

وكان قوي الحافظة، شديد الاستحضار للقواعد الصَّرفية والنَّحوية والمنطقيَّة، بحيث يكاد أن لا يغيب عن ذهنه كليةٌ منها أو شاهد، وإذا جرَّ البحث في دروسه العامَّةِ لمسألة نحويَّة أَو صرفيَّة يفيض الكلام على أطرافها إفاضةً غريبةً، وانتفع به من لا يُحصىٰ

(١) تقدَّم التعريف بهذه الكتب (ص٤٤).

بحيث كـاد أن لا يبقى أحـدٌ من غير أقرانـه إلاَّ وهو تلميـذه أو تلميـذ تلميذه.

وسما قدره لدى الأكابر وأُولي الأمر سُموًّا عظيمًا، وأجلُّوه إجلالاً باهرًا، وصار يُدعى شيخ الشَّام، حتى في آخر سنيِّه صار يقدمه قاضي الشَّام على نفسِهِ في المحافل، ويتأدَّبُ معه، وكان يتودَّد إلى الأعيان والموظفين، ويزورهم ويزورونه، ويقبلون رجاه، ويسعى في قضاء مآرب من يرجوه.

ولم يـزل على طريقته المُثلى مُمَتَّـعًا بصحتـه وقوتـه وسمعـه وبصره على ضعف اعتراه فيه إلى أن فُجِعت الشَّام به خامس شوال سنة (١٣٢٠)؛ وذلك في مرض الوباء الذي نزل بالشَّام في أَواخر شعبـان وبقـي بهـا أشهرًا، وذهب يـوم رابـع شـوال لردِّ زيارة العيـد لبعض جيرانه وأرحامه، ثُمَّ عاد وتغدَّى قُبيل الظُّهر ثُمَّ أخذ في القيلولة على عادته، واستيقظ قُبيل العصر، فشرع في الوضوء لصلاة الظهر؛ فبعد أن صلَّى قاء ثُمَّ اعتراه إسهال نحوًا من مرَّتين، وتغيَّر مزاجه، وصلَّى العصر والمغرب والعشاء بجماعة في بيته، وازداد انحرافه، فأُحضرت له الأطبَّاء، فسكَّنوا روعه، ووصفوا له علاج الوباء فتناوله، وبذلوا الجهد في كل ما يقدرون عليه، فلم ينجع شيء، وأخذ يغيب ويفيق.

ثُمَّ أدرك من نفسه الإشراف على الدَّار الآخرة، فأخذ يذكر الله كلَّما صحا، وأوصى بخمسة آلاف قرش، ولم يزل يشتدّ معه الحال إلى

صباح ذلك النهار وهو يوم الأحد، ففيه أَسلم الروح الطَّاهرة بعد طلوع الشمس، وذلك في ٢٢ كانون الأول، وكان اليوم مُمطرًا مُوحلاً، والنَّاس في الاجتماع لرؤيا محمل الحج، فشاع الخبر في البلد، وأعلم بنبئه في المآذن، وطارت قلوب النَّاس جَزَعًا، وأرسل إلى أهله بعضُ الرؤساء أن يتمهَّلوا بتجهيزه، ويخرجوا به من الدار السَّاعة الثامنة بعد الظهر بساعة، ففعل ذلك، ودخلت جنازته إلى الجامع الأموي ونحن في انتظارها بعد الساعة الثامنة، ولا تسأل عن المجمع المُحتشد من أهالي دمشق على طبقاتهم، واحتمل السَّيرُ به من الجامع إلى مقبرة الدحداح، حيث وارَوْه جدث الرَّحمة والرِّضوان أكثرَ مِن ساعة، وعند دفنه هطلت السَّماء بالغيث المدرار، وتذكّرت قول مَن قال في مثل ذلك مطلع قصيدة:

بكت السمـاء عليـه ساعـة دفنه . . . .

ورجعت الأقوام والأسف والحزن يملأ قلوبهم، فرحمه الله ورضي عنه.

وقـد كـان لـه تَـودُّدٌ للفقيـر زائـدٌ، وبعـد أن اكتفيـتُ بمـا قـرأتـه عليـه مـن بعـض الفنـون الآليَّـة، لازمـتُ مجـالسـه الحـديثيـة صبـاح كُـلِّ ثُلاثاء وجُمعة في «البخاري»، و «مسلم»، و «الموطأ»، و «أبـي داود»، و «ابـن مـاجـه»، و «النسـائـي» زيـادةً عـن نـصـفـه، وفـيـه اخـتـرمتـه المنية.

وكان درسه في الحديث المذكور غاصًّا في داره بكبار الطَّلبة

والنُّبلاء، وكان يُجلسني إلى جانبه[1]، وكثيرًا يستطلع جوابي في بحثٍ لُطْفًا منه وتواضُعًا، فإذا حضرت في درسه العام يتوجَّه إليَّ التَّوجه التَّام، محبَّةً وإيناسًا، وكان يتفقدني إذا غبتُ تفقُّدًا قَلبيًّا، ولا أنسى كثيرًا من مجيئه لدارنا أيام سيدي الوالد وبعده أيضًا.

واتَّفق في رمضان هذا العام أنَّه لم يتيسَّر لي زيارتُه أَوَّل الشَّهر لباسُورٍ كان ألمَّ بـي، فثقلت عليَّ الحَركة بسببِهِ، فسأل عني شقيقي عيدًا، فأخبره، فَحَضَرَ لعيادتي نهارًا إلى جامع السِّنانيَّة في أواخر العشر الأوَّل من رمضان، فقدَّمته لصلاة العصر، فأَمَّنا ثُمَّ جلسنا على السُّدَّة

(١) حدَّثني العمّ الشيخ محمَّد سعيد القاسمي عن موقف طريف بين الشيخ بكري وجدّه فقال: سمعت من بعض أحفاد الشيخ بكري العطَّار رحمه الله، أنَّه كان يلقي دروسه في داره بعد صلاة الفجر، ويوجب على طلبته الحضور، ولو كانوا في أقصى المدينة. وفي إحدى ليالي الشتاء الممطرة والباردة، وطرق دمشق وأزقَّتها مغمورة بالوحل والطين، طلب الشيخ بكري من أهله تحضير (المِنْقَل) لتدفئة قاعة الدرس كما هي العادة، فقالت له ابنته: إنَّ هذه الليلة شديدة البرد والطرق مغطاة بالوحل، والأمطار مستمرَّة لم تنقطع، لذا لن يحضر الطلبة الدرس، ولا حاجة لتحضير المِنْقَل، فأجابها والدها: إذا لم يحضر الطلبة بسبب الصقيع والمطر، فلا بدَّ من حضور جمال الدِّين القاسمي؛ لأنه لم يتخلَّف يومًا عن حضور الدرس، ففَعَلَت وأَحْضَرَت المِنْقَل، ولما حان موعد الدرس عقب صلاة الفجر، إذا الباب يُطْرَق، ويطلّ محمَّد جمال الدِّين القاسمي؛ فيناديها والدها الشيخ قائلاً:
أَلَمْ أقل لكِ: إنَّه سيحضر؟ رغم كلّ الظروف!!
وهكذا فعل، وقرَّر الدرس للقاسميّ رحمه الله تعالى.
رحم الله الجدّ، لقد كان مثلاً في التبكير إلى ساحة النبوغ، كما أصبح مثلاً في التبكير إلى ساحة الخلود في قلوب الناس».

اليُمنى، وقال: جئت لأجلك. فابتهجت به، وكذا إخواننا، وتفاوضنا فيما أَلَمَّ بـي وفي أدويته، وداعبته في قول الأَقدمين: الباسور داء الشَّافعيَّة[1]. وجلسنا حصَّةً وافرة، ثُمَّ ألححت عليه أن يتكرَّم بالإفطار عندنا فاعتذر، ثُمَّ ودعناه إلى باب الجامع بعدما لثمنا يده المباركة.

ثُمَّ زرته بعد ليلة بعد صلاة التَّراويح فرحَّب بـي وأدناني وقال: كلَّفت نفسك، وإنِّي اطمأننتُ عليك، فقلت له: تنسَّمت العافية والشفا منذ تشريفكم.

فرحم الله تلك النَّفس الطَّاهرة، والأخلاق الباهرة، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ورُثي بقصائِد كثيرة، منها قول بعض الأُدباء:

تزعزعَتِ المشارقُ والمغاربْ ... وجادتْ في مَدَامِعها السَّحائِبْ
وباتتْ ناعياتُ الشَّامِ تبكي ... على عَطَّارنا بكري المَشَارِبْ

---

(١) كان الإمام الشَّافعيّ رحمه الله قد أصيب بداء البواسير. انظر: «مناقب الشَّافعي» للبيهقي (٢/ ٢٩٢). هذا وقد أفرد العلاَّمة القاسمي ذلك برسالة أسماها: «ما قاله الأطباء المشاهير في علاج البواسير»، قال في مطلعها: «وقد أصبت به عام (١٣٢٠)؛ فراجعت لأجله رؤساء أطباء بلدنا دمشق ممن يطبِّب بالطب الجديد والقديم، وحصل لدي أنواع من العلاج القويم، وطالعت من أشهر كتب الطب عددًا عديدًا، ومن الصحائف والرسائل ما كان في بابه فريدًا، فجنيت من ذلك كلّه ما شممت منه رائحة الأهميَّة، ورأيت في ذكره الجدارة والأحقيَّة، ثم رتَّبته ترتيبًا لطيفًا، وضممت إليه من الفوائد الصحيَّة قسمًا ظريفًا، فجاءت رسالة جليلة الفائدة، جزيلة العائدة...»!.

إمــامٌ فــي الحقيقــةِ لا يُبــارى   وحِصْــنٌ للشــريعــةِ والمــذاهِــبْ
سِــــراجُ العِلْـــم أطفـــأه هـــواءٌ   قد اصفَرَّتْ لَه شَمْسُ الكواكبْ
فحادت عن مراكزها الرواسي   وضاقتْ في نواحينا السَّباسبْ
بيــوم المحمــل انقضَّــتْ علينــا   جبــال العلــم فــانهــدَّت منــاكــبْ
أَجَــلْ واللَّــهِ خَطْــبٌ حَــلَّ فينــا   به هانت لنا باقي المصائبْ[1]

* * *

(١) «تعطير المشام» (٣/ ٧٣ ــ ٨٠).

إجازة العلاَّمة المفضال بقيّة الأخيار الشيخ بكري العطَّار[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن وفَّقَ من شاء لتحصيل العلوم، وألهم من أحبَّه رُشده ففاز بنيل المنطوق منها والمفهوم، وصلاةً وسلامًا علىٰ من سَنَّ لنا سُنَّة الإسناد، وبيَّن لنا طريق الحقّ والرَّشاد، وحثّنا علىٰ تبليغ الشَّريعة حثًّا ما له دافع، حيث قال: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مقَالَتي فوَعَاهَا، فأدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى منْ سَامِعٍ»[(٢)]، فصار ذلك علينا من الواجب، لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ»[(٣)] وعلىٰ آله الحنفاء، وأصحابه الشُّرفاء.

---

(١) «مجموع الإجازات الموقَّعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص١٥)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص١٣، ١٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٣٧)، والترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وغيرهم من حديث ابن مسعود وهو حديث صحيح متواتر.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (١/ ١٥٧) من حديث أبي بكرة، ومسلم (٢/ ٩٨٧) من حديث أبي شريح العدوي.

أمّـا بعـد:

فقد طلب مني الشّاب النّجيب، والعالم الأديب، الشيخ محمّد جمال ابن العالم الفاضل، والأديب الكامل، الشيخ محمَّد سعيد بن الصالح الكبير، والعالم النِّحرير، المندرج بالوفاة إلى رحمة الخلاَّق، الشيخ قاسم الشهير بالحلاَّق، أن أُجيزه بكل ما تجوز لي روايته، وتنسب إليَّ درايته.

فأجبته إلى مطلوبه، إنجازًا لسؤاله ومرغوبه، وإن كنتُ لستُ أهلاً لذلك، ولا ممن سلك هاتيك المسالك، وأجزته بِكُلِّ ما تجوز لي روايته بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر، كما أجازني بذلك أشياخي الكرام، وأساتذتي العِظَام، من أجلِّهم سيدي وسندي ذو الفضل المدرار، والدي المرحوم الشيخ حامد العطَّار، وهو يروي عن مشايخَ معتبرين، وأساتذةٍ مُعظَّمين، من أجلهم والده المرحوم الشهاب أحمد العطَّار، عليه رحمة العزيز الغفَّار، وأشياخ جدِّي مذكورة في «ثبته»[1].

وأرجو الله تعالى أن يفتح على المُجاز فتوح العارفين، وأن ينظمه في سِلك العلماء العاملين، وأرجو منه أن لا ينساني من صالح دعواته، في خلواته وجلواته، والحمد لله في البدء والختام، وصلَّى الله وسلَّم

(١) طُبِع بعنوان «انتخاب العوالي والشيوخ الأخيار من فهارس شيخنا الإمام المسند العطَّار» جمع عبد الرَّحمن بن محمَّد الكُزْبري، وقد طُبع بتحقيق الشيخ محمَّد مطيع الحافظ؛ وذلك في دار الفكر بدمشق سنة (١٤١٤هـ).

علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وأصحابه الكرام، حُرِّرَ في غُرَّة محرم الحرام سنة ألف وثلاثمائة واثنين من هجرة سيد الأنام. .

قاله الفقير إلى عفو ربِّه الغفَّار: بكري بن حامد العطَّار، الشَّافعيِّ، القادري عُفِي عَنه.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن وفق من شاء لتحصيل العلوم، وألهم من أحبه رشده ففاز بنيل
المنطوق منها والمفهوم، وصلاة وسلاماً على من سن لنا سنة الإسناد
وبين لنا طريق الحق والرشاد، وحثنا على تبليغ الشريعة حثاً ماله دافع حيث
قال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى
من سامع، فصار ذلك علينا من الواجب لقوله عليه الصلاة والسلام ليبلغ
الشاهد منكم الغائب، وعلى آله الحنفاء وأصحابه الشرفاء، أما بعد فقد طلب مني
الشاب النجيب والعالم الأديب الشيخ محمد جمال بن العالم الفاضل والأديب الكامل
الشيخ محمد سعيد بن الصالح الكبير والعالم النحرير المندرج بالوفاة إلى رحمة الخلاق
الشيخ قاسم الشهير بالحلاق، أن أجيزه بكل ما يجوز لي روايته وتنسب إلى درايته
فأجبته إلى مطلوبه إنجازاً لسؤله ومرغوبه، وإن كنت لست أهلاً لذلك ولا ممن سلك
هاتيك المسالك، وأجزته بكل ما يجوز لي روايته بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر
كما أجازني بذلك أشياخي الكرام، وأساتذتي العظام، من أجلهم سيدي وسندي ذو
الفضل المدرار والدي المرحوم الشيخ حامد العطار، وهو يروي عن مشايخ معتبرين
وأساتذة معظمين من أجلهم والده المرحوم الشهاب أحمد العطار عليه رحمة العزيز
الغفار، وأشياخ جدي مذكورة في ثبته، وأرجو الله تعالى أن يفتح على المجاز فتوح
العارفين، وأن ينظمه في سلك العلماء العاملين، وأرجو منه أن لا ينساني من صالح دعوته
في خلواته وجلواته، والحمد لله في البدء والختام، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
الكرام. حرر في غرة محرم الحرام سنة ألف وثلثمائة واثنين من هجرة سيد الأنام

قاله الفقير إلى عفو
ربه العطار بكري
ابن حامد العطار
الشافعي القادري
عفي عنه

صورة إجازة الشيخ بكري العطَّار للقاسمي.

٧ ـ الشيخ أحمد الحلواني

الشيخ أحمد بن علي بن محمَّد الشهير بالحلواني الشَّافعي، الرِّفاعي، شيخُ قراء عصره، ومرجع المُجَوِّدين في قُطره.

وُلد بدمشق سنة (١٢٢٨) ونشأ في حِجْرِ والده، ولما ترعرع حفظ القرآن عن ظهر قلب من طريق حفص على الشيخ راضي، ثمَّ أقبل على طلب العلم، فقرأ على فضلاء زمانه، منهم: الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، سَمِعَ منه البخاري وغيره، «والأربعين العجلونية»، وكتب له بخطِّه إجازة بديعة. ومنهم: الشيخ عبد الرَّحمن الطِّيبي، حضره في جمل من كتب الفقه الشَّافعية. ومنهم: الشيخ سعيد الحلبي، أخذ عنه طرفًا من علم العربية. ومنهم: المحقِّق عبد اللطيف أفندي مُفتي بيروت، أخذ عنه جانبًا من الصرف والبيان وغيرهما، ثُمَّ في سنة (١٢٥٣) ذهب إلى مكَّة المشرَّفة واجتمع فيها بالشيخ الإمام النِّحرير، شيخ القرَّاء في الأباطح المكِّيَّة، الشيخ أحمد المرزوقي البصير، المصري الأصل، المكِّي الدار والوفاة، فقرأ عليه ختمة مُجوّدة من طريق حفص، ثُمَّ حفظ عليه «الشَّاطبيَّة» و «الدُّرَّة»، ثُمَّ حفظ «الطيبة»

لشيخ الفنّ العلاَّمة ابن الجزري، وقرأ عليه ختمة من طريقها للقرَّاء العشرة أيضًا، ثُمَّ أجازهُ شيخه بالقراءات العشرة وما تجوز له روايته.

وأقام المُتَرجَم بمكة أربع سنوات، ثُمَّ رجع إلى وطنه دمشق سنة (١٢٥٧)، فتصدَّرَ للإقراء من طريق حفص وغيره من السبع، فاشتهر ذكره، وعَمَّ نفعه، ثُمَّ سار إلى مكَّة المكرَّمة سنة (١٢٦٥)، وأقام بها ثلاثَ عشرةَ سنةً مُشتغلاً بقراءة القرآن، وتعليم القراءات، وانتفع به هناك خلقٌ كثير، ثُمَّ عاد إلى وطنه سنة (١٢٧٧)، فمكث يُقرىء ويُفيد إلى وفاته.

وكان ــ رحمه الله ــ حسن المُفاكهة، لذيذ المُحاضرة، لطيف المُسامرةِ، كثير الملازمة لبيته، لا يخرج إلاَّ لضرورة، مُحبَّبًا، مُربيًّا، ناصحًا، نظم رسالة في التجويد سمَّاها: «المنحة السَّنية» ثُمَّ شرحها شرحًا لطيفًا سمَّاه: «اللطائف البهيَّة» جمع فيه معظم أحكام التجويد. وله منظومات كثيرة في بعض ضوابط القراءات.

وأنجب تلامذة في دمشق فُضلاء بعد أن كان فن القراءات انقطع سنين منها، ووقع بينه وبين علماء عصره نزاعٌ كبيرٌ في أن التجويد واجبٌ شرعًا أو صِناعةً، فكان الأُستاذ المُتَرْجَم يعتمد الأول ويحاورهم في أدلة ذلك وكانوا يعتمدون الثَّاني، ثُمَّ ورد إلى دمشق سنة (١٣٠٠) العلاَّمة الشيخ محمَّد بن صلاح الباقاني الحَنفي النَّابلسي فسأله المُتَرْجَم عن حكم التجويد، فأجاب بأنَّه لا يعلم خلافًا في وجوبه، فحينئذٍ التمس منه شيخنا المُتَرْجَم أن يجمع ما نقل في ذلك، فأجاب وصنَّف

رسالة سمَّاها: «القول السديد في وجوب التجويد»، وقد بيَّضتها لشيخنا المُتَرْجَم من خط مصنفها.

ولم يزل المُتَرْجَم على استقامته الجليلة إلى أن تُوفي بعد عصر يوم الأحد في ٢٦ جمادى الثَّانية سنة (١٣٠٧)، وأُخِّرَ تجهيزه ليوم الاثنين، ودُفِنَ بعد أن صُلِّي عليه في الجامع الأموي بمقبرة باب الفراديس.

ومما امتنَّ الله به عليَّ قراءتي على الأُستاذ المُتَرْجَم، فإني لازمته مدَّة تنوف عن ثمان سنين، فقرأت عليه ختمةً وأكثر من نصف أُخرى على طريقة حفص، وسمعت منه «الميدانية»، ثُمَّ «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام مرَّتين، ثُمَّ شرحها للشيخ خالد الأَزهري، ثُمَّ معظم شرح منظومته المتقدِّم ذكره، وأجاز لي إجازةً عامَّةً بسائر مروياته، ثُمَّ إنِّي أحببت أن أشرح «الميدانية» فشرعت فيه، وأتممته سنة (١٣٠٤)، وقابلته عليه بتمامه فاستحسنه وقرَّظ عليه، ثُمَّ اطَّلع عليه معظم فضلاء دمشق فكتبوا عليه، وهو أَوَّل مُصَنَّفٍ لي ظهر للوجود، وعملت أيضًا جدولاً بديعًا في مخارج الحروف وصفاتها أطلعت أُستاذنا المُتَرْجَم عليه فأعجبه ودعا لي، جزاه الله خيرًا[1].

* * *

(١) «تعطير المشام» (٣/١٦ ــ ١٨).

إجازة الحلواني للقاسمي

قال الشيخ جمال الدِّين في ثبته «الطالع السعيد» (٥/ب) في ذكر روايته عنه رواية خاصَّة بالقرآن الكريم وروايته عامَّة[١]:

الباب الأول في سندنا في القرآن الكريم، أحيانا الله على العمل بما فيه، وعلمنا تأويله بمنِّه وكرمه:

ممَّا منَّ الله تعالى به على عبده قراءة التنزيل الجليل، قراءة تجويد وترتيل، لدى الأُستاذ، العالم، الفقيه، شيخ القراء والمُجَوِّدين في الشَّام، ومن أحيا في القرآن في روضها البَسَّام، الشيخ أحمد بن علي بن محمَّد الحلواني، الشَّافعي، الدِّمشقي؛ فقد لازمته عدَّة سنين، وحضرتُه في «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام[٢] مرَّتين، وشرحها للشيخ خالد الأزهري، ورسائل أُخرى في التجويد، وقرأتُ عليه ختمةً كاملةً وأكثر من نصف ثانية على رواية حفص، وانتفعت بصحبته. وشيخنا

(١) لم أقف على إجازة للشيخ جمال الدِّين من الشيخ الحلواني فاكتفيت بما في «الطالع السعيد».

(٢) يعني الشيخ زكريا الأنصاريّ.

المنوَّه به من طبقة أُستاذنا الشيخ سليم العطَّار، والمُفتي الحمزاوي الآتي ذكرهما في سندي «صحيح البخاري»؛ فإنَّه شاركهما في سماع الحديث من أشياخهما الدِّمشقيين، وقد أجاز لي الأُستاذ المذكور إجازةً عامَّةً في محرم سنة (١٣٠١).

وأمَّا سنده في القرآن المجيد فإنَّه ــ عليه الرحمة والرضوان ــ جمع القراءات وتلقَّاها عن مقرىء مكَّة المشرَّفة السيِّد أحمد الحسيني المرزوقي المالكي، وكتب له إجازة في القراءات بديعة رأيتها مؤرَّخة في ختام سنة (١٢٥٥) ومنها نقلت سنده إلى مُنتهاه.

وهو تلقَّاه عن العمدة الفاضل السيِّد إبراهيم العبيدي، وهو عن السيِّد علي البدري، عن الشيخ أحمد الإسقاطي، عن أبي النُّور الدِّمياطي، عن الشيخ أحمد سلطان المزَّاحي، عن يوسف الداني البصير، عن السنباطي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن رضوان العقبي، عن الشيخ محمَّد النويري شارح «الطيبة»، عن الإمام محمَّد ابن الجزري مُحَرِّر الفنّ، عن إمام الأزهر المشهور بابن اللَّبَان، عن الشيخ أحمد صهر الشاطبي، عن الشيخ أبي الحسن، عن ابن هذيل، عن أبي داود سليمان بن نجاح، عن الحافظ أبي عمرو الدَّاني، عن أبي الحسن طاهر بن غلبون المُقرىء، عن أبي الحسن علي بن محمَّد بن صالح الهاشمي المُقرىء بالبصرة، عن أبي العبَّاس أحمد بن سهل الأشناي، عن أبي محمَّد عبيد بن الصباح، عن حفص،

عن أبـي بكر عاصم بن أبـي النجود التَّابعي، عن عبد الله بن حبيب السّلمي، وزِرْ بن حُبيش الأسدي، عن عثمان، وعلي، وابن مسعود، وزيد رضي الله عنهم، عن النَّبِـيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، عن جبريل عليه السَّلام، عن ربّ العالمين جلَّ جلاله وعَظُم نَوَاله.

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتابه ووعد لمن تلاه وجوده وعمل به ثوابه وصلى الله على سيدنا محمد الأمين
وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فاني قرأت شرح شيخ الاسلام ابي يحيى القاضي زكريا
الانصاري وشرح العلامة الشيخ خالد الازهري على مقدمة الشيخ الامام والحبر الهمام شمس
الملة والدين استاذ الحفاظ والمجودين ابي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري طيب الله ثراه
وجعل الجنة مأواه مع الضبط والاتقان فيهما عند سيدي وسندي العالم العامل
والفاضل الكامل بقية الصالحين وشيخ القراء والمجودين الشيخ احمد افندي الحلواني
حفظه الملك الداني فانه اجازني بها اجازة خاصة وان اجيز غيري بها وقد
اجازني ايضا بسائر مروياته رواية ودراية اجازة عامة كما اجيز من اشياخه وبشرحه
على منظومته المسمى باللطائف البهية في شرح المنحة السنية في علم التجويد
وسألته الدعاء بالفتوح فدعا لي وكان ذلك في ٢٠ محرم الحرام يوم الثلاثاء سنة ١٣٠١

كتبه الفقير المقر بالعجز
والتقصير محمد جمال
الدين القاسمي
عفي عنه

نموذج مما قرأه القاسمي على الشيخ الحلواني، بخط القاسمي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص الانسان بحفظ القران وفضله تفضيلا
والصلاة والسلام على من انزل عليه ورتل القران ترتيلا اما
بعد فقد اطلعت على هذا الشرح فوجدته متقنا محررا مستوعبا لغالب
احكام التجويد وارجو الله ان ينفع به المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم رجب ٢٨ سنة ١٣٠٤

قاله بفمه وامر برقمه
احقر الورى وخادم
القراء احمد الحلواني

صورة تقريظ الشيخ الحلواني لرسالة القاسمي في التجويد.

٨ـ الشيخ حسن جُبَينة

الشَّيْخُ حسن بن أحمد آغا بن عبد القادر آغا الشَّهير بجُبَينة، الحَلبيّ الأصل، سِبْط العلاَّمة الشيخ السيِّد محمَّد الدَّسوقي، خال والدي، الشَّافعيّ، الفَاضِلُ الشَّهير، والفقيه النِّحرير.

كان إمامًا بارعًا، مُشاركًا في عدَّة فنون، له استحضارٌ حسنٌ للفروع الفقهيَّة وتضَلُّعٌ من مسائله وأبحاثه.

وُلد بدمشق سنة (١٢٤١) وسرى سيرة آل والدته السَّادة الدُّسوقيين في أخذ العلوم عن الأجلاَّء الأعلام، فقرأ على الشيخ هاشم التَّاجي بعض كتبٍ في النحو والفرائض، وعلى الشيخ محمَّد بن عبد الله الخاني حصَّةً من الفقه الشَّافعيّ، وكذا عند الشيخ أحمد البغال، وحضر في النحو أيضًا عند الشيخ عبد الرَّحمن بايزيد، ولازم المُلازمة التَّامة ليلاً ونهارًا دروس سيِّدي وجَدِّي العلاَّمة الشيخ قاسم الشهير بالحلاَّق، فقرأ عليه مُعظم كتب الفقه والحديث وغيره، وأعاد له دروسه بين العشائين في جامع السِّنانية قبل سيِّدي الوالد. ثُمَّ بعد وفاة سيِّدي الجدّ

المُنوَّه به لازم شيخنا فريد عصره الشيخ سليم العطَّار، فَسَمِعَ منه مجالس من «الإحياء»، و «البيضاوي»، و «القسطلاني»، و «نوادر الأصول» وغير ذلك.

واستجاز من مشاهير فضلاء عصره دمشقيين وغيرهم، وجمع ذلك في «ثبته»، فممَّن أجازه بجميع مروياته: سيدي الجدّ ــ المتقدِّم ذكره ــ، والعلاَّمة الشيخ إبراهيم الباجوري، والشيخ إبراهيم السَّقا، والشيخ أحمد زيني دحلان مُفتِي مكَّة المكرَّمة، والعارف بالله تعالى الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، والمولى محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق، وشيخنا المُحَدِّث الشيخ سليم العطَّار، وغيرهم ممن يطول المقام بذكرهم.

ولما وُظِّفَ سيدي الجد إمامًا بجامع السِّنانية صار المُتَرْجَم إمامًا بجامع حسان، مكان سيدي الجدّ.

وأقرأ به، وفي جامع السِّنانية دروسًا خاصَّةً وعامَّةً وانتفع به كثير من المتفقهة الشَّافعية، وكنتُ حضرت عليه حصة من «شرح الحضرمية»، وسمعت منه «الشمائل»، و «الأربعين النووية» وغيرها، وأجاز لي إجازةً عامَّة، وقد انتفعت بصحبته كثيرًا، جزاه الله خيرًا.

وكان ــ رحمه الله ــ عالمًا لطيفًا، وفاضلاً ظريفًا، مُتواضع النَّفْس، سخيَّ الكَفِّ، له لطف طبعٍ، ومُنادمة مقبولة، واطِّلاع على أخبار المُتقدمين، وله رسالة في الأخلاق التي ينبغي للإنسان

أن يكون عليها، أخذها من الآيات والأحاديث الشريفة، وله شعر متوسط مقبول، منه قوله في شروط السيران[1]:

يا أيُّها الجمع على السيرانِ فاجمعوا دراهمَ الإخْوانِ
وبعدُ سيروا بالسُّرور والهَنَا وأَرسلوا أكلاً لنا يُشبِعُنَا
وهيِّئوا هذا الذي ذَكَرْتُه ونوعَ حَلوى ليس يخفى نَعْتُه
واصطحبوا صَوْتًا جميلاً حَسنًا ومَنْ يكون مُطْرِبًا يُضْحِكُنا
وأبعدوا عمن إلينا يَرْقُبُ وإن تشاؤوا في الرِّياض فالعبوا
وانتخبوا لنا مكانًا مُعتَبَرْ وأَجْلِسُونا حول زَهر ونَهَرْ
لنجتلي ثلاثةً تجلو الحَزَنْ الماءَ والخُضْرَةَ والشَّكْلَ الحَسَنْ

ولم يزل على سيرةٍ حميدةٍ، وطريقةٍ سديدةٍ، إلى أن أصابه مرضُ الاستسقاء، بقي معه نحو سنتين، وفيه تُوفِّي يوم الثُّلاثاء، قُبيل العصر في ١٢ محرم سنة (١٣٠٦).

وحضر مشهده جملة من علماء العصر، منهم: العلاَّمة الشيخ سليم العطَّار، وحضر الصَّلاة عليه أيضًا بجامع السِّنانيةِ، وأَمَّ الوالد الماجد بالصَّلاة عليه إمامًا، ودُفِنَ في مقبرة الباب الصغير في جوار مقام سيِّدنا بلال رضي الله عنه.

وجُبَينة ــ بِضمّ الجيم أوله وفتح الموحدة بعده، ثُمَّ ياء تحتية ساكنة ــ: لعلَّها تصغير جُبنة، لقب لعائلة فخيمة في حلب الشَّهباء،

(١) السيران عند أهل دمشق: هو النُّزهة مع الأصحاب أو الأهل.

وكان جدّه عبد القادر آغا قدم منها إلى الشَّام، وكان تاجرًا كبيرًا، واتَّصل ابنه أحمد آغا والد المُتَرْجَم ببنت العلاَّمة السيِّد الشيخ محمَّد الدسوقي الحسيني رحمه الله تعالى[1].

* * *

(١) «تعطير المشام» (٣/ ٦ ـ ٨).

صورةُ إجازة الأُستاذ الفقيه، والكامل النبيل النَّبيه، خـال سيِّـدي الوالـد الشَّيخ حسن أفندي جُبَيْنَةَ الشَّهير بالدسوقي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن خَصَّصَ خشيته في العلماء، فنالوا بذلك عِزًّا وفخرًا، وسيَّدَهم بحفظ شريعة من رقَّاهُ الله علىٰ جميع أنبيائه، وتوَّجه بكرامات ليلة الإسرا، وأعطاه الله جوامع الكلم، وجعل الصَّلاة عليه لسيِّدنا آدم مهرا، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله الذين جاء تطهيرهم في آية في كتابنا العزيز تُتلى وتُقرا، وعلى أصحابه وتابعيهم ما طلب راغبٌ الإجازة ليتَّصل بسلسلة أهلها فينال منزلةً وقدْرا.

أمَّا بعـد:

فإنَّ من أشرف ما يكتبه الإنسان، اندراجه في سلك ذوي الفضائل

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص١٦، ١٧) وهذه الإجازة بخط المجيز وتوقيعه، و«مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص١٥، ١٦).

والإتقان، واتِّصاله بسندهم كاتِّصال سلسلة أوَّلها في الأرض وآخرها في العنان.

وإنَّ ممَّن وَفَّقَ الله لطلب الإسناد في العلوم ولدُ القلب الفَاضِلُ الوجيه، والكامِلُ النَّبيه، من قرَّت به عيون مُحبِّيه، المجتهد في تحصيل العلوم العقليَّة والنَّقليَّة، وبقية الفنون الأدبيَّة، الشيخ محمَّد جمال، من فاق على أقرانه بالمحاسن والمعارف والكمال، ابن الأديب الكامل والعالم الفاضل، مَنْ هو في لطفه فريد، جناب الشيخ محمَّد سعيد ابن المرحوم شيخي وسَنَدي من فاق في فقهه على أقرانه، وتميَّز بعلمه علىٰ أهل زمانه، سيِّدي الشيخ قاسم الشهير بالحلَّاق، عليه رحمة الملك الخلَّاق، فإن ابن ابنه المذكور، فَتَحَ الله عليه وضاعف لنا وله الأُجور، قد طلب مني أن أُجيزه بـ «صحيح إمام المُحَدِّثين سيدي أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدزبة البخاري، وبـ «صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القُشيري النِّيسابوري»، وبما تجوز لي روايته، فَأَقَلتُ نفسي من ذلك، وقلت له: لست أهلاً لذلك، فألحَّ عليَّ لحسن ظنّه في الفقير، وأكدتُ عليه الأمر، وقلت له: لستُ من المشاهير. فلما لم يقتنع مني بذلك، فوقتئذٍ توكَّلت على القوي المالك، وتمثَّلت بقول القائل:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبّهوا ... إنَّ التَّشَبُّهَ بالكِرامِ فلاحُ

فأجزته بـ «الصحيحين» المذكورين، وبما تجوزُ لي روايته، وتُنْسَب إليَّ درايته، كما أجازني بذلك جدُّ المُجاز سيدي وسَنَدي العَالم

العلاَّمة، والمُحَقِّقُ المُدقِّق الفهَّامة، المُتَّصِفُ بمحاسِنِ الأخلاق، المرحوم الشيخ قاسم الشهير بالحلاَّق، بروايته عن مشايخَ مُعتبرين، وأساتذةٍ مُكرمين، من أجلّهم شيخُه المُحَدِّث الكبير، والعالمُ الشهير، الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، عن والده العلاَّمة الشيخ محمَّد الكُزْبري عن مشايخه المذكورين في «ثبته»، وبما أجازني غيره من شاميِّين ومكيِّين ومصريِّين، وذلك بشرط التثبُّت في النقل، وعدم الاعتماد إلَّا على النُّسَخِ المُصحَّحة المُقابَلة علىٰ أصلٍ مُعْتَمَدٍ.

وإنِّي أُوصيه بتقوى الله تعالى ومُراقبته في السرِّ والعَلانية، ودوام الاشتغال بالعلم والعمل، والإكثار من ذكر الله تعالى والصَّلاة علىٰ سيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. وأرجوه أن يتذكرني ووالدي بصالح الدَّعوات، والحمدُ لله علىٰ التمام، في البدء والختام، تحريرًا في سَلْخِ محرم الحرام سنة (١٣٠٢)، قاله الفقير حسن بن السيد أحمد جُبينة سِبْط العلاَّمة الشيخ محمَّد الدَّسوقي، عفا الله عنه.

* * *

فأجزته بالصحيحين المذكورين، وبما يجوز لي روايته وتنسب إلي درايته

كما أجازني بذلك جد المجاز سيدي وسندي العالم العلامة المحقق

المدقق الفهامة المتصف بمحاسن الأخلاق، المرحوم الشيخ قاسم

الشهير بالحلاق، بروايته عن مشايخ معتبرين، وأساتذة مكرمين

من أجلهم شيخه المحدث الكبير والعالم الشهير الشيخ عبد الرحمن الكزبري

عن والده العلامة الشيخ محمد الكزبري عن مشايخه المذكورين في ثبته

وبما أجازني غيره من شاميين ومكيين ومصريين، وذلك بشرط التثبت

في النقل وعدم الاعتماد إلا على النسخ المصححة المقابلة على أصل معتمد

وإني أوصيه بتقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلانية ودوام الاشتغال

بالعلم والعمل والإكثار من ذكر الله تعالى والصلاة على سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأرجوه أن يتذكرني ووالدي بصالح الدعوات

في البدء والختام، تحريراً في سلخ محرم الحرام سنة ١٣٠٢

والحمد لله على التمام.

قاله الفقير حسن بن

السيد محمد حسن

سبط العلامة الشيخ

محمد الدسوقي

عفي عنه

صورة إجازة الشيخ حسن الدّسوقي بخطّه للقاسمي.

٩ـ الشيخ محمَّد بن محمَّد الخاني

الشيخ محمَّد بن محمَّد بن عبد الله الخاني الدِّمشقيّ، شيخنا العالم المُحَقِّق، والصُّوفي المدقِّق.

وُلِد سنة (١٢٤٧)، ونشأ في حِجْرِ والده المُرشد الجليل، وتلقَّى عنه جملةً صالحةً من فنون، واستجاز له والده من مُسْنِدِ الشَّامِ الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبَرِي، فأجاز له إجازةً عامَّةً.

وتخرَّجَ في العلوم العقلية والنقلية على العلاَّمة الكبير الشيخ محمَّد الطَّنطاوي.

ولمَّا تُوفِّي والده سنة (١٢٧٩)، قام مقامه في الإرشاد وقراءة الدروس العامَّـةِ والخاصَّةِ فـي جامـع المُرادية في محلة السويقة[1]،

(١) قال الشيخ جمال الدِّين في «تعطير المشام» (٢/ ٦٤): «جامع السويقة، ويُسمى جامع المرادية، أنشأه الوزير مراد باشا، وكان انتهاء عمارته سنة (٩٧٨)، . . . وكان في الجامع ثلاث صفف مرتفعات وبينها طريق يداس بالنعال، وكانت تمرّ منه النساء تدخل إليه من باب وتخرج من الآخر، ثُمَّ ترتب على ذلك منكرات فظيعة؛ ولما تولَّى إمامته خلاصة المرشدين محمَّد بن عبد الله الخاني النقشبندي سنة (١٢٤١)، شرع في لَمِّ شعثه شيئًا فشيئًا. . . وفي سنة (١٢٥٩) أزال الشيخ محمَّد الخاني المنوَّه =

ووجَّه عليه مرتب والده عن تكيَّة الجامع المذكور، وفي عام (١٢٨٠) تزوَّج بنت علاَّمة عصره الشيخ خالد النَّقشبندي، فحظي بذلك، وسافر صحبتها إلى الحج والأستانة.

ثُمَّ اتَّصل بالأمير السيِّد عبد القادر الحسني الجزائري نزيل دمشق، وصَحبه وسَمِعَ منه «صحيح البخاري» كلّه في دار الحديث، وأجاز له إجازةً عامَّةً، وجعله الأمير من خاصَّته، ورتَّبَ له مُرَتَّبًا شهريًّا لائِقًا بقدره، وأقامه وصيًّا على أولاده القاصرين، فأحسن كفالتهم، وكان الأمير أوصى له بعشرة آلاف قرش فلم يقبلها المُتَرْجَم بعد وفاة الأمير وقال: أقوم بالوصاية حُسبةً قيامًا بحقوق الصُّحبة والفواضل السَّالفة منه.

وحجَّ مرارًا، ولما حجَّ صحبة والده عام (١٢٩٢)، استجاز من العلاَّمة الشيخ عثمان الدُّمياطي، وسافر صُحبة شيخه العلاَّمة الطنطاوي المتقدِّم سنة (١٢٧٨) إلى مصر، واستجاز من فُضلاء أزهرها كالشيخ إبراهيم السَّقا، والشيخ محمَّد الخضري، وفي آخر حجاته سنة (١٣١٠) أُصيب بأحد أنجاله النُّجباء وهو الشَّاب الشيخ بشير لم يبلغ العشرين عامًا، وصبر على فقده صبرًا جميلاً.

= الصُّفف التي في صحنه ومهَّد أرضه على نسبة واحدة، ومنع الطريق منه، وغيَّرَ بحرته وكانت طويلة مربَّعة، وبلَّط أرضه كلها، وعمل الرواق الشمالي بأقواسه، وسوَّى إيوانه القبلي على نسبة واحدة، وكان له صفتان مرتفعتان وجدَّد ما اضمحلَّ من كثير من الحجرات جزاه الله أحسن الجزاء».

وكان من عادة شيخنا المُتَرْجَم الملازمة على الخلوة في رمضان وعشر ذي الحجة، وكان مُفردًا في اللُّطف والبشاشة، ومؤانسة الجليس، موصوفًا بوفور العقل والدَّهاء، قوي الفِراسة، ثابت الجأش، كثير الحِلْمِ والتُّؤدةِ، لا تأخذه حدة، وقورًا للغاية، لا يملّ جليسُه حديثه، زيد بَسطة في العلم والجسم، مُحبَّبًا لدى الخاصَّة والعامَّة، وكان يجتمع عنده جمعية وافرة يوم الثلاثاء والجُمعة في جامع المُرادية لإسماع الحديث، فيجلس لديه عدد عديد من عيون الطَّلبة وغيرهم على وقار وهيبة إلى انتهاء الدرس.

وكان يوم الثلاثاء والجمعة عنده في الجامع المذكور من المجامع الغريبة كأنَّه موسم يُوفد إليه من غالب أنحاء الشَّام حُبًّا في المُتَرْجَم لما حوى من مكارمِ الأخلاق، وهو أحد مشايخي الذين صحبتهم، وانتفعت بهم، قرأت عنده كُتُبًا عديدةً من فنون مُتنوعة، ولازمته ملازمةً تامَّةً ليلاً ونهارًا من سنة (١٣٠٣) إلى عام (١٣٠٩)، وسَمِعتُ منه حِصَّةً وافرةً من «المُوطأ» و «البخاري» و «سنن أبي داود» و «الترمذي»، وأجاز لي إجازة عامَّةً، وكان يودني المودة الأكيدة، ويتفقدني إذا أبطأت عن زيارته لعارضٍ، ويُقْبِلُ إليَّ في محلّه الإقبال الزائد، ويَخُصُّني بالمحاورة والمحاضرة.

وأُصيب قبل وفاته بعام ونصف بغشاوة على بصرِهِ سَرَت للحدقتين، وفَقَدَ الإبصار رأسًا، ثُمَّ تفقَّد أطباء الشَّام فقالوا: يمكن المعالجة ويزول هذا العارض فتوقَّف خشية عدم الفائدة، ثُمَّ أُشير عليه

بالذهاب إلى بيروت والمُعالجة ثمة فقصدها، وكان ينتابها كثيرًا ويستحسن هواءَها، فمكث بها نحوًا من شهرين وعالجه أحد مهرة الأطباء فعوفي بحمد الله مما ألمَّ به، وارتدَّ بصيرًا، فَسَرَّ ذلك الأهل والأصحاب، بيد أنَّه لم يلبث نحوًا من خمسة أشهر بعد ذلك حتى فاجأه الحِمام؛ وذلك صبيحة الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة (١٣١٦)، وتوفي على إثر نوبة في صدره اشتدَّت عليه من الليل إلى الصَّباح، وفيه أسلم روحه الطَّاهرة، فكانت لمنعاه رنَّةُ أسفٍ، وصُلِّيَ عليه في الجامع الأُموي قبل العصر، ثُمَّ حُمِلَ إلى تُربة الشيخ خالد في الصَّالحية، ودُفِنَ جوار والده، وكان الجمع في مشهده وافرًا، رحمه الله رحمةً واسعة[1].

* * *

(١) «تعطير المشام» (٣/ ٢٢ ـ ٢٤).

إجازة العالم النِّحرير، والصوفي الشهير
الشيخ محمّد بن محمّد الخاني النقشبندي(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على مقام الوحدة.

وبعد:

فقد أجزت نور حدقة طالبي العلوم، ونور حديقة راغبي المنطوق والمفهوم الشيخ محمَّد جمال الدِّين ابن الأخ الفاضل الشيخ محمَّد سعيد الحلاَّق، بجميع ما تجوز لي وعني روايته على الإطلاق، بشرطه المُعتبر عند ذوي الأثر، مُوصيًا إيَّاه أن لا ينساني من خيري دعائه، وصَلَّ الله نفع ابتدائه بانتهائه.

تحريرًا في ٢٥ شعبان سنة (١٣٠٣)
خادم العلم والطَّريقة الخالدية النَّقشبندية
في دمشق الشَّام
الفقير محمَّد الخَانيّ

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص١٤)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص١٦، ١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مقام الوحدة وبعد فقد أجزت نور حدقة طالبي العلوم ونور حديقة راغبي المنطوق والمفهوم الشيخ محمد جمال الدين ابن الأخ الفاضل الشيخ محمد سعيد الحلاق بجميع ما تجوز لي وعني روايته على الإطلاق بشرطه المعتبر عند ذوي الأثر موصياً إياه أن لا ينساني من خيري دعائه وصل الله نفع ابتدائه بانتهائه تحريراً في شعبان ١٣٠[illegible]

خادم العلم والطريقة الخالدية النقشبندية في دمشق الشام الفقير محمد الخاني

صورة إجازة الشيخ محمّد الخاني للقاسمي.

١٠ ـ الشيخ أحمد الشطِّي

الشيخ أحمد بن حسن بن عمر الشطِّي الحَنبليّ، خاتمة أجلاء العلماء الحنابلة بدمشق، والمُتَفنن في فنون شتَّى.

وُلد سنة (١٢٥١) بدمشق، ونشأ في طلب العلوم بعد حفظه الكتاب المجيد، وتربَّى في حِجْر والده، وتفقَّه عليه، كما حضره في فنون عديدة، من أخصِّها الحساب والفرائض والهندسة، وطرف من علم الهيئة والحكمة.

وبعد وفاة والده قام مقامه في إفادة الطَّالبين على سمت حسن، وهدي بديع، وحضر مجالس أوحد الأجلَّاء الشيخ عبد الله الحلبي في بعض الفنون، ولما قدم العلاَّمة الشيخ محمَّد أكرم الأفغاني لازمه في بعض الفنون الرياضية والعقلية مدة إقامته بدمشق، واستجاز له والده من مسند الشَّام الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، والشيخ سعيد الحلبي، والشيخ عبد الرَّحمن الطِّيبي، وتولى فرضية بلدية الشَّام سنين عديدة.

وكان لطيفَ الأخلاق مُحَبَّبًا للكافَّة، كثيرَ التَّواضع على سعة فضله، وكان فصيحَ اللِّسان، مسبوكَ العبارة في التَّقرير، عادلاً عن حُبِّ الشُّهرة والظهور إلى التعفُّف والخمول، انتفع به كثيرون.

وكنت أحببتُ أَن أَتَّصل بسلسلة السَّادة الحَنابلة جريًا على عادة المُحَدِّثين فاستجزته رحمه الله تعالى، وأظهر عند طلبي منه ذلك التواضع الزَّائِد، وعدم الأَهلية أعلى المولى مقامه، وكانت تضمني وإيَّاه مجالس لطيفة تحوي محاورات رائقة، ونُكات شائقة، ولم يزل على طريقته المحمودة إلى أن توفي في ٢٢ صفر سنة (١٣١٦)، عقب نزوله من مجتمع لطيف في جهة وادي الربوة، ولم يسبق له مرض ظاهر تغمَّده المولى وإيَّانا برحمته وغفرانه[١].

* * *

(١) «تعطير المشام» (٣/ ٢١ ــ ٢٢).

إجازة العلَّامة المُتَفَنِّن
فَرَضِيِّ دمشق ومُفتي الحنابلة بها
الشيخ أحمد الشَّطِّي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المُنفَرِد بالبقاء، المرتدي بالكبرياء، والصَّلاة والسَّلام علىٰ فاتح كَنْز العَماء، وخاتم الرُّسل والأنبياء.

وبعد:

فقد أجزتُ العَالِم الأديب، والفاضل المُنيب، المُتحلي بعلمي الشَّريعة والطَّريقة[2]، والرَّاغب لمولاه بالحقيقة الشيخ محمَّد جمال بن الأخ الفاضل الشيخ محمَّد سعيد الشهير بالحلاَّق، بجميع ما تجوزُ لي وعني روايته، بروايتي عن مشايخي الأثبات الكرام، من أجلِّهم سيدي

---

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص٢٢)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص٢١).

(٢) كان الشيخ جمال في بداية حياته وطلبه للعلم مُتأثِّرًا بشيء من التصوُّف، فقد كان على الطريقة النقشبندية، ثُمَّ تركها ومشى على منهج سلف هذه الأمة كالأئمَّة الأربعة وغيرهم؛ فلذا تجد بعض شيوخه كان على الطريقة الصوفية متأثرين في ذلك بعصرهم، والله الهادي إلى طريق الحقّ.

وسندي الوالد الشيخ حسن الشَّطي بسنده المتصل، وطريقه المتأصل، عن أشياخه المذكورين في «ثبته»[1] بالشروط المعتبرة عند أهلها من ذوي الأثر مُوصيًا إياه أن لا ينساني وأولادي من صالح دعائه، وَصَلَهُ الله تعالى بمأموله ورجائِه، وأتحفه بالعناية في ابتداء الأمر وانتهائه، وصلَّى الله تعالى وسلَّم على سيِّدنا محمَّد نُور الحَقِّ وسِرِّ عطائه[2]، آمين.

في عاشر ذي القعدة سنة (١٣١٥)
الفقير خادم العلم والعلماء
أحمد بن حسن الشَّطي، غُفِرَ لَهُما

---

(١) طُبع هذا الثبت بتحقيق الشيخ محمَّد مطيع الحافظ، وقد قام بطباعته دار البشائر الإِسلامية في بيروت سنة (١٤٢١هـ).

(٢) هذا كلام لا دليل عليه وآثار الصوفية عليه بادية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالبقاء، المرتدي بالكبرياء، والصلاة والسلام على فاتح كنز اللقاء، وخاتم الرسل والانبياء [illegible]
وبعد فقد اجزت العالم الاديب، والفاضل المنيب، المتحلي بعلمي الشريعة والطريقة، والراغب
لمولاه بالحقيقة، الشيخ محمد جمال الحلاق، ابن الاخ الفاضل الشيخ محمد سعيد، بجميع ما تجوز لي وعني
روايته بروايتي عن مشايخي الاثبات الكرام من اجلهم سيدي وسندي الوالد الشيخ حسن الشطي
بسنده المتصل، وطريقه المتأصل، عن اشياخه المذكورين في ثبته بالشروط المعتبرة عند اهلها
من ذوي الاثر موصيا اياه ان لا ينساني واولادي من صالح دعائه، وصله الله تعالى بأموله ورجائه
واتحفه بالعناية في ابتدا الامر وانتهائه وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد نور الحق وسر عطائه آمين

في عاشر ذي القعدة سنة ١٣٠٥

الفقير خادم العلم والعلما
احمد حسن الشطي
عفى عنهما

صورة إجازة أحمد الشَّطِّي للقاسمي.

١١ـ الشيخ مرتضى الحسني الجزائري

السيِّد مُرتضى بن السيد محمَّد السعيد بن السيد محيي الدِّين الحَسَني الجزائري، ثُمَّ الشَّامي. . . العالم، الأديب الفاضل.

وُلد ــ رحمه الله ــ سنة (١٢٤٥)، كما أخبرني من لفظه في القيطنة وهي قرية اختطَّها جدَّه الفاضل الجليل السيد المصطفى في إيالة وهران من أعمال الجزائر، وتربَّى في حِجْرِ والده إلى أن بَلَغ سنَّ التمييز، فشرعَ في حفظ الكتاب العزيز، ثُمَّ تلقَّى الفنون على والده العلاَّمة وغيره من الفُضلاء فقرأ النحو والتوحيد والأُصول، والوضع والمعاني والبيان، والتفسير على والده، وقرأ النحو أيضًا على عمِّه السيِّد المصطفى بن محيي الدِّين، وقرأ الحديث: «البخاري»، و «مُسلمًا» على عمِّه الأمير السيِّد عبد القادر، و «رسالة ابن أبي زيد» عليه أيضًا.

وكان المترجَم مع والده وأعمامه لما سُرحوا إلى مدينة عنَّابة من أعمال الجزائر، فأقاموا بها نحوًا من خمس سنين، ثُمَّ أذنت لهم الدولة المذكورة ــ يعني فرنسة ــ باللحوق بالأمير إلى الشَّام، فحضروا دمشق

سنة (١٢٧٣)، فقرأ المترجَم بدمشق على فضلائها أيضًا منهم شيخنا الشيخ سليم العطَّار حضره في «مختصر السعد»، وكذلك الشيخ محيي الدِّين الإدلبي حضره فيه أيضًا، وأخبرني من لفظه أنَّه استجاز من سيِّدي الجدّ قُدِّسَ سرّه، وأنه كان له حضور عنده في بعض دروسه. . .

وفي سنة (١٢٨١) لحق بالأمير عبد القادر بعد سنة من سفره للحجاز، حتى أدَّى الفريضة، وأطلعني على إجازة من السيِّد عبد الغني الدِّهلوي ثُمَّ المدني[1]، وكان سَمِعَ منه في المدينة المنوَّرة شيئًا من «سنن الترمذي»، فأجاز له ذلك وغيره إجازةً عامَّةً.

واستجاز أيضًا من الشيخ عبد الغني الميداني الدِّمشقي بعد أن قرأ عليه «الشفا» وأقام المُتَرْجَم بدمشق مدَّة وقطن ناحية باب السريجة، ودرَّسَ بجامع العنَّابَةِ هناك، وبنيت له في الجامع المذكور حجرةٌ مرتفعةٌ جنب مأذنته، فأقام بها يرشد ويعظ. . .

ثُمَّ تحسن لديه الإقامة في بيروت لموافقة هوائها له، فارتحل مِن دمشق إليها في سنة (١٢٩٤)، ومع ذلك كان يتردَّد ما بينها وبين دمشق، غير أنَّ معظم إقامته كانت في الثغر، وغالب مجيئه لدمشق أواخر فصل

(١) هو الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدِّهلوي المدني، أحد مَن تدور عليه الرِّواية والإجازة في عصره، هاجر إلى المدينة النبوية سنة (١٢٧٢هـ)، مِن شيوخه: محمَّد عابد السِّندي، ويروي سماعًا وإجازةً عن الشيخ محمَّد إسحاق الدِّهلوي، تُوُفِّي سنة (١٢٩٦هـ). «فهرس الفهارس» للكتاني (٢/ ٧٥٨ ــ ٧٦٢).

الربيع إلى أواخر الصيف هربًا من شدَّة الحرّ وقتئذٍ في بيروت، وتصدى أول مَقدمه إلى بيروت إلى الوعظ. . .

وقد كان المُترجَم رحمه الله جليلَ القدر، مُهابًا، تكسو مجلسه الهيبةُ والوقارُ، كريمَ الطبع، حسنَ المُسامرة، لطيف المُعاشرة، ذا فكرةٍ وقَّادةٍ، وحافظة عجيبة، مشهورًا ببلاغة الإنشاء، وجودة النَّظْم.

وكان غيورًا على المنكر والبدع، سليط اللِّسان على المبتدعين، ينهج في أحواله منهج السَّلف، ويدعو إلى ذلك، وكان لا يرضى بأدنى بدعة مخالفة لما يعهده من السيرة الحميدة، ولذلك كان كثير الاحتجاب، لا يخرج إلاَّ لبعض إخوانه؛ أوْ لمنتزهٍ يخلو به معهم، فلا يتردَّد إلى الكُبراء، ولا يزورهم، ولا يُجيبُ دعوتهم؛ وإن كان يُجِلُّهم إذا صادف وجودهم في مجلس، ولم يحصل له الإجلال والشهرة الكبرى إلاَّ في بيروت حتى صار عند أهلها أول جليل بها.

ولمَّا رحلت إلى بيروت صحبة صفينا العلاَّمة المفضال السيِّد أحمد الحسني سنة (١٣١٥)، استقبلنا المترجَم إلى محطة الحدث، وأعدَّ لنا أَنْفَسَ عجلة، وعَمِلَ لنا دعوةً عظيمة، وكنتُ أشاهد من سيرته وغيرته وهديه أحوالاً عجيبة، وكان يضربُ الأمثال بهدي سيِّدي الجدّ، ويترحَّمُ عليه كثيرًا، وكان يذكر لإخوانه أنَّه لم يرَ من طبقة سيِّدي الجدّ مثله، بل إنِّي ما رأيتُه أثنى على أحدٍ كثنائه عليه، وقال: كذا فليكن العالم وَرَعًا وتعفُّفًا وانزواءً، وعدمَ مزاحمةٍ على مطلب دنيوي، وصلاحًا، وشدةَ اتباعٍ. يعني بذلك ما كان عليه سيِّدي الجدّ. . .

ولمَّا أخبرني في بيروت أنَّه أخذ عن سيِّدي الجدّ أحببتُ أن يكتب لي إجازةً فامتنع تواضعًا، ثُمَّ ألححت، فأبدع في تلك الإجازة، وأطلعته في إحدى رحلاته إلى دِمشق على كتابـي «الجواب السني» فقرَّظه تقريظًا بديعًا، وأنشدني مرَّةً:

ولقد سألت عن الكرام فقيل لي إنَّ الكـرام رهـائـن الأمْـراسِ
ذَهَبَ الأكارمُ جودُهم ووجودُهم وحـديثُهـم إلاَّ مِـنَ القِـرطـاسِ

ولم يزل قُدوةً للصالحين، وبهجةً لمجالس المتَّقين. . . إلى أن توفي ليلة الأربعاء، قُبيل العشاء، لأحدَ عشرَ يومًا خلت من ذي القعدة سنة (١٣١٩) على إثر داء عيآء حارت فيه حِيَلُ الأَطبَّاء، وما نجعت فيه وسائل الشفاء، وقُبيل ظهر الأربعاء، احتُفِل في بيروت بمشهده بجمع غفير، وصُلِّي عليه في الجامع العُمري، ودُفِن في تربة الباشورة، ورثاه أدباء بيروت بقصائد بديعة، سقاه الله غيث الرَّحمة والرضوان، وجعل مسكنه في غُرَفِ الجنان[١].

* * *

(١) «تعطير المشام» (٣/ ٦١ ـ ٦٦)، وقد اختصرت منها ما لا حاجة إليه في هذه الترجمة مما يطول ذكره.

إجازة العالم الكبير، والمرشد الوقور
السيّد مُرتضى الحَسَني الجزائري ثمَّ الشَّامي[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفَعَ أهل العلم مذ وفَّقَهم لتحصيله، وجعلهم قدوةً لغيرهم من حين ندبهم لتحقيقه وتأصيله، اقتطفوا من رياض دروسه أعبق نَوْر، واقتبسوا من سُرُجه أعظم نُور، فتراهم كُلَّ يوم يزدادون فيه اغتباطًا، وبأسبابه ارتباطًا، وبذلك أحرزوا أسانيده العالية، ونالوا فرائد فنونه الغالية، والصَّلاة والسَّلام علىٰ من سنَّ الإجازة، وحثَّ الأمَّة علىٰ طلب العلم فاستوعبوا حقيقته ومجازَه، وعلىٰ آله وأصحابه هُداة الأمة، وحُماة الملَّةِ.

أمَّا بعد:

فإنَّ مما اختصَّ الله به هذه الأمَّة المُحمَّديَة، وميَّزها به عن كافة أُمم البَريَّة، بقاءَ شريعتها الغرَّاء بقاءً لا يشوبه تبديل، ولا يلحقه نقص

---

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص٢٠ ــ ٢٢)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص١٨ ــ ٢١)، وهذه الإجازة بخطّ صاحبها السيِّد مرتضى الحَسَني.

ولا تعطيل؛ وذلك بإقامة الله تعالى في كُلِّ عَصْرٍ أقوامًا يحمون حَوْزتها، ويؤيدون سطوتها، فهجروا لذلك لذيذ المنام، وصبروا على مُكابدة ضيق الأيام، حتى حصَّلوا من العلوم والرِّواية، والفهوم والدِّراية، ما أَحرزوا به القِدْح المُعَلَّى، والشَّرَفِ الذي لا يَبيد ولا يَبْلى، وبذلك اتَّصلت الأسانيد وانتظمت، ولحق الآخِر بالأول فيها واتَّسَقَتْ.

وممَّن مَنَّ الله عليه بالانتظام في ذلك العِقْدِ الفاخِرِ، **وتشبث بالماضين من العلماء الأعلام؛ وإن جاء في الزمن الآخر، الفاضِلُ الأجلُّ، التَّقي الأكمل، الذي رتع في رياض الفنون فَهَصَرَ أفنانها، وأجال جواد فكره في ميدان العلوم فَمَلَكَ عنانها،** الشيخ محمَّد جمال الدِّين **بن العالِم الجليل، الفاضل النَّبيل، السيِّد محمَّد سعيد بن العلاَّمة والحجَّة الفهَّامة، الشيخ قاسم الشهير بالحلاَّق، فإنَّه أبقاه الله أخذ عن علماء مشاهير، وفضلاء نحارير، وحَصَّلَ من علومهم ما تفيَّأ به في ظلال المعارف، ولَبس من حُلَلها أنفس المَطَارف، ولم يشغلهُ شاغِلٌ من تدريس الفنون التي غُذِي بلبانها، وانتشا بلذيذ عرفانها، بل جعل ذلك مقصده الأسنى، وغاية ما يروم ويتمنَّى،** وقد طلب من هذا الفقير العاجز الإجازة، وأن أُمهِّد له ما يجعله إلى نيل مراد مجازه، فاعتذرت إليه بأني لست من أهل هذا الشان، ولا ممن يحقُّ له أن ينتظم معهم في ذلك الميدان، فألحَّ عليَّ في طلبه، وشدَّد في نيل أربه، ولمَّا ظهر لي منه حُسْن النيَّة، وصفاء الطويَّة، استخرت الله تعالى ثُمَّ أجبته إلى مرغوبه، وأسعفته بمطلوبه، وأجزتُه بجميع ما تصح لي روايته، وتعزى

إليَّ درايته، بالشروط المعتبرة عند أهل النَّظَر، من علماء الأثر، كما أجازني بذلك أشياخي العظام، وأساتذتي الفِخام.

وحيث إنَّ أسانيدي كثيرة يطول ذكرها، ويتعذَّر عليَّ سردها وحصرها، فإنِّي أتشرَّف بذكر سندي في رواية «صحيح البخاري» عن بعض أشياخي فأقول:

أروي هذا «الصحيح» المُجمع على صحَّته بالإجازة عن سيِّدي وعمِّي أُستاذي العارف بالله تعالى أمير المجاهدين سيِّدي السيِّد الجليل عبد القادر بن محيـي الدِّين الحَسَني، وهو يرويه عن والده جدِّي سيِّدي السيِّد محيـي الدِّين، وهو يرويه عن كثير من العلماء، ويرويه عن والده جدِّي سيِّدي السيِّد مصطفى بن المُختار، وهو يرويه عن أسلافنا، وغيرهم من علماء وطننا، ويرويه أيضًا عن الحافظ الشَّهير، والإمام الكبير، السيِّد مرتضى اليمني الزَّبيدي ثُمَّ المصري، وهو يرويه عن شيخه المُعَمَّر أبـي عبد الله محمَّد بن علاء الدِّين الحنفي الزَّبيدي، وهو عن البرهان إبراهيم الكوراني، وهو عن المُعَمَّر عبد الله بن سعد الله الحَنَفي المدني، وهو عن القطب محمَّد بن أحمد المكي، وهو عن العلاء أحمد بن محمَّد النَّهرواني، عن الحافظ جلال الدِّين أحمد بن عبد الله الطاوسي، وهو عن الشيخ المُعَمَّر ثلاثمائة سنة بابا يوسف الهروي، عن المُعَمَّر محمَّد بن شاد بخت الفرغاني، عن المُعَمَّر يحيـى ابن عمَّار بن عقيل بن شاهان الختلاني، وهو عن محمَّد بن يوسف الفِرَبْري، وهو عن إمام المُحَدِّثين، وقُدوة الأئمَّة المُسْندين، الحافِظ أبـي عبد الله محمَّد بن إسماعيل البُخاري رضي الله عنه وأرضاه.

وأرويه أيضًا عن العلاَّمة التَّقي الصَّالِـحِ الشيخ عبد الغني الميداني الحنفي الدِّمشقيّ، وهو يرويه عن شيخه إمام المُحَدِّثين، بالدِّيار الشَّاميَّة، الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري، وهو يرويه عن مشايخه المذكورين في «ثبته».

هذا وإنِّي أسأل الله تعالى أن يُبقي أخانا المُجاز المذكور قَمَرًا طالعًا في سماءِ السَّعادةِ، ساميًا في مراتب المفاخر والسِّيادة، ما أشرق نجم في الخضراء، وما أَوْرَقَ نجمٌ في الغبراء، وأرجو أن لا ينساني من صالح دعائه في أوقات الإجابة، وأماكنها المُستطابة.

والحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

في ٢٥ شوَّال سنة (١٣١٥)
كتبه محمَّد مُرتضى الحَسَني القادريّ
عفا الله عنه، ولطف به في الدَّارَين

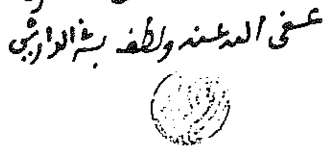
* يقول الفقير المُجاز: كتب إليَّ الأُستاذ هذه الإجازة في بيروت في إحدى رحلاتي إليها في العام المذكور، وحدَّثَني أنَّه أخذ عن سيِّدي الجدّ الأمجد، وسَمِـعَ منه، وأطلعني على إجازة له من المُسْنِدِ الشَّهير الشيخ عبد الغني المُجددي الدِّهلَوي ثُمَّ المدني، وأسانيده معروفة[1].

* * *

(١) هذا كلام القاسمي في «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص٢١).

المحدثين، وقدوة الائمة المسندين الحافظ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري
رضي الله عنه وارضاه وارويه ايضا عن العلامة التقي الصالح الشيخ
عبد الغني الميداني الحنفي الدمشقي وهو يرويه عن شيخه امام المحدثين
بالديار الشاميه الشيخ عبد الرحمن الكزبري وهو يرويه عن مشايخه
المذكورين في ثبته هذا واني اسال الله تعالى ان يبقي اخانا المجاز المذكور
قمرا طالعا في سماء السعاده، ساميا في مراتب المفاخر والسياده،
ما اشرق نجم في الخضراء، وما اورق نجم في الغبراء، وارجو ان لا ينساني
من صالح دعائه في اوقات الاجابه، واماكنها المستطابه، والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين في ٥ شوال ١٣١٥

كتبه محمد مرتضى الحسني القادري
عفى الله عنه ولطف به في الدارين



الورقة الأخيرة من إجازة محمّد مرتضى الحسني بخطه للقاسمي.

١٢ـ الشيخ أحمد الحسني الجزائري ثمّ الدّمشقي

السيِّد أحمد بن السيِّد محيي الدِّين بن المصطفى بن محمَّد بن المختار الحَسَني الجزائري، ثُمَّ الدِّمشقي، المالكي الأثري، صَفيُّنا وصديقُنا، إمامٌ لا يُدْرَكُ شأْوُه، ولا يسبق في المعالي خَطْوُهُ، ولا يُبارى في مضمار المعارف، ولا يُجارى في حلبة اللَّطائف، فهو السيِّد الذي طَلَعَ في جبهة العصر غُرَّةً، والكوكبُ الغني عن الوصف بالشُّهرة.

وُلد رحمه الله تعالى في شعبان سنة (١٢٤٩) في القيطنة من ضواحي وهران، وتربَّى في حِجْرِ أخيه العلَّامة السيِّد محمَّد السعيد حيث توفي والده قبل فطامه.

ولمَّا بلغ سِنَّ التَّمييز شرع في حفظ القرآن الكريم، فحفظه عن ظهر قلب وهو دون البلوغ، ثُمَّ اشتغل بطلب العلم، فقرأ على أخيه المنوَّه به، وقرأ التوحيد على أخيه العارف الجليل الأمير السيِّد عبد القادر، والفقه المالكي على الشيخ محمَّد بن عبد الله الخالدي. . .

هذا ولمَّا قدم المُترجَم إلى دمشق أكبَّ على تحصيل العلوم والفنون، فحضر في فن النَّحو والتَّوحيد، والبيان والمنطق، والوضع

والأصول على العلاَّمة المُحَقِّق الشيخ محمَّد الطندتائي[1]، وقرأ في فن النحو على ابن عمته أيضًا العلاَّمة السيِّد مصطفى بن التهامي، وقرأ جانبًا من التوحيد على الشيخ محيي الدِّين العاني، وكذا على العلاَّمة الشيخ يوسف المغربي، وحضره في «الجزريَّة» من علم التجويد أيضًا، وحضر في التفسير على أخيه العلاَّمة السيِّد محمَّد السعيد، وسَمِعَ من سيِّدي وجدِّي العلاَّمة الشيخ قاسم «صحيح البخاري» بطرفيه بعد العصر في جامع السِّنانيَّة في شهر رمضان من سنتين مع طلبة أجلة، وإحضار شروح «الصحيح» والضَّبطِ التَّام والتحقيق البديع كما يشافهني به المترجَم مرارًا، وكتبه لي في مشيخته، ولذا حضر على الجد قُدِّسَ سِرُّهُ جملة من «تفسير البيضاوي» من أوائل سورة البقرة.

وسَمِعَ على أخيه الأمير «صحيح البخاري» و«مسلم» في مدرسة دار الحديث الأشرفيَّة، وكتب له إجازة رأيتها. . .

واشتهر فضلُهُ ونُبْله، وصلاحه وتقواه، وأقرأ في داره في فنون متنوِّعة وكذا في جامع العنَّابَة في جواره من قسم باب السريجة درسًا عامًّا بين العشاءين مُدَّةً.

وكان مُحافظًا على أوقاته، يقسّمها على الذِّكر وتلاوة التنزيل العزيز، ومُطالعة العِلم، والتصنيف، وزيارة الإخوان في الله تعالى، وصلة الأرحام، ورياضة البدن أحيانًا. . .

---

(١) يعني الشيخ محمَّد الطَّنطاوي الذي تقدَّمت ترجمته (ص١٣٥).

وكان شديد المُحافظة على الجماعة أول الوقت فقلَّ أن تفوته إلاَّ أن يُغلب عليها لأمر ضروري.

وكان شديد المُحافظة على قيام اللَّيل حضرًا وسفرًا كما شاهدته في سياحتي في صُحبته إلى بيروت مَرَّةً وإلى منازه الغوطتين في كُلِّ عامٍ مرارًا. يُطِيلُ القيام والركوع والسُّجود اقتفاء للهدي النبوي، مُجلاًّ عند الخاصَّةِ والعامَّة، مُحبَّبًا للكافة؛ يُقْصَدُ لِحَلِّ المُشكلات، سَمْحًا بجاهه، منتدبًا لإغاثة الملهوف، فيه دعابةٌ، وله شعر سَليقيٌّ، ونثرٌ حَسَنٌ، وله ذوق عَربيٌّ غريب يُقَدرُ قَدْرَ البليغ من الكلام، ويقضي بما حوى من رقَّةٍ وانسجام، مشربُهُ الحديث والعمل به، والدَّعوة إلى التَّمسُّك به، والحثّ عليه، أَلوفًا وَدُودًا، مُتواضعًا، حسنَ المُحاضرةِ، كثير المُفاكهة والمُطايبة، يحفظ تواريخ المغرب ونوادره وجغرافيته البحريَّة والبرّيَّة، ويعلمُ حَالَةَ العَصْرِ...

كما أنَّ له مصنَّفاتٍ بديعةً، منها كتاب على قول الإمام علي كرَّم الله وجهه: العلم نقطة كثَّرها الجاهلون، سمَّاها «نَثر الدُّرِّ وبسطَه»[1]، وقد أطلعها على فُضلاء عصره فقرظوها، وفي مقدمتهم مفتي دمشق العلاَّمة محمود أفندي الحمزاوي ومن في طبقته...

---

(١) وتكملة العنوان: «في بيان كون العلم نقطة»، وقد طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت سنة (١٣٢٤هـ)، وفي مطلعه ترجمة له ملخصة من «تعطير المشام»؛ وفي آخره بعد (ص١٤٥) تقاريظ لجماعة، منهم المفتي محمود الحمزاوي، وعبد الرزاق البيطار وغيرهما.

ورسالة في السَّماع سمَّاها: «الجَنا المُستطاب والزَّبْرَج المُذاب في الرَّدِّ على مَنْ زَعَمَ أنَّ سَمَاع المَعَازِفِ يُحَرِّكُ القَلب لربّ الأرباب».

وكنت أُشاهد منه مُلازمة مُدهشة على الجماعة أول الوقت، فكان مُثابرًا عليها صيفًا وشتاءً، ولا يترخَّص في الأوقات المُمطرة ولا المُثلجة حُبًّا في العزائم، وجهاد النَّفْسِ في القيام على قَدَمِ العبادة، ولا ينفك في كُلِّ وقت من المُذاكرة في حديثٍ أو آية، أو تاريخٍ أو نكتة أدبيَّة، وغالب اجتماعنا في حجرة كانت لي في الجامع المذكور، وحصل لي من بركة صحبته نفعٌ وافرٌ دينيٌّ وعلميٌّ، واقتبستُ من أخلاقه الطاهرة.

واستجزتُ منه فأبى، ثُمَّ ألححتُ عليه فأجاب، وأردت اتِّصال سندي بسيِّدي الجد من طريقه، فجزاه الله أحسن الجزاء وأتمّه. . .

ولم يزل على سيرته الحَسَنَةِ، وشمائله المُستحسنة إلى أن أَلَمَّ بمزاجه مرضٌ عصبيٌّ في بدنِهِ قُبيل وفاته بأعوامٍ، كان يُخبرني عنه، وفي آخر المدَّة قُبيل وفاته بأشهُر ضعفت قُواه، وصار يتجلَّدُ في الخروج للجماعةِ ونحوها إلى أن استحكم معه بإدرار تمكَّن منه في المثاني، ثُمَّ في أوائل ربيع الأول حصل له التهاب في المثاني، ولَزِمَ الفراش، وأخذ يشتد معه الألم من ذلك.

وذكر بعض الأطباء أنَّ مرضه كان كمرض أخيه الأمير إلى أن أسلم الروح الطاهرة صباح الأربعاء في ١٧ ربيع الثاني الموافق عام (١٣٢٠)، ولمَّا ذاع نعيه في أنحاء البلدة أَمَّ داره العُلَماء والوُجهاء يحوقلون ويسترجعون، واحتُفل بمأتمه احتفالاً بالغًا، وحُمِلَ بنعشِهِ من

داره في باب السَّريجة إلى الجامع الأموي، حتى إذا قُضيت الصَّلاة عليه سِيرَ بِهِ إلى مقبرة باب الصغير، حيث وارَوْه جدث الرحمة والرضوان قريبًا من مقام الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه. وأُخبرت أنَّ الجمع كان وافرًا جدًّا.

ولم يُقدَّر لي حضور مشهده؛ لأنِّي كُنت مع بعض الإخوان في عين الفيجة، وفي مساء الخميس ثاني يوم وفاته حضرتُ في الوابور(١) منها إلى البلد، فَخُبِّرْتُ بهذا المصاب العظيم، والرزء الجسيم، فنزل بي ما الله به عليم، ووددتُ أن لم أكن وقتئذٍ غائبًا، ثُمَّ تذكَّرْتُ هذين البيتين:

قالوا أَلَمْ تَحْضُرْ خَليلك عندما ... دَفَنُوهُ قُلْتُ هناك بِئْسَ المَحْضَرُ
لا أَستطيعُ أَرى المعالي بَيْنَكُم ... محمولةً وأرى المكارمَ تُقبَرُ

وفي صباح الجمعة زرت ضريحه وصلَّيت عليه، ومكثتُ مع أهله برهة أتذكَّر فقدنا لتلك الأخلاق الطَّاهرة، والمزايا الباهرة، والمودَّة الأكيدة والصُّحبة الحَميدة.

كفى حزنًا أَنِّي أَمرُّ بقبرِهِ ... فأمضِي وقلبي بالأَسَىٰ مُتكسِّرُ

فرحم الله روحه ونَوَّر ضريحه، آمين(٢).

* * *

(١) أي القطار.
(٢) «تعطير المشام» (٣/ ٧٠).

إجازةُ العَالِم النِّحرير السَّري، والتَّقي الأكمل الأثريّ، مُقَدَّمِ المالكيَّة بالشَّام، صفيِّنا السيِّد أحمدَ الحَسَني الجزائريِّ ثُمَّ الدِّمشقيِّ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع مقام علماءِ هذه الأُمَّة، وجعل منهم بُدورًا كاملةً وأهلَّة، اتبعوا ما شرَعَ لهم الحق تعالى على لسان رسوله وسَنَّه، وأظهر لهم أسرار الأحاديث النَّبويَّة ما عن غيرهم ستره وأجنَّه، فَعَظُمت عليهم بذلك المِنَّة، وكانوا لحفظ الشريعة المطهَّرة وقاية وجُنَّة، وأغناهم بما حصّلوه من لطائفها، وأسرار معارفها، عن تحكُّم العقول، واضطرابات النُّقول، وخلَّصهم بما وهبه لهم من التمسك بها من سجن التقليد، حيث وفَّقهم للمنهج الحميد، والمهيع السَّديد، والطريق الأقوم السَّعيد، فتعطَّرت المجالس بجريالهم، وتعلَّقت الكمالات بأذيالهم، وحصدت عقودُ الفانيات دررَهم، وغارت النُّجومُ الزَّاهرات

(١) «مجموع الإجازات الموقعة بخطوط شيوخ الشيخ جمال الدِّين» (ص٢٤ ــ ٢٦)، و «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص٢٥ ــ ٢٨)، وهذه الإجازة بخطّ صاحبها الشيخ أحمد الحَسَني.

عندما اجتليت في المحافل غُررُهم، وخفقت البنود النَّبوية على مواكبهم، حتى زاحموا الثُّريا بمناكبهم.

فَبَخٍ بَخٍ لهم بما نالوا، وما بِهِمَمِهِم العَوالي حَصَّلوا؛ مَلَؤوا عُيون النَّاظرين إليهم هديًا وسَمْتًا، وسلكوا الطَّريق المُحَمَّديَّة التي لا ترى فيها عِوجًا ولا أَمْتًا، فهم فوارسُ الفضائِل في الميدان، وأرباب الجلالة والفخامة والشان، وليس الخبر كالعيان.

قد تسربلوا بالكمالات والإحسان، ولبسوا مطارف السِّيادةِ وسحبوا ذيولها، وشعشعوا كؤوس المحاسن، وأداروا جريالها[1]، بذلوا نهاية مجهودهم في تحصيل الأحاديث النَّبوية وتعبوا، وفحصوا عنها في الأقاليم ونقَّبوا، وجابوا في تطلُّبها البلاد، وعطَّشوا في ضبطها وحفظها نوقَ نجائب هِمَمهم والأكباد، وفارقوا المستلَذَّات والأهل والأولاد، حتَّى عرفوا صحيحها ومرفوعها، وحسنها ومقطوعها، وعزيزها ومُسلسلها، ومبهمها ومُعضلها، ومدلسها ومقلوبها، ومعلولها ومُضطربها، ومتروكها ومنكرها، وموضوعها، ومرسلها، وغريبها ومُعنعنها، وضعيفها ومُدبجها، وشاذِّها ومُؤتلفها.

فالله تعالى يُجازيهم خيرًا، ويَقيهم ضيرًا، ويجعل لهم دولة عظيمةً يوم الموقف وقدْرًا، ويَكْسُوهم جلالةً وأُبَّهة وفخرًا، في ذلك

(١) الجريال: صبغ أحمرٌ، وحمرة الذهب، وسُلافة العُصْفُرِ، وما خَلَصَ من لَوْنِ أحمر وغيره، والخمر، أو لوْنُها. «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص١٢٦١، طبعة الرسالة).

المشهد العظيم، والمجمع العميم، والصَّلاةُ والسَّلام التَّامَّانِ الأكملان على سيِّدنا ومولانا محمَّد معدن الأسرار، ومنبع الأنوار، ومجلى الكمالات، وعين السَّعادات، مرآة معنى الحُسْنِ، ومظهر الأنوار الجمالية والتجلِّيات من أوضح الحقيقة والمجاز، وبيَّن لنا كيفيَّة سلوك طريق الحَقِّ والجواز، رافع لواء الحمد والتفريد، وألوية جميع الكمالات والتوحيد، مَنْ هو بيتُ القَصيد، وعلى آله الكاملين، وصحابته الأجلاء المكرَّمين.

وبعد:

فإن العلم خير مكسوب، وأفضلُ شيءٍ مرغوب، وفناء العمر في طلب غيره ليس بمحبوب، ينبغي لكل عاقل أن يُتعِبَ في تحصيله اليَعْمُلات[1]، ويقطع في طلبه المهامه والسَّباسِبَ[2] والمفازات، ولا سيَّما علم الحديث، فيحق أن يُطْلَب طلب جِدٍّ حثيث.

هذا وإنَّ الأخ في الله تعالى العلاَّمة النِّحرير، الفهَّامة الفاضل النجيب الأديب الخبير، الشيخ محمَّد جمال الدِّين، جعله الله تعالى من خواصِّ عباده المُتقين، وَجَمَّلَ به العصر، وجعله يتيمة في عِقْد هذا الدهر، قد كان طلب العلوم العقلية وحصَّلها، وبلغ الغاية ووصلها، حتى صارت بدائعُه فيها ذات اشتهار، وحدائقُ رياض آدابه ذاتَ نَوْرٍ

---

(١) اليعملة: الناقة النجيبة. «القاموس المحيط» (ص١٣٣٩).

(٢) المهامه: جمع مهمهة، والسَّباسِب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة. «القاموس» (ص. . . و١٢٣).

واخضرار، ثُمَّ التفتت همَّته إلى العلوم القُدْسيَّة والأحاديث النبويَّة، وصارت نفسُه إليها مُرتاحة، وانتجع منها بكل مغنى وساحة، وجعلتْ أنوارُها تعرِضُ عليه أذواقها، ومواهبُها تبرزُ إليه أشواقَها، وعُدَّ في الحلبة من فرسانها، واستولى على قَصب السَّبْق في ميدانها، ولم تزل همته في طلب نيل أوج شرفها إلى ارتفاع، وفي تحصيل بدائعها، ومحاسن لطائفها، التي هي كنار على يفاع، إلى أن حصل له المراد.

ثُمَّ إنَّ المذكور الْتمس منِّي أن أُجيزه فيما حصّلته، وعلى أشياخي قرأته ودرسته، فأجبت بأنني لست بذاك، ولا ممَّن يستحقّ أن يجلس على تلك المنصَّة هناك، ولا مِمَّن يُستدعى منه الإجازة، ولا مِمَّن يحسن بسط الكلام وإيجازه، ولا ممَّن يستحسن أن يُجاز فضلاً عن أن يُجيز، لكون المقام شامخ الذُّرىٰ، صعب المُرتقىٰ، وهو على مثلي عزيز.

لَعمْـرُ أبيـكَ مـا نَسَـبُ المُعَلَّـى ... إلـى كَـرَمٍ وفـي الـدُّنيـا كـريـمُ
ولكــنَّ البــلادَ إذا اقشعــرَّتْ ... وصَــوَّحَ نَبْتُهــا رُعِــيَ الهَشيــمُ

وحيث لم ينفعني فيه التعلُّل بلعلَّ وعسى، لا في الصباح ولا في المسا، أسعفته لما طلب، وفيما فيه رغب، وأجزتُه على الشَّرط المعروف عند علماء الحديث، في القديم والحديث، حسبما أجازني أخي العلاَّمة العارف بالله تعالى شمس المعارف، ومعدن الفضائل واللَّطائف، أميرُ العلماء، وعالِمُ الأُمراء، السيد عبد القادر، عن والدي العلاَّمة الكامل المشهور، من كان قطب الفضائل والمحاسن عليه

يدور، السيِّد مُحيي الدِّين، عن جدِّي الرُّحَلَة سيبويه وقته العلاَّمة المُحَقِّقِ، والفهامةِ المُدقِّق، من أقرَّت له بالفضل والكمال، الأجلَّاء مِن فحول الرِّجال، عن العلاَّمة طائر الصِّيت في القُرى والأمصار، وفي جميع الأقطار، الإمام المُحَقِّقِ السيِّد مرتضى الزَّبيدي اليمني المصري، عن شيخه المُعَمَّر أبي عبد الله محمَّد بن علاء الدِّين الحنفي الزَّبيدي، عن البرهان إبراهيم بن حسن الكوراني، عن المُعَمَّر عبد الله بن سعد الله الحنفي المدني، عن القطب محمَّد بن أحمد المكِّي، عن العلاء أحمد بن محمَّد النَّهرواني، عن الحافظ جلال الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّاووسي، عن الشيخ المُعَمَّر ثلاثمائة سنة بابا يوسف الهروي، عن المُعَمَّر محمَّد شاذْ بَخْت الفرغاني، عن المُعَمَّر يحيى بن عمَّار بن عقيل بن شاهان الختلاني[١]، عن محمَّد بن يوسف الفِرَبْري عن إمام المُحَدِّثين الإمام محمَّد بن يوسف[٢] البخاري رضي الله عنه، إجازةً تامَّة، مُطْلَقَةً عامَّة.

وأجزت المذكور عن جدِّه العلاَّمة النِّحرير الفاضل، والجِهْبذ الكامل، البركة الشيخ قاسم بن صالح المعروف بالحلاَّق فقد أخذت عنه «صحيح البخاري» بطرفيه، وأجازني فيه عن الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، عن مشايخه كما هو مذكور في «ثبته».

---

(١) هذا إسناد مركب لا يصح؛ وسيأتي في آخر الكتاب التنبيه عليه من قبل القاسميّ.

(٢) كذا وقع بخطّ المجيز الشيخ أحمد الحَسَني، وهو سبق قلم ولا شكَّ، والصواب كما هو معروف: «إسماعيل».

وإنَّني أوصيه وإيَّاي بتقوى الله تعالى في السِّرِّ والنَّجوى، ودرء النفس الأَمَّارة وكفِّها عما تحبُّ وتهوى، والاقتداء بالسَّلف الصَّالح، والوقوف على حدود الكتاب والسُّنَّة وأن يُعلِّق قلبه بالله، ويكثر من ذكره آناء الليل وأطراف النَّهار، ولا سيَّما أويقات الأسحار، جعلني الحقُّ تعالى وإيَّاه من الأَبرار، وأورثنا منازل الأبرار، آمين.

في ٢٧ ذي القعدة سنة (١٣١٥)
أحمد بن محيي الدِّين الحَسَني
وفَّقه الله وأرشده وهداه آمين

* * *

محمد معدن الاسرار، ومنبع الانوار، ومجلى الكمالات، وعين السعادات، مرآة معنى الحسن
ومظهر الانوار الجمالية والتجليات، من اوضح الحقيقة والمجاز، وبيّن لنا كيفية سلوك
طريق الحق والجواز، رافع لواء الحمد والتمجيد، والوية جميع الكمالات والتوحيد
من هو بيت القصيد، والسبب في ايجاد كل موجود، وعلى آله الكاملين،
وصحابته الاجلاء المكرمين. وبعد فان العلم خير مكسوب، وافضل شيء
مرغوب، ومنار العز في طلب غيره ليس بمحبوب، ينبغي لكل عاقل ان يتعب في تحصيله
الليالي، ويقطع في طلبه المهامه والسباسب والمفازات، ولا سيما علم الحديث
فيحق ان يطلب طلب حثيث. هذا وان الاخ في الله تعالى العلامة النحرير والفهامة
الفاضل النجيب الاديب الخبير الشيخ محمد جمال الدين جعله الله تعالى من خواص عباده
المتقين، وجمّل به العصر، وجعله يتيمة في عقد هذا الدهر، قد كان طلب العلوم
العقلية وحصلها، وبلغ الغاية ووصلها، حتى صارت برابعه فيها ذات اشتهار
وحدائقها رياض آداب، ذات نور وازهار، ثم التفتت همته الى العلوم القدسية
والاحاديث النبوية، وصارت نفسه اليها مرتاحة، وانتجع منها بكل مغنى وساحة
وجعلت انوارها تعرض عليه اذواقها، ومواهبها تبرز اليه اشواقها، وغدا في الحلبة
من فرسانها، واستولى على قصب السبق في ميدانها، ولم تزل همته في طلب نيل
اوج شرفها الى الارتفاع، وفي تحصيل بدائعها، ومحاسن لطائفها التي هي كنار
على يفاع، الى ان حصل له المراد، ثم ان المذكور قد التمس مني ان اجيزه بما حصّله
وعلى اشياخي قراءته ودرسته، فاجبته بانني لست لذلك اهلا، ولا ممن فيه يتحقق
ان يجلس على تلك المنصة هنالك، ولا ممن يستدعى منه الاجازة، ولا ممن
يحسن بسط الكلام والاجازة، ولا ممن يستحسن ان يجاز فضلا عن ان يجيز
لكون المقام شامخ الذرى صعب المرتقى وهو على مثلي عزيز

لعمر ابيك ما نسب المعلّى ... الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرّت ... وصوّح نبتها رعي الهشيم

وحيث

صورة إجازة الشيخ أحمد الحسني بخطِّه للقاسمي.

١٣ـ الشيخ عبد الرزَّاق البيطار

هو العلاَّمة الشيخ المؤرِّخ عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الدِّمشقي، المَيْداني الأثريّ، أحد أركان النَّهضة العلميَّة بدمشق.

وُلِد الشيخ عبد الرزَّاق في حيّ الميدان من دمشق الشَّام سنة (١٢٥٣هـ)، وقد تربَّى في أُسرة علمية عريقة بالعلم والعلماء، وأخذ العلوم عن مشاهير علماء عصره كالشيخ محمَّد الطَّنطاوي، وشيخ قرَّاء الشَّام في عصره الشيخ أحمد الحلواني، وغيرهما من أهل العلم، ورحل إلى عدَّة أقطار كالقاهرة وإستانبول وبيت المقدس.

وبالجملة فقد كان من أئمة عصره وعلماء زمانه، المُشار إليهم بالبنان، تُوفي رحمه الله تعالى في العاشر من ربيع الأول سنة (١٣٣٥هـ)[١] رحمه الله تعالى.

وقد توثَّقت الصلة بينه وبين العلاَّمة القاسمي وطلب منه الإجازة، فأجابه الشيخ البيطار إلى ذلك.

---

(١) أفردت ترجمته ومعالم سيرته في رسالة لطيفة طُبعت في دار البشائر الإسلامية ببيروت سنة (١٤٢١هـ).

إجازة فريد العصر الأُستاذ الهُمام الأثريّ صفيّنا الشيخ عبد الرزَّاق البَيْطار[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رَفَعَ منارَ الكِتاب والسُّنَّة، وأوسع بهما على هذه الأمّة جزيلَ المِنَّةِ، وكَشَفَ عن مُحيّا المِلَّةِ المُحَمَّدية بهما حجاب الغُمَّة، وَعَطَفَ عليها بِوافرِ نَوالِه، وأكملَ لها الفَضْلَ وأتمَّه، أحمدُهُ على أن أعلا قَدْرَ أهلِ علومِهِ في كُلِّ زمانٍ، وأولاهُم ما أولاهُم من جليلِ الإحسانِ، وجميلِ الامتنانِ، وَأَظْهَرَهُم على الحقِّ ببراهينِ السُّنَّةِ والكتابِ، ونَظَمَهُم في سِلْكِ أحبابِهِ، وَعَصَمَهُم عن الميلِ عن مَنْهَجِ الصَّوابِ.

فَهُم المُؤيَّدونَ بالاستدلال بدلائلِ المِلَّةِ السَّمْحَةِ والشَّريعَةِ الغَرّاءِ، والمُقيَّدونَ بِقَيْدِ الآياتِ القُرآنية، وأحاديثِ سَيِّد الأنْبياء، والمُتَقَلِّدونَ بِقَلادَةِ المسانيد الشَّريفَةِ وأخذها عمن لهم إذن وإجازة،

(1) «مجموع الإجازات» (ص٢٨ ــ ٣٢)، و«مجموعة لطيفة في نصوص إجازات منيفة» (ص٢١ ــ ٢٥).

والمُتَفَرِّدونَ عن غيرهم باتباعهم لمن عرفوا طريقَهُ فجازوا مجازَه، فلا يعتمدونَ غير الوارد من الأقوال، ولا يستندونَ في نَقْلِهِم إلاَّ لمن له في ذوي الكمالِ اتصال، وإن ذلك لمن أهمِّ الأمورِ التي اعتبَرَها أهلُ الحديثِ، وأجلِّ الشُّروط التي لم يعترِها لديهم تنقيبٌ ولا تبحيث.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على من أوجدَ اللّٰهُ لَهُ هذا الوجود(١)، وأفاض به على العالمين سوابِـغَ المِنَنِ ونوابِـغ الجُودِ، سيِّدنا مُحمَّدٍ الذي أُوتيَ السَّبْعَ المثاني والقرآن العظيم، وأَسرى به الملك الجليل من المَسْجدِ الحرام إلى المسجدِ الأقصى في اللَّيل البهيم، وخاطبه بما يدل على رفعة قدره على الخلق أجمعين، بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وعلى آله الذين طَهَّرَهُم من كُلِّ عَيْبٍ تطهيرًا، ونَزَّهَهُم بلا ريب وأعَدَّ لهم جنَّةً وحريرًا، وأصحابه السَّادَةِ المُستوينَ على عَرْشِ الاقتداء، والمُتَّصفينَ بكَمَالِ الاتباعِ، والمُحتوين على شريف كمالاته، فهم أصدقُ مُتَّبعٍ وأَرْفَقُ داعٍ، وعلى التَّابعين وأتباعهم، ما لمعت بوارقُ السُّنَّةِ، وسَطَعَتْ أسنَّةُ النَّصر، صلاةً وسلامًا لا يحيطُ بهما عَدٌّ ولا حَدُّ حَصْرٍ.

أما بعد: فإنَّ العلوم كثيرةٌ، والنَّافِـعُ منها لدى الله يسيرٌ؛ والرُّسومُ غزيرةٌ، ولَيْسَ لنا سِوى ما رَسَمَهُ السَّيِّدُ البشير، فالسَّعيدُ كُلُّ السَّعيدِ من أقبل عليه كُلّ إقباله، وقَصَرَ عليه جليلَ أفكارِه، وجميلَ آمالِه، ألا وهو عِلْمُ الشَّريعَةِ المُطَهَّرَةِ التي هي القرآن والحديث، المُنَوَّهُ بشأنهما،

(١) هذا كلام فيه نظر، ولا دليل عليه من كتاب أو سُنَّة أو أثر.

والمعمولُ بهما وجوبًا في القديم والحديث، إذْ بِهِمَا كمالُ التَّرقِّي إلى أَوْجِ التَّأديبِ، وتمامُ التَّوقِّي مِمَّا يُوجِبُ التَّنقيب والتهذيب، فهُما نُورُ العيـونِ، وضيـاءُ ظُلْمَـة القلـوبِ، وهُمَـا الوُصْلَـة العُظمـى بيـن الـرَّبِ والمَرْبُوبِ.

ولذلك لم تزل أكابر العارفين يبذلونَ في تَطَلُّبها نَقْدَ حياة المُهَجِ، وأفاخرُ العُلماءِ العاملين يخوضون في العَمَل بِهِما لُجَجِ البُحورِ وبحورِ اللُّجَجِ، حَتَّى أصبحت لديهم مناهج هذه المقاصِدِ المُحَمَّدية سَهَلْةَ الوصولِ، ومدارجُ هذه المعارجِ الأحمدية جامعة بين الأمل والمأمول.

فهؤلاء هم الذين كشفَ الله عن عين بصائرهم الحجاب، وسلكهم مسالك الوصول إلى دائرة الحَقِّ ونُقْطَةِ الصواب، وٱنكشفت لهم حقائق الوقوف على خَيْرِ العمل، وٱنقادت لهم صِعَابُ الأَماني وحصل لهم مُنْتهى الأمل، وَسَلِموا من تسليم زِمامِ دينهم لغير مَنْ أمرهم بارئهم بالتَّسليم إليه، وعلموا أن الاعتماد عليه فوز بالسَّعادَةِ لديه.

فلذا لم يتحركوا بحركَةٍ إلاَّ ولهم على شريعة العمل بها شهودٌ عدولٌ، ولم يقولوا بمسألة إلاَّ وقد ثبتَ فِعْلها عن أَشْرَفِ رسول، أليس يقـول مـن لا إلـه إلاَّ هـو: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾؟ [الحشر: ٧].

أيظن حينئذٍ ظانٌّ أن يُفلحَ أحدٌ بعَمَلٍ دليلُه القيل والقال؟ أو ينجَحَ بتركِهِ للأصلين وتمسكه بذيل البحث والجدال؟ أين هو مِن قول مَن أنزل القرآن وكلَّم موسى تكليمًا؟ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾.

فهذا هو المَنْهَلُ العَذْبُ المورد لِكُلِّ تَقِيٍّ عابدٍ، والمَعْقِلُ الرَّحْبُ الذي ما صدَّ عنه إلَّا جاهِل أو مكابر أو معاند، والمدار الأعظم الذي تدور عليه رحىٰ النَّجاة، والمَنَارُ الأفخم الذي ما أَمَّهُ ذو حاجة إلا ونال ما رجاه، فمن اعتصم بحبلهِ المتين إن تَكَلَّمَ سَمِعْتَ واضحَ البيانِ من صريحِ تبيانِهِ، أو استدل فهِمتَ صحيحَ الاستدلالِ من فصيحِ لسانِهِ.

وإنَّ مِمَّن نَهَجَ مَنَاهِجَ مَنْ غَبَرَ، وَلَهَجَ مُنْذُ نَضِجَ رأيُه بالكتابِ والسُّنَّةِ والأَثَرِ، وارتأته العلياء مرآةَ مُحَيَّاها، وَجَذَبَتْهُ المَحَجَّةُ البيضاء لأن يكون نَشْأَةَ حُمَيَّاها[1]، نُقْطَة فؤادي، الفَالِحَ الصَّالح، ومدارَ دائِرةِ ووادي النَّاجِحَ الرَّاجِحَ، الذي جَمَعَ شَمْلَ الفَضائِلِ العَلِيَّة بعد شتاتِها، وَرَتَعَ في رياضِ الشَّمائِلِ النَّبويَّة فكانت لنفسه طِيبَ حياتِها، ولازمَ رُبُوعَ الأصلين فلا يزيغُ عنهما ولا يزولُ، وشادَ لِنَفْسِهِ حِصْنًا حصينًا فلا يحيدُ عنه ولا يَحولُ، الأخ في الله الشَّيخ جمال الدِّين أفندي ابن الأخ الإمام، والفاضِلِ الهُمام، الشيخ سعيد أفندي ابن الجِهْبذِ الأكمل، والعُمْدة الأفضل، الشيخ قاسم أفندي، الشَّهير بالحَلَّاق، أجزلَ اللَّهُ لنا ولهُمُ الأجرَ والثَّواب، وحشرنا وإياهم في زُمرة سيِّدنا محمَّد لُباب الألباب، وكعبة طوافِ الأحباب.

---

(١) حُمَيَّاها: حُمَيَّا كُلِّ شيءٍ: شِدَّتُه وحِدَّته، ومن الشباب: أوَّلُه ونشاطُه. «المعجم الوسيط» (٢٠٨/٢).

فإنَّه أحسنَ الله إلينا وإليه، وعطف بمنِّه وكرمِهِ علينا وعليه، قد ظَنَّ بهذا الفقير الظَّنَّ الحسن، وخال بهذا الفقير أنَّه قد تحَلَّى بالمِنَنِ، وتَخَلَّى من المِحَنِ، فطلبَ مني أن أُجيزَهُ بما تجوزُ لي روايته، وتُنْسَبُ إليّ قراءتُه ودراستُه ودرايته، ممَّا أخذتُهُ عن شيوخي الأفاضل، وسادتي ذوي المناقب والمراتب والشَّمائِل، ولم يَدْرِ أنّي لستُ لذلك أهلاً، ولا مِمَّنْ يَحِقُّ له أن يدوسَ هذا البِساط أصلاً، ولا مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ أن يُجازَ فكيف يُجيز، ولا مِمَّنْ يدري الفَرْقَ بَيْنَ المجازِ والتَّجويز، فتمنَّعتُ جَهْدي عن ذلك؛ لمعرفتي بأنني لستُ أَهلاً لسلوكِ هذه المسالك، وأن بضاعتي مُزجاة، واعترافي بذلك نجاة، فأصرَّ عليَّ ولم يلتفت لقالي، واستَمَرَّ ولَم يمنعه إخباري بضعفِ حالي، فحينئذٍ ساعدتُهُ على مطلوبه، ووافقته على مرغوبه، وتوكَّلتُ على الله القدير بعد أن استخرته، ثُمَّ تَوجّهت إلى هذا المُستجيزِ العزيز وأجزتُهُ، بما تجوزُ لي روايته عن قادتي العلماء الأعلام، وسادتي الأفاضل الأَجِلاَّء الكرام، من دمشقيين ومصريينَ وغيرهم، مِمَّنَ سَمَا عُلُوُّ مقامِهم وَقَدْرِهم.

وإن من أجلّهم لديّ، وأمنِّهم في الحقيقة عليَّ، سيّدي وسَنَدي، وعُمْدتي ومُعتمدي، من لي به كمالُ الفَخَارِ، والدي الشيخ حسن أفندي البَيْطار، فإنَّهُ أجازني بالإجازة العامَّة والخاصَّة كما أجازَهُ شيوخه ذوو التَّقوى والفلاح، بسائر الفنون المدوّنة، وعلى الخصوص بكتب الصِّحاح، عن شيخه الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري شيخ الشَّام، عن والده الشَّمْس محمَّد الكُزْبري الشَّهْمِ الهُمام، ثُمَّ بالسَّنَدِ المُتَسَلسلِ إلى

مؤلفيها السَّادةِ الحُفَّاظ العِظام: البخاري، ومسلم، وأبي داود، والتِّرمذي، والنَّسائي، وابن ماجه هُداةِ الأَنام، كما هو مرقومٌ في مَحَلِّه، ومعلوم لدى ذويه وأهله.

وإنَّ لي بحمدِ اللَّهِ طُرُقًا عديدةً، وأسانيدَ صحيحة سديدةً، وبعضُها متَّصل بالسَّيِّدِ محمَّد الأمير، وبعضُها متَّصلٌ بغيره من العلماء ذوي القدر الشهير، وذلك معلوم من الأثبات، ومذكور في دواوين الإجازات.

وإنِّي لراجٍ من هذا المُستَجيز، ومتأَمِّلٌ من هذا الطَّالب العزيز، أن يُمِدَّني بدعواته في خلواته وجلواته، وأن يكونَ مُلازمًا على ما شرطَهُ الأفاضل من التَّمَسُّكِ بِذرى الكمالات والفضائل.

والله أسأل، وبأشرفِ أنبيائه أَتوسَّل[1] أن يتفضّلَ علينا وعليه بتمامِ المُرادِ والمرام، وأن يختم لنا وله وللمسلمين بحسن الختام.

في ٣ ذي القعدة الحرام،
سنة ألف وثلاثمائة وخمس عشرة.
رَقَمَها الفقير إليه عز شأنه
عبد الرزّاق ابن المرحوم حسن المعروف بالبَيْطار
عفِي عَنْهُما.

* * *

(١) هذا من التوسل غير المشروع كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة».

والترمذي والنسائي وابن ماجه هداة الانام كما هو مرقوم في محله
ومعلوم لدى ذويه وأهله وان لي بحمد الله طرقا عديدة والسانيد
صحيحة سديدة بعضها متصل بالسيد محمد الامير وبعضها متصل بغيره
من علماء ذوي القدر الشهير وذلك معلوم من الاثبات ومذكور
في دواوين الاجازات وأني لأرجو من هذا المستجيز ومتأمل من
هذا الطالب العزيز ان يمدني بدعواته في خلواته وجلواته
وان يكون ملازما على ما شرطه الافاضل من التمسك بذيل
الكمالات والفضائل والله اسأل وباشرف انبيائه اتوسل
ان يتفضل علينا وعليه بتمام المراد والمرام وان يختم لنا وله وللمسلمين
بحسن الختام ٢١ ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة

رقمها الفقير اليه عز شانه
عبد الرزاق بن المرحوم
حسن المعروف بالبيطار
عفي عنهما

الورقة الأخيرة من إجازات البيطار للقاسمي.

١٤ـ الشيخ حسين الغزّي

هو الشيخ السيد حسين بن إسماعيل الشهير كأسلافه بالغزِّي العامري الشَّافعي الدِّمشقي.

كان عالمًا مؤرِّخًا له اليد الطولى في علم الأنساب وحوادث الزمان.

وُلِدَ سنة (١٢٤٠هـ) تقريبًا.

وأخذ عن علماء عصره كالشيخ سعيد الحلبي، وابنه الشيخ عبد الله الحلبي.

وقد جمع كتابًا في أخبار عائلات دمشق القديمة والحديثة.

توُفِّي سنة (١٣٢٢هـ)[١].

وقد أجاز للشيخ جمال الدِّين وإخوته وابنه ضياء الدِّين، وهذا نصّ إجازته:

---

(١) «أعيان دمشق» للشطي (ص٤٢٥، ٤٢٦).

إجازة الشيخ العالم الفاضل سلالة الأعيان الأفاضل حسين أفندي الغزِّي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل شرف هذه الأُمَّة المحمَّدية بِصحَّةِ الرِّواية وعُلُوِّ الإسناد، ورَفَعَ لها بذلك عظيم القدر، وشيَّد دعائم الاعتماد. والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّد الواسطة العُظمى في نيل كُلِّ خير وإسعاد، وعلى آله وأصحابه، ومَن بشرف اتِّباعه ساد، صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الحشرِ والتَّناد.

وبعد:

فقد أجزتُ كلًّا مِن إخواننا الفُضلاء المحترمين الكرام، وهم: الشيخ محمَّد جمال الدِّين أفندي، وأشقَّائه: محمَّد عيد أفندي، والشيخ قاسم أفندي، والشيخ صلاح الدِّين أفندي أولاد المرحوم العلَّامة الشيخ محمَّد سعيد أفندي ابن المرجوم العلَّامة الشيخ قاسم أفندي القاسمي، والشيخ ضياء الدِّين نجل الشيخ محمَّد جمال الدِّين

(١) «مجموع الإجازات» (ص٣٣، ٣٤)، و«مجموعة لطيفة» (ص٣٣، ٣٤).

أفندي المومى إليه، منحهم الله تعالى كُلَّ خيرٍ وإحسان إلى منتهى الدوران، ونفعهم بالعلم النَّافع، والعمل الرَّافع، ما تعاقب المَلَوَان، بجميع ما أرويه عن شيوخي الأئمَّة الفضلاء الأعلام، المُشتهرين بالفضائل عند الخاصِّ والعامِّ، فعليهم من الله سبحانه سحائب الرَّحمة مدى السِّنين والأيَّام.

فمن أجلّهم وأعظمهم العالم العلاَّمة سيِّدي العمّ المرحوم السيِّد محمَّد عمر نور الدِّين أفندي الغزِّي العامري، مفتي السَّادة الشَّافعيَّة بدمشق، ومن أجلِّهم العالم العلاَّمة المُحَدِّث الكبير المرحوم الشيخ عبد الرَّحمن أفندي الكُزْبريّ الشَّافعيّ، ومِن أجلِّهم أيضًا العالم العلاَّمة المرحوم الشيخ سعيد أفندي الحلبي الحنفي، ومن أجلِّهم أيضًا العلاَّمة الشيخ عبد الرَّحمن أفندي الطِّيبيّ الشَّافعيّ.

وذلك ممَّا ثبت لهم وكان لهم به إلمام، بالشُّروط المقرَّرة لدى أولي العلم وذوي الأفهام، التي منها التأهُّل وكمال التثبُّت والتحقُّق لكلِّ ما ينقلونه ويروونه، وعدم الاعتماد إلاَّ على النسخ الصَّحيحة المقابلة الرجيحة.

وأوصيهم بما أوصاني به شيوخي الكرام، وهو: تقوى الله تعالى ومراقبته مع الخاصِّ والعامِّ، والاعتناء بالاشتغال بالعلم النَّافع، والعمل الرَّافع والمواظبة عليه، وأُوصيهم أيضًا أن يتذكَّروني ووالِدَيَّ وأولادي بصالح الدَّعوات سيِّما بأوقات الإجابات، وخصوصًا عقب الصَّلوات بالعفو والعافية، وحُسن الخاتمة.

والحمدُ لله في المبدأ والختام، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد خير الأنام وعلى آله وصحبه مدى الدُّهور والأيَّام.

وأنا المجيزُ مُحِبّ العلماء العاملين، ومحسوب السَّادة الفقراء الكاملين السيِّد حسين ابن المرحوم السيِّد إسماعيل الغزِّي العامريّ، الدِّمشقيّ، الشَّافعيّ، الأشعريّ، النَّقشبنديّ، القادريّ عفا الله عنه، وختم له بالحسنى آمين في ٢٧ ذي الحجَّة سنة (١٣١٨) ثماني عشرة وثلاثمائة وألف.

* * *

المرحوم الشيخ عبد الرحمن افندي الكزبري الشافعي، ومن اجلهم ايضا العالم العلامة
المرحوم الشيخ سعيد افندي الحلبي الحنفي، ومن اجلهم ايضا العالم العلامة الشيخ
عبد الرحمن افندي الطيبي الشافعي، وذلك مما ثبت عندهم وكان لهم به
المام، بالشروط المقررة لدى اولي العلم وذوي الافهام، التي منها التأهل
وكمال التثبت والتحقق لكل ما ينقلونه ويروونه وعدم الاعتماد الا على
النسخ الصحيحة المقابلة الرجيحة، واوصيهم بما اوصاني به شيوخي الكرام،
وهو تقوى الله تعالى ومراقبته مع الخاص والعام، والاعتناء بالاشتغال
بالعلم النافع، والعمل الرافع، والمواظبة عليه واوصيهم ايضا ان يتذكروني
ووالدي واولادي بصالح الدعوات، سيما باوقات الاجابات، وخصوصا
عقب الصلوات، بالعفو والعافية وحسن الخاتمة، والحمد لله في البدأ والختام،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام، وعلى آله وصحبه مدى الدهور والايام،

وانا المجيب محب العلماء العاملين ومحسوبكم سادة الفقراء الكاملين السيد
حسين بن المرحوم السيد اسماعيل الغزي العامري الدمشقي الشافعي
الاشعري النقشبندي القادري عفى الله تعالى عنه وختم له بالحسنى
امين في ٢٧ ذي الحجة الحرام سنة ثمانية عشر وثلاثمائة
والف ١٣١٨

صورة إجازة الشيخ حسين الغزِّي للقاسمي، وفي آخرها خطّه وختمه.

إجازة العلاَّمة نعمان الآلوسي البغدادي
للشيخ جمال الدِّين القاسمي

حصل بين العلاَّمة الشيخ نُعمان خير الدِّين الآلوسي البغدادي المتوفى سنة (١٣١٧هـ)[١]، والعلاَّمة الشيخ محمَّد جمال الدِّين القاسمي مُراسلات ودِّية وإجازاتٌ علمية هي عنوان على تلك الصلة الجليلة والرحم العلمية الأصيلة بينهما، كما يُرى في هذه المراسلات من كمال الأدب والاحترام والتبجيل الشيء الكثير، وهي تصوِّر لنا ما كان عليه علماء هذه الأمَّة من صفاء الودّ، واتِّحاد الآراء، ولو كانوا من بلدان شتَّى، وبيئات مختلفة، فما أجمل هذه الرحم وما أعظم هذا النَّهم والحرص على طلب العلم وقد رغب العلاَّمة القاسمي من العلاَّمة الآلوسي الإجازة في الحديث، وعلى وجه الخصوص سنده في «الأربعين العجلونيَّة» وسند والده محمود

(١) لمزيد معرفة ترجمة هذا العلاَّمة انظر: «الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر» لابنه علاء الدِّين الآلوسي (ص٣٤ ــ ٣٧)، و «المسك الأذفر» لمحمود شكري الآلوسي (ص١١٠ ــ ١١٦)، و «أعلام العراق» لبهجة الأثري (ص٥٧ ــ ٦٨).

الآلوسي صاحب التفسير المشهور، وسند الشيخ صديق حسن خان الهندي، فقدَّم لما أراد رسالة في غاية الأدب والإجلال.

وهذا نصّ رسالة الشيخ جمال الدِّين القاسمي:

حمدًا لمن أجازَ مَنْ أحسنَ ظنّه بفضله جوائز الإنعام، وصلاةً وسلامًا على من سَنَّ للأعلام أن يُبلِّغوا عنه هديه للأنام؛ ليفوزوا باقتطاف ثمرات دار السلام، وعلى آله وصحبه الكرام، ما اقتبس من سنا عوالي الأسانيد هُمام.

أمَّا بعدُ:

فالمبلَّغ من العبد الضعيف، إلى السيِّد الشريف، محط رحال الأفاضل، مدار الرِّجال الأماثل، بحر العوارف، وشمس سماء المعارف، سيِّدي نُعمان أفندي الآلوسي، لا زال كامل العرفان بالفتح القدوسي، مزيَّنة بوجوده معالم الفضائل، مجمَّلة بتصانيفه رياض المسائل، تحيات حسنى، تليق بالمقام الأسنى، وأشواق وافرة، لمشاهدة الأنوار الزاهرة، وسؤال عن المزاج الكريم، والبال العالي، والقلب السليم، أدام المولى اعتداله، وحرس للوجود كماله، ثُمَّ إنِّي وإن لم يسمح الزمان بحضور جنابكم، والطواف بحرم رحابكم، ولكن لم تزل تجلى عليَّ مآثرُكم السامية، ودُرر «مواعظكم الغالية»، التي هي «جلاء العينين»[1]، وضياء الخافقين.

(١) إشارةً إلى أسماء بعض مؤلفات نعمان الآلوسي.

وقد رام الفقير أن يكون له من المولى إجازة، تصحّح له من اقتباس ما لمولاه من المرويّات مجازه، لتكون أسانيد العراق لبنة التمام، لما للحقير من أسانيد مشايخه الأعلام؛ فإنَّ الحقّ امتنَّ على الفقير بأخذه عن العلاَّمة النِّحرير، محمود أفندي الحمزاوي مُفتي الشَّام، ومن في طبقته من المشاهير العِظام، وقد كان الحقير اجتمع بالشِّبل النَّبيل، ذي الفضل الجليل، السيِّد علاء الدِّين أفندي[1] ببعلبك عام تشريفه نائبًا لها، وكان الفقير معينًا عامئذٍ مُدرسًا للقضاء المذكور من قبل ولايتنا الجليلة، وكنت تذاكرت معه في اقتباس إجازة من سيِّدنا المنوَّه بقدره، أعلى المولى شريف ذكره.

وقد عنَّ للفقير من مدة وضع شرح «الأربعين العجلونية» التي خَرَّجها مؤلفها من أربعين كتابًا من كتب الحديث. ومرادي أن أخرجها إن تيسَّر عن أربعين شيخًا إمَّا بالسَّماع أو الإجازة مشافهةً أو مكاتبةً على طريقة متأخري المُحدثين تشبُّهًا بهم، وإحياءً لمنهجهم، فأرجو من مولاي أن يتكرَّم بالإجازة للفقير، ويتفضَّل بذكر سند والده المرحوم قدَّس المولى سرَّه، وكذا يتعطَّف بسنده إلى الإمام البخاري من طريق ملك بهوبال فيتمّ المرام، بمسلسل هذا النظام، أدام المولى لسيدي الارتقا، ومَنَّ علينا بحسن المُلتقى.

---

(١) هو الشيخ علاء الدِّين ابن الشيخ نعمان الآلوسي، توفي سنة (١٣٤٠هـ). انظر ترجمته في: «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر» ليونس السامرائي (ص٥٠٣).

وهذا نصّ إجابة وإجازة العلاَّمة نعمان الآلوسي[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا ومولانا ونبيِّنا محمَّد وآله الطيِّبين، وصحابته الصَّادقين، ومن تبعهم بإحسانٍ من المسلمين، ما قُرِىء مسلسل وعزيز، وأخذ مُجاز عن مُجيز.

أمَّا بعدُ:

فقد استجازني من دمشق الشَّام، معدن الأئمَّة الأعلام، أخي في الله العالم الفاضل، والبدر الكامل، محمَّد جمال الدِّين أفندي، ابن الشيخ محمَّد سعيد أفندي القاسمي الشَّامي إمام السِّنانية[2]، وفَّقنا الله تعالى وإيَّاهم للمنح الربَّانية؛ فأجبته وإن لم أكن أهلاً لما طلب، وأسرعت بتحرير ما أحب.

فأقول: إنِّي قد أجزته بتأليفاتي، وأذنتُ لجنابه أن يروي عني مُصنفاتي، وهي:

ـ «الجواب الفسيح في ردّ ما لفَّقه الكِنْدي عبد المسيح»، وقد طُبع في لاهور.

ـ و «غالية المواعظ»، وقد طُبع في بولاق مصر.

ـ و «جلاء العينين»، وقد طُبع فيها أيضًا.

---

(١) «مجموع الإجازات» (ص٣٥ ـ ٤١)، و «مجموعة لطيفة» (ص٢٩ ـ ٣٣).

(٢) هو جامع السِّنانية الذي كان يؤم فيه الشيخ جمال الدِّين القاسمي.

ـ و «الأجوبة العقلية، عن الأسئلة النصرانية»، وقد طُبع في بمبـي.

ـ وكتاب «الآيات البيِّنات».

ـ وكتاب «الحبايا في الوصايا».

ـ وكتاب «الأجوبة النُّعمانية، عن الأسئلة الهندية».

وأجزته بتفسير والدي المبرور المسمَّى بـ «روح المعاني»، وقد طبع في بولاق مصر، وسائر تأليفاته.

وأجزته بكتب التفسير المشهورة، وكتب الأحاديث المأثورة، وكتب فقه الأئمَّة الأربعة المنقولة، وبالعلوم العربية وكتبها المعروفة، وبتأليفات ملك بهوبال العالم الشهير صدِّيق خان، عليه رحمة الملك المنان، وبما حواه ثبته المطبوع في هندستان، المسمَّى: «سلسلة العسجد»، وبكتب السادة الصوفية، نفعنا الله تعالى بعلومهم اللدنيَّة[1]، كما أجازني بذلك العلماء، والأساتذة الفضلاء:

منهم: والدي المرحوم السيِّد محمود أفندي شهاب الدِّين مفتي العراق، ابن السيِّد عبد الله أفندي الشيخ صلاح الدِّين.

ومنهم: علاَّمة الشَّام ومُفتيها السيِّد محمود أفندي آل حمزة.

(١) ليس فيها أي نفع.

ومنهم: الشيخ عبد الغني الميداني الدِّمشقي شارح كتاب القُدوري.

ومنهم: الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليمني.

ومنهم: صديق حسن تلميذه.

ومنهم: ولي الله تعالى الشيخ كاكه أحمد البَرْزنجي السُّليماني الكردي العلوي.

ومنهم: الشيخ حسين أفندي البشدري الكردي، المدرِّس بمدرسة إمامنا الأعظم، أبي حنيفة المجتهد الأقدم.

وممَّن أجاز والدي المبرور: شيخه علاء الدِّين الشيخ علي أفندي الموصلي، والشيخ علي أفندي السُّويدي البغدادي ابن الشيخ محمَّد سعيد، وممن أجاز الشيخ علي المذكور: السيِّد محمَّد مرتضى أبو الفيض الزَّبيدي. وممن أجاز والدي: شيخ الإسلام عارف حكمت بك صاحب الكتب الموقوفة في المدينة المنورة على مشرفها الصَّلاة والسَّلام. ومنهم: مُحدِّث الشَّام الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري. ومنهم: الشيخ يحيى المزوري العمادي. ومنهم: الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت.

ومن مشايخي الذين أخذت عنهم علم فقه الأئمَّة الحنفية: الملا عبد الرزاق بن محمَّد أمين البغدادي، وهو أخذه عن العلاَّمة السيِّد محمَّد أمين عابدين الدِّمشقي صاحب «الحاشية على الدر

المختار»، الشهيرة في سائر الأقطار، وعن الشيخ سعيد الحلبي الدِّمشقي.

ومن مشايخي: ذو الجناحين الشيخ عيسى صفاء الدِّين البَنْدَنِيجي، وهو أخذ من عالم الوزراء، وزير الزَّوْراء، داود باشا شيخ الحرم النبوي المُتوفَّى فيه، وداود باشا المذكور أخذ عن جملة من الأفاضل أسماؤهم محرَّرة في تاريخ الشيخ عثمان بن سند[1].

ولنذكر بعضًا من أسانيد والدي المبرور ضُوعفت له ولنا الأجور، فمنها: إجازته بـ «الأربعين النَّوويَّة»، فقد أجازه بها شيخه علاء الدِّين علي أفندي بن صلاح الدِّين يوسف أفندي الموصلي بن رمضان، عن السيِّد يحيى الحلبي المشهور بالمسالخي، عن الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، عن الشيخ عبد الغني النابلسي، عن النجم الغزي عن والده البدر الغزِّي، عن البرهان، [عن][2] زين الدِّين القبَّاني[3]، عن ابن الخباز، عن المؤلف الشيخ أبي زكريا يحيى بن شرف الدِّين النَّواوي عليه الرحمة.

---

(١) انظر: «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» لعثمان بن سند (ص٣٧٨ ــ ٤٠٦)، طبعة وزارة الثقافة والإعلام ببغداد.

(٢) لا يوجد في الأصل، والصواب إثباته، والتصويب من ثبت عبد الرَّحمن الكُزْبري (ص٦٩ ــ مجموع الأثبات الكُزْبرية).

(٣) كذا في الأصل والصواب: «القِبابي» كما في المصدر السابق.

ومن ذلك: إجازته بـ«صحيح الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري»، عليه رحمة الملك الباري، عن شيخه علاء الدِّين علي أفندي، عن والده صلاح الدِّين يوسف أفندي، عن جرجيس أفندي بن محمَّد الأربيلي قال: أخبرنا شيخنا المُحدِّث علي بن عمر الخلوتي القناوي، قال: أخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر المِزجاجي، وشيخنا محمَّد بن علاء الدِّين المِزجاجي، وكلاهما عن شيخهما أبي طاهر محمَّد بن إبراهيم بن حسن الكردي، قال: أخبرنا به شيخنا الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني الكردي، قال: أخبرنا به العبد المعمر الصوفي عبد الله ابن الملاَّ سعد الله اللاهوري، عن الشيخ قطب الدِّين محمَّد بن أحمد النَّهرواني، عن والده علاء الدِّين أحمد النهرواني، عن الحافظ نور الدِّين أبي الفتوح أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح الطاووسي، عن الشيخ بابا يوسف المشهور بسيصد ساله، عن الشيخ المعمر محمَّد ابن شاد بخت الفرغاني، عن الشيخ المعمر أبي لقمان يحيى بن عمارة بن مقبل بن شاهان الختلاني[1] بسماعه على الفِربري، عن مؤلفه الإمام البخاري.

وأجازه به أيضًا محدِّث المدينة ـ على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام ـ المفتي فيها زين العابدين ابن السيِّد علوي جمل الليل، عن محمَّد بن عبد الله المغربي المدني، عن شيخه عبد الله بن سالم

(١) سبق الإشارة إلى عدم صحَّة هذا الإسناد المركب.

البصري المكي، عن الملاَّ إبراهيم الكوراني بسنده المذكور في كتابه المسمى بـ «الأَمَم لإيقاظ الهمم».

وأجزت المجاز جمال الدِّين أفندي المُومىٰ إليه بثبت العماد إسماعيل العَجْلُوني عن والدي المبرور عن الشيخ عبد اللطيف بن فتح الله مفتي بيروت، فإنه يرويه عن الشهاب العطار، والشيخ خليل الكاملي، والشمس محمَّد بن الشيخ حسن أبي النصر الطرابلسي المولد والموطن البيروتي الأصل، عن مؤلفه.

وأجزته بثبت الشهاب ابن حجر، وبما في «ثبت الكوراني» وبما في «ثبت النجم الغزّي»، و «ثبت العارف العجيمي»، و «ثبت محمَّد بن سليمان المغربي»، و «ثبت ابن سالم البصري»، و «ثبت الشمس محمَّد عقيلة»، و «ثبت البرهان اللقاني» صاحب «الجوهرة»، و «ثبت الشيخ عبد الله السويدي البغدادي»، وكل ذلك عن والدي، عن الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري، عن مشايخه، وعن سائر مشايخي ومشايخهم المحرَّرة أسماؤهم في أثباتهم كـ «ثبت والدي»، و «ثبت الكُزْبري»، و «ثبت العطَّار»، و «ثبت النواب ملك بهوبال صدِّيق خان بن حسن»، المتوصِّل سنده بعلماء اليمن المسمَّى بـ «سلسلة العسجد» مما يطول الكلام بذكرهم.

وقد أجزت الموميٰ إليه محمَّد جمال الدِّين أفندي إجازة عامة بجميع ما تجوز لي روايته بالشروط المعتبرة عند أهل الأثر، وأرجوه أن لا ينساني وأولادي وأحفادي من صالح دعواته في خلواته وجلواته،

وعقب درسه ووِرده وصلواته، وأن يدعو لي بحسن العاقبة والعافية في الدُّنيا والآخرة، والتثبت على الإِيمان الكامل، والستر الجميل في الدَّارين، وبالعفو من الملك الكريم، وبالوفاة على الإِيمان والإِسلام، وبحسن الخاتمة، وأن يجيرني سبحانه من شرِّ الأعداء والحُسَّاد، ومن شرِّ نفسي وهواي والشيطان الرجيم، ويوجب لي إحسانه وإفضاله القديم، ويُنيلني بعد وفاتي النعيم المقيم العظيم، إنه جلّ شأنه رؤوف رحيم.

وأوصي المجاز باتِّباع مَذْهب السَّلفِ؛ فإنَّه أسلم بل أعلم وأحكم والسلوك في طريقهم الأقوم.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلاته وسلامه على سيِّدنا وشفيعنا محمَّد الرسول الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

كتبه بقلمه

العبد نعمان خير الدِّين بن السيد محمود شهاب الدِّين الحسيني

المعروف بآلوسي زاده البغدادي، غُفر له، آمين

١٧ ذي الحجة سنة (١٣١٥)

تتمَّة تابعة[1]

إنِّي قد أجزت المومىٰ إليه خاصةً بالكتاب المشتمل على أربعين حديثًا من كتب عديدة، جمعَ المُحَلِّقِ في جَوِّ علم الحديث ولا جناح الشيخِ إسماعيل العجلوني بن محمَّد جرَّاح، وبكل كتاب ذُكر منه فيه، بأن يروي عني جميع الكتب المسطورة أسماؤها في هذا الكتاب حسبما

(١) هذه التتمة لم يذكرها القاسمي في «مجموعة لطيفة».

أجازني والدي عليه الرَّحمة، عن الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبري، عن الشيخ شهاب الدِّين أحمد بن عبيد العطار، عن جامعها وناظم عقدها الشيخ إسماعيل المذكور بأسانيده المشهورة في ثبته ذي الفوائد الموفورة المسمَّى بـ «حلية أهل الفضل والكمال باتِّصال الأسانيد إلى كُمَّل الرِّجال».

ولي إسناد آخر في صحيح البخاري عن والدي، عن الشيخ عبد اللَّطيف البيروتي، عن والده علي فتح الله، عن محمَّد الحفناوي، عن محمَّد بدر الدُّمياطي، عن الشيخ إبراهيم الكوراني، عن عبد الله بن ملا سعد الله اللاهوري، عن قطب الدِّين محمَّد النَّهروالي، عن والده، أحمد بن محمَّد النَّهروالي، عن نور الدِّين أبي الفتوح أحمد الطاووسي، عن المعمر بابا يوسف الهروي الشهير بسيصد ساله، عن محمَّد بن شاد بخت الفرغاني، عن المعمر أبي لقمان يحيى بن عمارة الختلاني، عن محمَّد بن يوسف الفِربري سماعًا، عن الإمام حُجَّة الإسلام البخاري[1].

قال الوالد: وما أقرب هذا السند في ثلاثياته إلى رسول الله ﷺ، فليحمد على ذلك المُجيز والمُجاز، والحمدُ لله وحده، وسبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم.

كتبه

الفقير إليه جلَّ وعزّ

نعمان خير الدِّين

(١) لو كان يصح هذا الإسناد لكان كما قال، ولكن سبق ذكر أنَّه مركب ولا يصحّ.

شكر القاسمي للعلاَّمة
الآلوسي على إجازته المذكورة[1]

ولمَّا وصلت إجازة العلاَّمة الآلوسي، أرسل العلاَّمة القاسمي شاكرًا له حُسن جوابه وإجازته فقال:

المقام الجليل آثاره، الجميل أنواره، من فاضت بحور علومه، وتجمَّلت الطروس بمنثوره ومنظومه، المشكور فضله بلسان الإجماع، المتلو مجده في سائر البقاع، عزيز المناقب والمفاخر، وارث العلم كابرًا عن كابر، المُتسنِّم ذروة المحامد العُليا، سيدي ومولاي: خير الدِّين والدُّنيا، أدام المولى سُعوده، وحرس وجُوده، وأسعده بهذا العَام سعادة توفر من الخير أقسامه، وتقصر على النُّعمى أيامه، ولا زال يودع عامًّا ويستقبل عامًا، ويولي راجيه فضلاً وإنعامًا، ما سطعت الأهلة بلياليها، ولمعت السَّعادة بتجلِّيها، آمين.

وبعد تقبيل يديه، وإهداء عواطر التَّحايا إليه، وتقديم ما يجب من الإجلال والتعظيم على المحسوب عليه، يعرض الفقير أنَّه رهين اللوعة الصادقة، والأشواق القلبية الفائقة، لاستطلاع أنواره، واستمالة إكسير أنظاره، سائلاً عن المزاج الشريف أدام تعالى صفاءه واعتداله، ومخلصًا الدعاء للجناب المُنيف، حرس المولى بهاءه وكماله، وقد وافى الحقير الإجازة العلية، بل المنَّة السَّابغة السنيَّة، شرَّف المولى بها قدر

(١) نُشرت هذه المراسلة والإجازة في مجلة «عالم الكتب، عالم المخطوطات والنوادر» مجلد (٢٠)، العدد (٤)، محرَّم وصفر سنة (١٤٢٠هـ)، الرياض.

محسوبه، وجبر خاطره بإسعافه بمرغوبه، فلا أبرح مُعْترفًا بإحسانه، شاكرًا لامتنانه، فجزاه المولى خير الجزاء في الدُّنيا ويوم الجزاء.

مولاي: اتَّفق حين تشريف الكتاب للأوطان، أن كُنَّا في دعوة حافلة ضمت عددًا من المشايخ الأعيان، فنوَّهت بشأن الإجازة الباهرة، وناولتها لبعضهم فتلا عقود دررها الزَّاهرة، فتهلَّلت لها وجوه المحبين، وأرغمنا بها الحسدة الأغبياء المعاصرين، ولله المشتكى من جماعة نبذوا الآثار ظِهْريًّا، وأضحى مذهب السَّلف بينهم نسيًا منسيًّا، خلا جماعة من أحبابنا الصادقين، فإنَّهم في مشربهم السَّلفي عِقْد الشَّام الثَّمين، وقد نالتنا وإيَّاهم محنة سلفت من نحو ثلاثة أعوام[1]، وربَّما بلغت المسامع العلية، حيث كان لها نبأ انتشر في تلك الأيام، فوقانا المولى بفضله شرَّها، وانتقم الحق تعالى بعدها ممن أراد لجماعتنا ضرَّها.

هـذا؛ وإنِّـي والله لأودّ أن يتيسَّـر لـي الـورود لـرحـاب المـولـى، لأقتطف من ثمار معارفه، ما هو الأحق والأولى، ولكن من أين لمن أثقلته عياله، أن تنجح في مثل هذه الأيام آماله، فعسى أن نحظى ببلوغ الأماني، وتسفر لنا ببركة دعاء سيِّدي وجوه التَّهاني، فالدعاء بظهر الغيب مُستجاب، وهو المأمول من المولى لمحسوب الجناب، أدام الله تعالى لسيِّدي المكارم الشَّاملة، والمواهب الكاملة.

في ٥ محرم المبارك سنة (١٣١٦)

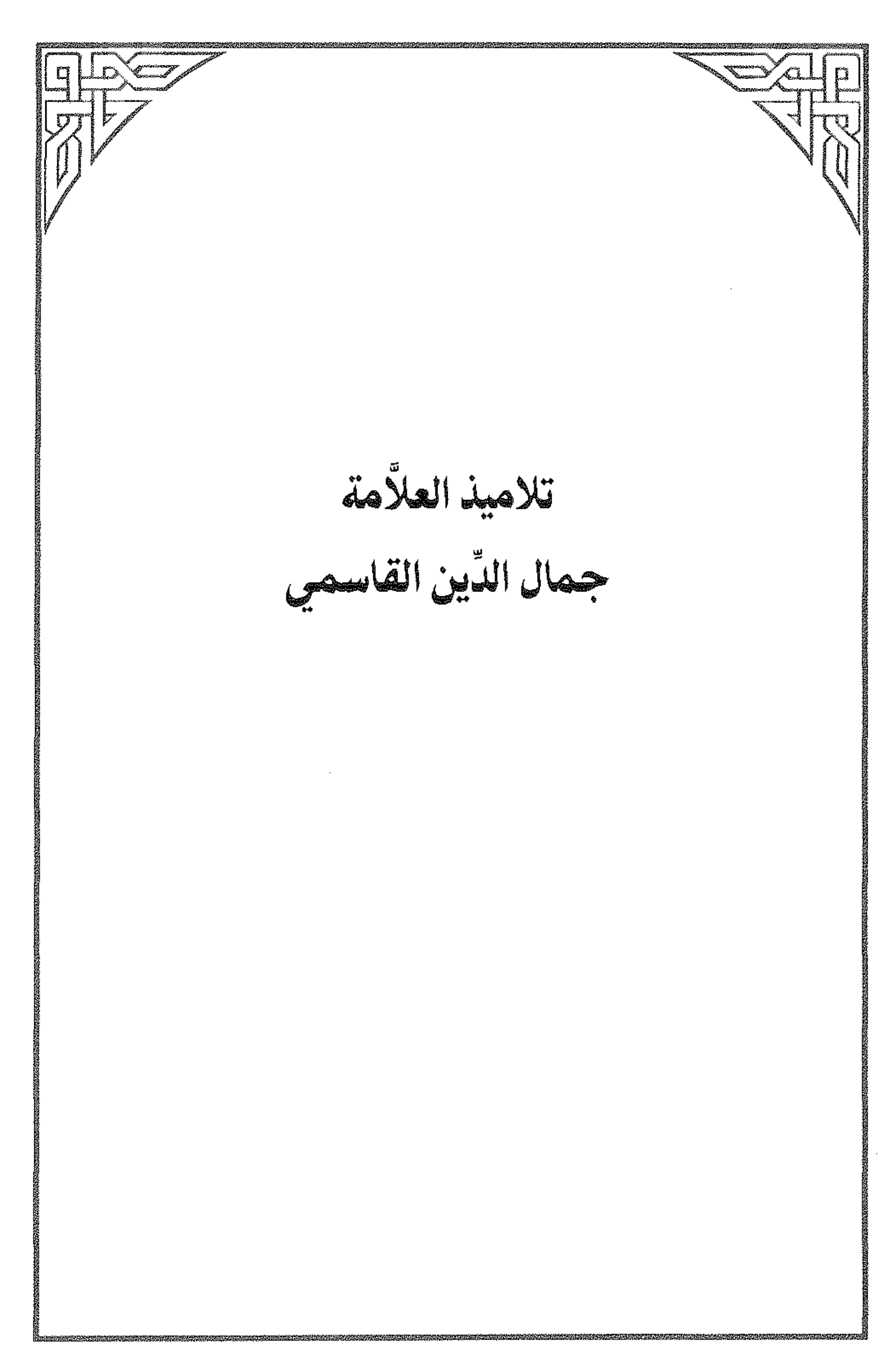
* * *

---

(١) انظر ما تقدَّم (ص٦٣).

وقد اجزت المومى اليه محمد جمال الدين افندي اجازة عامة
بجميع ما يجوز لي روايته بالشروط المعتبرة عند اهل
الاثر وارجوه ان لا ينساني واولادي واحفادي
من صالح دعواته في خلواته وجلواته وعقب درسه
وورده وصلواته وان يدعو لي بحسن العاقبة والعافية
في الدنيا والاخرة والتثبت على الايمان الكامل
والستر الجميل في الدارين وبالعفو من الملك الكريم
وبالوفاة على الايمان والاسلام وبحسن الخاتمة
وان يجيرني سبحانه من شر الاعداء والحساد ومن
شر نفسي وهواي والشيطان الرجيم ويوجب لي احسانه
وافضاله القديم وينيلني بعد وفاتي النعيم المقيم
العظيم انه جل شأنه رؤوف رحيم واوصي المجاز باتباع
مذهب السلف فانه اسلم بل اعلم واحكم والسلوك
في طريقتهم الاقوم والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه
على سيدنا وشفيعنا محمد الرسول الامين وآله وصحبه اجمعين
كتبه الفقير اليه المعيد نعمان خير الدين بن السيد محمود شهاب الدين الحسيني
المعروف بالآلوسي زاده البغدادي سنة ١٣١٥ ذ ١٧
عفي عنه آمين

نهاية إجازة نعمان الآلوسي للقاسمي .



تلاميذ العلاَّمة

جمال الدِّين القاسمي



تلاميذ العلاَّمة
جمال الدِّين القاسمي

عالم كبير ومصلح جليل مثل العلاَّمة القاسمي: لا بدَّ أن يكون له تلاميذ ومحبُّون، وأصحاب حوله يأخذون من معين علمه، ويستفيدون من شمائله وكريم أخلاقه.

يقول محمَّد جميل العظم: «وقرأ على المترجَم، وانتفع به خلق كثير من الطلبة، وتصدَّر للتدريس بجامع سنان باشا في حياة والده وبعد وفاته».

وقال الأديب حسني كنعان[1]: «تلاميذ العلاَّمة الكبير المرحوم الشيخ جمال الدِّين القاسمي في دمشق كثيرون، وهم صفوة علماء البلاد الشَّامية وفُضلائها.

منهم مَن قضى نحبه، ومنهم مَن ينتظر، وهم إذ يتحدثون عن شيخهم يتراءى لك مقدار إعجابهم به، وتقديرهم له، والأحاديث التي يروونها عنه فيها عبر وعظات.

(١) مجلة «التمدن الإسلامي» (٣٣/ ٤٠٥).

وحسبك أن تعلم من تلاميذه كلاًّ من الأفاضل الشيوخ: محمَّد بهجة البيطار، والمرحومين الشيخ جميل الشطِّي ومحمَّد كرد علي، وعبد الرَّحمن الشهبندر، وعزّ الدِّين علم الدِّين[1]، والأمير شكيب أرسلان، ونصوحًا البخاري، ومن الأحياء: محبّ الدِّين الخطيب، ولطفي الحفَّار[2]، وأمثالهم من رجال الإصلاح الذين ناصروه وآزروه في نشر تعاليمه ومحاربة البدع والضلالات وأخص من بينهم العالم السَّلفي المرحوم الشيخ عبد الفتَّاح الإمام صاحب التآليف الإسلامية العديدة.

كانت حياة هذا العالم الفذّ يتلقَّنها عشاق علمه وفضله، من أفواه تلاميذه وهم كثر كما رأيت» اهـ.

---

(١) هو عزّ الدِّين علم الدِّين التنُّوخي المولود سنة (١٣٠٣هـ)، أمين سرّ المجمع العلمي العربي بدمشق، المُتوفى سنة (١٣٨٦هـ)، وهو عالم بالأدب، له نظم، وقد حقَّق مجموعة من نفائس التراث؛ قال: «كان الشيخ محمود شكري الآلوسي صديق شيخنا الجمال القاسمي، وكان شيخنا الإمام ــ يعني القاسمي ــ يقرأ لنا الرسائل الآلوسية...» مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق (٣٦/ ١٣٥)، وانظر: «الرسائل المتبادلة بين جمال الدِّين القاسمي ومحمود شكري الآلوسي» لراقمه (ص١٤). ولترجمة التنوخي انظر: «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٢٩)، و «المجمعيون في خمسين عامًا» لعدنان الخطيب (ص٩٣ ــ ١٠٤، طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق).

(٢) قال لطفي الحفَّار في رسالة منه إلى مجلة «التمدُّن الإسلامي» (٣٣/ ٦٧١): «وبهذه المناسبة أحبُّ أن أذكِّركم أن الكاتب الأديب السيِّد رشدي الحكيم هو أيضًا من تلاميذ القاسمي، كان يحضر معنا الدروس والجلسات».

وهؤلاء التلاميذ ينقسمون إلى قسمين، فمنهم من أخذ عنه ولازمه، ومنهم من كان يحضر مجالسه، ويستفيد من توجيهه وإرشاداته ودعوته الإصلاحية، وهذا الصنف لا يُسمى تلميذًا صرفًا، وإنَّما هو محب ومُصاحب[1]، فإن منهم من تغير حاله، وكان أشبه ما يكون قوميًّا أو سياسيًّا.

وهذا ذكر بعض تلاميذه، ولم أتتبعهم جميعًا، وإنَّما أذكر الذي وقفت عليه منهم:

* شقيق القاسمي: محمَّد قاسم خير الدِّين القاسمي، المولود سنة (١٢٩٩هـ). أخذ عن والده محمَّد سعيد القاسمي وغيره من علماء الشَّام كالشيخ بكري العطَّار، كما أنَّه أخذ عن أخيه الشيخ جمال الدِّين القاسمي الكثير من العلوم، ثُمَّ اشتغل بالتدريس، وتربية أبناء أخيه جمال الدِّين بعد وفاته، كما قام بإصدار بعض مؤلَّفات شقيقه، تُوفي في ذي القعدة سنة (١٣٥٧هـ). وقد فصَّلت شيئًا من ترجمته في كتابي «آل القاسمي» (ص ٧٠ ــ ٩٠).

* محمَّد بهجة البيطار (وستأتي ترجمته بإفاضة).

* محمَّد حامد التَّقي (وستأتي ترجمته مفصَّلة).

---

(١) قال سامي الكيَّالي في «الأدب العربي المعاصر في سورية» (ص٧٤)، حينما ترجم للقاسمي: «وصحبه طائفة من الشباب أمثال رفيق العظم، ومحمَّد كرد علي، وشكيب أرسلان، وشكري العسلي».

* محمَّد جميل الشطِّي، مفتي الحنابلة بدمشق، الفرضي، المؤرِّخ، المتوفى في ١٦ محرم سنة (١٣٧٩هـ).

قال في ترجمته لنفسه: «قرأت مبادىء العلوم على عمِّي مراد، ثُمَّ على الشيخ أبي الفتح الخطيب، وأخذت الفقه والفرائض عن والدي، ثم عن عمِّه الشيخ أحمد الشطِّي، وتلقَّيت طرفًا من الحديث عن الشيخ بكري العطَّار، ثم عن الشيخ بدر الدِّين المغربي، وحضرت دروس الأُستاذ صاحب التآليف الشيخ جمال الدِّين القاسمي[١] وغيره من علماء دمشق»[٢].

وقال مُقرظًا لكتاب «إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق» للقاسمي: «كتب الأُستاذ العلاَّمة الشيخ جمال الدِّين القاسمي؛ وهو المحقِّق المدقِّق، الفهَّامة، الدرَّاكة، المقرِّر المحرِّر تفسيرًا وحديثًا وفقهًا وأصولاً، وأدبًا جمًّا، وهو نابغة دمشق، القائم على العلم تدريسًا وتأليفًا ونشرًا. . . »[٣].

---

(١) قال الشيخ محمَّد بهجة البيطار في تقديمه لـ «أعيان دمشق» عن محمَّد جميل الشطي (ص٧): «إنَّ محمَّد جميل هو أخونا في الطلب والتحصيل على أستاذنا الجمال القاسمي، وكان معنا الشيخ حامد التَّقيّ رحمه الله وغيره من الإخوان».

(٢) ترجم لنفسه في آخر كتابه «روض البشر» (ص٢٦٧)، وانظر: كتابه «الضياء الموفور في أعيان بني فرفور» (ص١٥)، بقلم محمَّد صالح الفرفور، ومجلة «التمدن الإسلامي» (٢٦/ ٢٢٨).

(٣) هذا تقريظ بخطِّه في صفحتين كبار لكتاب «إرشاد الخلق» لشيخه القاسمي.

ولما تُوفي شيخه الجمال القاسمي رثاه بمرثية، وممَّا قاله فيها[1]:

مهلاً عُداةُ المُصلحينَ عَدِمْتكُمُ ... إنِّـي لكـم واللهِ غَيْـرُ مُسـالِـمِ
ها نحنُ بالمرصادِ أنصارُ الهُدى ... ندعو إلى الجَولانِ كُلَّ مُزاحِمِ
إنْ كان ماتَ القاسميُّ فإنَّكُم ... سترونَ مِنَّا كُلَّ يومٍ قاسِمِي
نحمي طريقتَه ونرعى عهدَهُ ... في الحقِّ لا نخشى مَلامَةَ لائمِ

وهذا ذكر تلاميذه مع الابتداء بأشهرهم وأكثرهم قربًا منه وهما: محمد بهجة البيطار وحامد التَّقي:

* * *

(1) «ديوان جميل الشطِّي الحنبليّ» له (ص١٩ ــ ٢١)، طُبع في المطبعة العمومية بدمشق سنة (١٣٧٤هـ).

١ ـ العلاَّمة محمَّد بهجة البيطار

يحتل الشيخ محمَّد بهجة البيطار المرتبة الأولى في تلاميذ العلاَّمة القاسمي، يقول الشيخ علي الطنطاوي: «كان التلميذَ الأكبرَ علمًا للجمال القاسمي»(١)؛ وذلك لعلمه الغزير، وبرِّه الصَّادق بشيخه القاسمي، ونهجه لطريقته في الدعوة، وما كان من صلةٍ أصيلة بين القاسمي وجدِّه لأمِّه الشيخ عبد الرزَّاق البيطار.

وفي هذه العجالة سأحاول تلخيص ترجمته من كلام تلامذته ومن عرفه عن قُرب:

يقول العلاَّمة أحمد راتب النفاخ ملخِّصًا لسيرته العلميَّة والعمليَّة(٢):

(١) «رجال من التاريخ» (ص٤١٢).

(٢) وذلك في حفل استقباله عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، إذ كان هو البديل بعد الفقيد الشيخ محمَّد بهجة البيطار. انظر: مجلة «مجمع اللغة» (٥٣/ ٢٢٠ ـ ٢٤٥). وقد رأيت أنَّ كلمته مشتملة على ما كتبه الشيخ محمَّد بهجة البيطار في إضبارته في مجمع اللغة العربية من سيرته الذاتية سنة (١٣٨٣هـ)، وما كتبه في آخر «الرحلة النجدية الحجازية» (ص٥٠ ـ ٦٣)، والتي ساق في أولها اسمه كاملاً =

«وُلِد الشيخ في الثاني من شهر رمضان المبارك سنة (١٣١١)، ولمَّا بلغ سن التمييز تلقى دروسه الابتدائية في «المدرسة الريحانية الأدبية» فتعلم فيها القرآن، والإملاء والحساب، حتى إذا كان أول سنة (١٣٢٣) ــ وهو في الثانية عشرة ــ شرع في الدراسة الثانوية، فتعلم في المدرسة العثمانية ــ التي أصبحت تعرف فيما بعد بالكاملية ــ مبادىء العلوم العربيَّة والدِّينيَّة والمدنيَّة. ودخل في السَّنة التَّالية، سنة (١٣٢٤)، المدرسة العازاريَّة الميدانيَّة، فدرس فيها قواعد العربيَّة واللُّغة الفرنسيَّة مدَّة سنتين. ولما وافت سنة (١٣٢٦) ترك المدارس، وانقطع ــ على سنَّة أسلافه ــ لتلقِّي علوم الإسلام والعربية على أهلها من رجال العلم والدِّين، فقرأ على والده النحو، والفرائض، والفقه والأدب.

وأخذ عن جدِّه الشيخ عبد الرزاق طرفًا من الأصول، والحديث،

= فقال: «محمَّد بهجة بن محمَّد بهاء الدِّين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمَّد بن حسن البيطار الدِّمشقي». كما أنَّ الدكتور عدنان الخطيب قد ترجم للشيخ البيطار في مقال طويل بعنوان: «مجمعي افتقدناه»، نشره في مجلة «مجمع اللغة العربية» (١/ ٨٧٥ ــ ٨٢٦)، ثم أفرده في رسالة صغيرة طُبعت في مطبعة الحجاز سنة (١٣٩٧هـ)، وقد ذُكر في آخرها مسرد بمؤلفات الشيخ البيطار وتحقيقاته، وثبت بما نشر منها في مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق.. وقد جمع صديقنا المحامي الأديب علي الرضا الحسيني مقالات الشيخ البيطار التي في مجلة «الهداية الإسلامية» في رسالة صغيرة طُبعت في الدار الحسينية للكتاب بدمشق سنة (١٤١٧هـ).

والتفسير، والتوحيد. وكان حين توفي أبوه قد حصل من العلم، وبدا فيه من مخايل الفضل ـ ولما يستكمل السابعة عشرة ـ ما أهَّله لأن يخلفه في الإمامة والخطابة والتدريس في جامع محلة القاعة في حي الميدان.

وقد جمع بعد وفاة أبيه إلى الدراسة على جدِّه الدراسة على صفيِّه وصاحبه في الدعوة إلى الإصلاح وإحياء مذهب السلف، ونصيره في المحنة التي سلفت الإشارة إليها: **العلاَّمة الشيخ جمال الدِّين القاسمي**، فلزمه، وحضر دروسه الخاصَّة في التوحيد، والتفسير، والحديث، والمصطلح، والأصول، والبلاغة، والمنطق ثلاث سنين إلى حين وفاته رحمه الله سنة (١٣٣٢هـ).

وكان أبلغ ما خلفته قراءة الشيخ على أستاذه القاسمي هذا وعلى جدِّه الشيخ عبد الرزَّاق أن ورث عنهم مشربهما في الإصلاح، وتمسكهما بمذاهب السلف.

وعلى يدي القاسمي تمرَّس الشيخ بالبحث والنظر، وفي أثناء دراسته عليه كان اتِّصاله بمجلة «المنار» التي على صفحاتها كان يلتقي دعاة الإصلاح على اختلاف آرائهم ويتصاولون، وبصاحبها السيد محمَّد رشيد رضا الذي كان الشيخ يجلُّه غاية الإجلال، ولا يذكر اسمه إلاَّ مقرونًا بلقب: «السيِّد الإمام».

وفي هذه الفترة، وبتوجيه شيخه، كان أيضًا اتِّصاله بآثار الأئمَّة الأوائل، ولا سيَّما كتب الإمامين شيخ الإسلام أبي العبَّاس ابن تيمية

الذي كان أُمَّةً في رجل، وصاحبِهِ الفذّ الإمام أبي بكر ابن القيِّم، فكانت مورده الذي ظلَّ طوال حياته ينهل منها ويعلّ[1].

وفي سنة (١٣٣٥هـ)، تولَّى الخطابة والتدريس في جامع الدقَّاق بأمر جدِّه الشيخ عبد الرزَّاق البيطار.

وكان الشيخ إلى تولِّيه الخطابة والتدريس في جامع القاعة فجامع الدقَّاق وقد عمل في التعليم في المدارس الأهلية منذ أن كان في العشرين، فعلَّم سنة (١٣٣١هـ) الدِّين والعربية في «مدرسة التوفيق» التي كان يديرها صديقه الفاضل الأُستاذ عبد الحكيم الطرابلسي، ولما ضمَّت هذه المدرسة إلى «المدرسة الكاملية» التي كان الشيخ قد تعلَّم فيها في حداثته تولى تدريس الصفوف العالية فيها حتى سنة (١٣٣٧هـ)، ثُمَّ أسَّس هو وصديقه عبد الحكيم المذكور سنة (١٣٣٨هـ) «مدرسة التوفيق الميدانية» وكان مدرسًا فيها أيضًا وملقبًا برئيسها.

ولما كانت سنة (١٣٤٠هـ) دعته وزارة المعارف في عهد وزارة الأُستاذ محمَّد كرد علي إلى تدريس الدِّين واللغتين العربية والفرنسية في «مدرسة خالد بن الوليد» في الميدان، فاستمرَّ فيه خمس سنين.

وفي عام (١٣٤٢هـ) انتخب الشيخ عضوًا في المجمع وكانت

---

(١) ذكر النفاخ أخْذ الشيخ البيطار عن محمَّد الخضر الحسين حينما استقرَّ فترة من الزمن في دمشق، وقد أخذ عنه الحديث والأصول وفنَّي الخلاف والنحو بتدبُّر وتحقيق.

باكورة أعماله فيه أن ألقى في ردهته بُعَيد انتخابه محاضرة في «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»، وهي من أوائل ما كتب عنه في هذا العصر.

وفي عام (١٣٤٤هـ) دعي إلى المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في مكة المكرمة، فلبَّى الدعوة، وأدَّى فريضة الحج، وشارك في أعمال المؤتمر. ثُمَّ كان أن رغب إليه الملك عبد العزيز أن يبقى في مكة ليقوم بإدارة المعهد العلمي السعودي، فأجاب، وهو يأمل أن يجعل من ذلك المعهد مدرسة لتخريج الدعاة على شاكلة «مدرسة الدعوة والإرشاد» التي أنشأها السيِّد محمَّد رشيد رضا في مصر.

وقد أقام يدير هذا المعهد ويدرس فيه خمس سنين لم ينقطع خلالها عن قراءة الدروس في المسجد الحرام، كما درَّس في الحرم النبوي عندما أقام في المدينة المنورة زهاء شهر أيضًا، وفي سنة (١٣٤٧هـ)، كلِّف إلى ذلك بجملة أعمال أخرى في التدريس والتفتيش وعضوية مجلس المعارف صدرت بها مراسيم ملكية، فقام بها جميعًا. وكان مما أريد عليه أن يلي القضاء، فعيِّن سنة (١٣٤٦هـ) عضوًا في محكمة مكَّة الشرعية الكبرى ونائبًا لرئيس هيئة المراقبة القضائية، فلم يقضِ خلال تولِّيه ذلك بشيء، ولا تقاضى عنه أجرًا، وقنع بمرتب التدريس، وهو لا يتجاوز نصف مرتب القضاء، ثم لم يزل يصرّ على الاستعفاء منه تورُّعًا وخشية حتى أجيب، وكان ــ رحمه الله ــ إذا ما قاده الحديث في مجالساته لإخوانه، أو مذاكراته لتلامذته إلى ذكر ذلك أخذته الخشية، وخنقته العبرة، حتى يخفى صوته فلا يكاد يبين.

وفي سنة (١٣٥٠هـ) عاد إلى دمشق ليجد أعماله موزعة، وأنه فقد من أعوام التقاعد أكثر من عشر سنين، ولمَّا كانت سنة (١٣٥٣هـ) دعته جمعية المقاصد الإسلامية في بيروت إلى التدريس في كلِّيتيها للبنات والبنين، وفي العام نفسه كلَّفته وزارة المعارف في دمشق التدريس في ثانوية الإناث فكان يقوم بالعملين جميعًا، يسافر إلى بيروت أصيل الجمعة ليعود منها إلى دمشق مساء الثلاثاء من كل أسبوع، ثُمَّ كان أن ولي حتى عام (١٣٦٣هـ) جملة أعمال تدريسية في ثانويات دمشق، ودار المعلمين العليا، وداري المعلمين والمعلمات، والكلية الشرعية التي أنشأتها مديرية الأوقاف.

وفي عام (١٣٦٣هـ) عزم الملك عبد العزيز أن ينشىء في الطائف معهدًا باسم «دار التوحيد» على غرار المعهد الذي أنشىء من قبل في مكة، ولم يرَ فيمن خبرهم من أهل العلم والرأي أقدر على الاضطلاع بأمره من الشيخ، فرغب إلى الحكومة السورية في النزول له عنه، فكان ذلك. وأمضى رحمه الله في إنشاء ذلك المعهد والقيام عليه ثلاث سنين، بذل خلالها أقصى الجهد، لا يبغي من وراء ذلك إلاَّ مرضاة ربّه حتى استوى على النحو الذي يريد، وأخذ يؤتي أكله. وقد بلا القوم إذ ذاك، وكان قد أقبل عليهم الثراء، وسار فيهم سيرته من إخلاص الشيخ وصدق دينه وعفَّة نفسه فوق ما كانوا يعلمون، فما ازداد عندهم إلاَّ ارتفاعًا على حين تهاوى آخرون.

ولما عاد الشيخ إلى دمشق عام (١٣٦٧هـ) استأنف عمله مدرِّسًا

للدين في الصفوف العليا من المدارس الثانوية، وكلِّف إلى ذلك تدريس التفسير والحديث في كلِّيَّة الآداب، واستمرَّ في عمله هذا إلى أن بلغ سنّ التَّقاعد عام (١٣٧٤هـ).

وبإحالة الشيخ على التقاعد فرغ لأعماله العلمية والاجتماعية:

اختير منذ سنة (١٣٧٣هـ) عضوًا في لجنة مجلة «المجمع العلمي» فكان لا يفتر عن الكتابة فيها، والنظر فيما يُحال إليه من المقالات الواردة عليها، ولم يدع المشاركة فيما كان يعقده المجمع أو يُدعى إليه من المؤتمرات.

واستمرَّ في دروسه العامة في جامع الدقَّاق والخطابة فيه، ودروسه الخاصَّة في بعض حجره يتدارس فيها مع ثلَّة من صحبه وخواص تلامذته طائفة من الأمَّهات في الأصول والتوحيد. هذا إلى تدريسه التفسير في كلية الشريعة سنة (١٣٧٨هـ).

وقام في هذه الفترة بعدَّة رحلات إلى أقطار شتَّى في الشرق والغرب لأغراض علمية واجتماعية قصَّ من نبئها في ترجمته التي ألحقها برسالته «الرحلة النجدية الحجازية». وكان منها رحلته إلى الرياض عام (١٣٨٠هـ) بدعوة من الملك سعود للمذاكرة بشأن إنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنوَّرة، فوضع لتلك الجامعة منهاجًا لقي الاستحسان، ويمَّم من فوره هذا تلقاء مصر، فشارك في المؤتمر الذي ضمَّ رجال مجمعي القاهرة ودمشق، وألقى فيه بحثًا في «الاشتقاق والتعريب». ثُمَّ عمد في أواخر رجب من العام التالي (١٣٨١هـ) إلى

المدينة المنوَّرة، واطَّلع على سير جامعتها التي أنشئت على هدي المنهاج الذي وضعه لها، وألقى فيها جملة محاضرات. وكانت هذه آخر رحلاته رحمه الله.

وقد كانت فترة ما بعد التقاعد هذه من أحفل فترات حياته بالأعمال العلمية تأليفًا وتحقيقًا».

ثُمَّ أشار النفاخ إلى شهادة كبيرة في منزلة البيطار العلمية والدعوية والأخلاقية من قبل العلاَّمة محمَّد بشير الإبراهيمي حيث قال:

«وكان البشير ــ رحمه الله ــ وهو مقيم في المدينة المنورة يدرس في حرمها النبوي قبل سنة (١٣٣٥هـ) يتوق إلى لقاء الشيخين عبد الرزَّاق البيطار وجمال الدِّين القاسمي، فلم يقدَّر له ذلك. ثم وقع إليه من نبأ الشيخ محمَّد بهجة البيطار، ووقع إلى الشيخ من نبئه ما حبب كلاًّ منهما بالآخر على البعد، حتى إذا حم لهما اللقاء، واتَّصلت الأسباب بالأسباب، وكان ذلك عندما قدم البشير إلى دمشق في أخريات عام (١٣٣٥هـ) صدق الخُبْر الخَبر، وأقام البشير في دمشق أربع سنين إلاَّ قليلاً كان للرجلين وصحبهما من صفوة العلماء خلالها مجالس المؤانسة والمباحثة والمذاكرة ظل البشير يحن إليها طوال حياته.

حتى إذا أتى على الفراق ثلاثون سنة كتب في صحيفته «البصائر» سنة (١٣٦٩هـ) مقالاً يُعَرِّف فيه بالشيخ ويصف ما بلاه ــ في تلك الحقبة ــ من علمه وخلقه، ويذكر تلك المجالس التي كان واسطة العقد فيها السيِّد محمَّد الخضر حسين، كما قال.

فكان مما جاء في فاتحته:

الأُستاذ الشيخ محمَّد بهجة البيطار علم مِن أعلام الإسلام، وإمام مِن أئمَّة السَّلفِيَّة الحقَّة، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسُّنَّة، واسع الاطِّلاع على آراء المُفَسِّرين والمُحَدِّثين، سديد البحث في تلك الآراء، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها، ثُمَّ له ــ بعد ــ رأيه الخاص، يوافق ما يوافق عن دليل، ويخالف ما يخالف إلى صواب؛ لأنه مستكمل للأدوات المؤهلة لذلك، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع إليه الآراء والمذاهب والفهوم، وأنه كتاب الكون ودستور الإنسانية، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير فجرَّدوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم، وجردوا القرآن من خصائصه العليا، وقيَّدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصة.

والأُستاذ البيطار مجموعة فضائل، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خلق فاضل إلاَّ رأيته فيه، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة، لا بأقدار الأئمَّة، ويعطي كلاًّ ما يستحقّ.

والأُستاذ البيطار مفكر عميق التفكير، خصوصًا في أحوال المسلمين بصير بعللهم وأدوائهم، طبّ بعلاجهم ودوائهم، يرى أن ذهاب ريحهم من ذهاب أخلاقهم، وأن معظم بلائهم آتٍ من كُبرائهم وأمرائهم وعلمائهم. وهو يعني: كبراء الدعوى، وأمراء السوء، وعلماء التقليد. يرجع في ذلك كله إلى استقلال في الفهم والاستدلال،

ومقارنات في التَّاريخ والاجتماع، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السُّنن الكونيَّة.

وله في الإصلاح الدِّيني سلفُ صدقٍ حققوه علمًا، وطبَّقوه عملاً، يعتمد في تحصيله وتربيته على طودين شامخين من أطواد العلم والعمل: أحدهما: **الإمام عبد الرزاق البيطار**، والثاني: **الإمام المحدِّث جمال الدِّين القاسمي، عنهما أخذ، وفي كنفهما نشأ، وعلى يدهما تخرَّج، فجاء عالمًا من ذلك الطِّراز الذي نقرؤه في التراجم**، ولا نجده فيما تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرؤون ويحفظون وينقلون، ولكنهم لا يفقهُون...»[1].

وأمَّا العلاَّمة الأديب الكبير الشيخ علي الطنطاوي فإنَّه يقول:

«في سنة (١٩٢١م)، لما كنت تلميذًا للشيخ حامد التَّقي، وهو أسنُّ تلاميذ الشيخ جمال الدِّين القاسمي، رحمه الله ورحمهم، في مدرسة أنموذج المهاجرين في دمشق، كان يحدِّثنا عن زميل له في القراءة على الشيخ جمال الدِّين هو الشيخ بهجة البيطار، الذي كان يومئذٍ مُعَلِّمًا في مدرسة أنموذج الميدان الابتدائية.

وذهبت بعد ذلك بسنوات إلى الميدان، فصلَّيت الجمعة في جامع الدقاق فسمعت خطبته، فإذا أنا أجد ما لا أجد مثله في المساجد التي كنت أُصَلِّي فيها؛ لم يكن يقرأ الخطبة من ديوان قديم كما كان يصنع

---

(١) انظر مقال الإبراهيمي مطوَّلاً في: «آثار محمَّد البشير الإبراهيمي» (٣/ ٥٦٤ ــ ٦٥٨)، طبعة دار الغرب الإسلامي.

يومئذٍ أكثر الخطباء، ولا من ورقة مكتوبة يضع عينه فيها، ولا يرفع رأسه عنها؛ بل كان يخطب ارتجالاً. ولم يكن يلقي كلامه ذلك الإلقاء الملحن الممطوط، الذي يسبب النُّعاس، ويستدعي الملل بدلاً من أن يثير النشاط ويبعث الأمل، بل كان يلقي إلقاءً طبيعيًّا عاديًّا، كما تُلقى المحاضرات.

بقيت أكثر من ثلث قرن أُصَلِّي الجمعة عنده أنا والأُستاذ التنوخي، والأفغاني حينًا، والشيخ ياسين الرَّواف أحيانًا، وكان عنده كل جمعة جماعة، منهم بعضُ الأفاضل الذين يعزُّ لقاؤهم في غير هذا المكان، كالأمير شكيب أرسلان لما قدم الشَّام، وكنت أعرفه من بعيد عظيمًا في جهاده، وفي كتابته، وفي علمه، فعرفته من قريب عظيمًا في تواضعه وفي سيرته.

وكنت كلما حضرت خطبته وانصرف إلى داره فانصرف معه جماعة من الناس[1]، فوجدوا المائدة معدة، ففي كل جمعة وليمة، فيأكلون ويبقون يتحدثون ويستمعون إلى الشيخ فيستفيدون حتى يؤذن العصر فيصلون ويذهبون.

وكنت آخذ إليه كلّ مَنْ عنده شبهةٌ في الدِّين، أو كلام في الإسلام سمعه من غير المسلمين، فيزيل الشيخ الشبهة، ويدفع الاعتراض.

---

(١) قال لي عالم العربية الأوحد عاصم محمَّد بهجة البيطار رحمه الله تعالى: كان الشيخ علي الطنطاوي يقول لأصحابه: لا صلاة يوم الجمعة إلاَّ في جامع الدقاق، ولا غداء إلاَّ عند الشيخ بهجة البيطار.

كنا عند الشيخ بهجة كأننا في بيوتنا، إن جعنا طلبنا الطعام، وإن نعسنا ذهبنا إلى الغرفة الأخرى لننام، وإن أنسنا قعدنا، وإن استعجلنا استأذنا فانصرفنا. وهو في الحالات كلها مشرق الوجه، باسم الثغر، ليِّن القول، يتحرك لسانه ما بين ترحيب بنا، أو كلام نافع لنا، فقوله درس، وسلوكه قدوة، ومجالسته متعة ما بعدها متعة، رحمه الله.

ولقد رأيت آلافًا من الرِّجال، وعاشرت مئات منهم، فما رأيت مثله إلاَّ قليلاً، في فهمه للإسلام، وتمكُّنه من العربية، واستحضاره للشواهد، وقدرته على نظم الشعر.

كان حلاَّلاً للمشكلات، يستمتع بالنكتة ويقولها. لازمته أكثر من أربعين سنة، سافرت معه، شاركته في لجان التحكيم، وفي لجان رسمية، فكان في الحالات كلها الرجل الكامل الفاضل».

وأمَّا ظافر القاسمي ابن الشيخ جمال الدِّين القاسمي فإنه يقول:

«عرفت الشيخ ــ أعلى الله غرفته في الجنَّة ــ منذ نعومة أظفاري، فقد كان تلميذًا لوالدي جمال الدِّين القاسمي، لا بل كان من أخصّ تلاميذه، إن لم يكن أخصّهم على الإطلاق، وكنت كلَّما تقدمت بي السِّن، أدركت أن الشيخ متفرِّد بين الأقران، وأنه جاء قبل الأوان، أو بعد الأوان، فلا والله ما عرفت طبعًا أرقّ، ولا خلقًا أرضى، ولا لفظًا أصح وأفصح، ولا معنى مُسلسلاً منتظمًا كعقد اللؤلؤ المنظوم، كما عرفت ذلك كله وأكثر منه، عند الشيخ بهجة (كما كنا نناديه).

وتوالت لقاءاتي مع الشيخ، في بيته، وفي جامع الدقاق، خاصةً أيام الصيف بعد العصر، وفي حجرته في هذا الجامع، وفي بيتنا، وفي بيوت تلاميذ جمال الدِّين القاسمي المشايخ: حامد التقيّ، وتوفيق البزرة، وأحمد القشلان، وأحمد الجبان، وجميل الشطِّي وغيرهم، فكنت أراه، قدَّس الله روحه، مُفْردًا علمًا من بينهم جميعًا، ولا سيَّما في طريقة الجدل والنقاش، وفي سرد الحُجج، وفي ترويض المُعاندين ــ وما أكثرهم ــ وفي حل المُشكلات، وفي مزج العقيدة باللغة والتاريخ والسيرة النبويَّة والأدب، فيخرج من هذا كله الكريستال الصَّافي الذي تقبله الأذواق والأفهام».

ثُمَّ ذكر أخذه عنه، وأنَّه كان يقرأ عليه «صحيح البخاري»[1]، فيقول:

«كان الشيخ يأمرني بقراءة حديث، وحينما أنتهي يفيض من علمه عليَّ، كأنَّه نبع ثرٌّ، تعرف أوَّله، ولا تكاد تعرف آخره، بهدوئه المعهود، وجرسه الحلو الذي يقع في النفوس أحلى موقع، ولو أردتُ أن أُلخِّص لك قراءتي «صحيح البخاري» على الشيخ بكلمات، لقلت لك: إنَّه أفرغ العلوم الإسلامية كلها من «صحيح البخاري»، فعرفت ما لم أكن أعرف، على الرغم من أنني نشأتُ في بيئة دينيَّة خالصة، هي

(١) وقال أيضًا في كتابه اللطيف الماتع «مكتب عنبر» (ص٩٢): «كان لنا درس في الحديث والتوحيد مع علاَّمة الإسلام في هذا الزمان الشيخ محمَّد بهجة البيطار ننتقل فيه إلى داره بالميدان، وكفى به إمامًا ومُرشدًا».

التي علَّمت البيطار ما علَّمني، ولكن ربُّ البيئة كان قد ذهب إلى جوار الله، أعني: أبي، رحمه الله، وعندئذٍ فهمت لماذا خيَّرني، لأنَّ أي كتاب كان يمكن أن أحمله، كان معتزمًا أن يعلِّمني من خلاله كل ما علَّمني من خلال «صحيح البخاري». فالعبرة ليست للكتاب، وإنما هي للشيخ، أو قُل للأستاذ الذي يعلم الكتاب.

وقع خلال هذه الدروس شيء آخر، لعله لا يقلّ أهميَّة عن العلم الذي تلقَّيته في بيت الشيخ: ذلك بأنه ندر أن نقضي ساعة، دون أن يُقرع باب البيت، وينهض الشيخ بنفسه لفتحه، ويدخل الداخلون، منهم عمه الشيخ مسلم، رحمه الله، وكان أصغر منه، وكان يحبّ أن يجلس مع ابن أخيه سويعة من زمن، قبل ذهابه إلى عمله، فهو بمثابة ولده وتلميذه ومريده في آن واحد معًا.. ومنهم أُناس جاؤوا لزيارة الشيخ، ومنهم من جاء للاستفتاء، ومنهم ــ وهذا بيت القصيد ــ من جاء للإحراج، ولطرح الأسئلة التي لا ينفكّ الحشْويون[1] يضايقون بها السلفيين، كالكرامات، والأولياء، والقبور، والتَّمائم، وغير ذلك مما هو معروف، ولقد شهدتُ

---

(١) قال القاسمي في «دلائل التوحيد» (ص١٧٥) الحشْوية بسكون الشين ــ وفتحها غلط ــ: واحد الحشوي، نسبةً للحشو، بمعنى العامَّة والأتباع، وقال في «شرح لقطة العجلان» (ص١٤٥): «الحشْوية فرقة لا تقيم للنظر ميزانًا، ولا ترى للعقل الصحيح بُرهانًا، مقلدة جامدة»، وقال في رسالة منه إلى محمَّد نصيف سنة (١٣٢٧هـ): «اصطلح أهل مصر ودمشق الآن على تلقيب الجامدين والمتعصِّبين والجهميَّة والقبوريَّة بالحشْويَّة».

مجلسًا لواحد منهم، لا أُسمِّيه، كأنه قد جاء لنصب العداء، ولإخراج الشيخ عن طوره، ولكن الشيخ كان قد اعتاد على هؤلاء، وراض نفسه على استقبالهم، وعلى محاورتهم، فلا والله لم يغضب، ولم يخرج عن هدوئه، ولم يبدُ عليه أيَّة أمارة من أمارات الانزعاج، وكان كلما زاده الزائر البغيض إثقالاً، ازداد هو ابتسامًا له، وتعليمًا، ونُصحًا، وبيانًا للحقائق.

قال لي الشيخ بهجة البيطار ــ رحمه الله ــ بعد أن ذهب:

ــ يا أخي السيد ظافر (وكان هذا خطابه لي إلى أن لحق بالرفيق الأعلى)، هؤلاء يأتون ابتغاء الفتنة، وما أبعد ما أرادوا، نحن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ولهم أن يفعلوا ما أرادوا.

كانت الزيارات التي يتلقَّاها الشيخ بحضوري مدرسة أخرى فيها من ألوان التعليم والتثقيف ما أدركت أثره بعد قليل، وحمدت هذه الصُّحبة الخيِّرة النَّافعة»[(١)].

وأمَّا محمَّد فريد جُحا[(٢)] فإنَّه يقول عن ذكرياته مع الشيخ محمَّد بهجة البيطار:

«وفي يوم خريفي جميل من أيَّام دمشق عام (١٩٤٧م) في كلية الآداب، دخل مدرج السنة الثانية من قسم اللغة العربية

(١) من مقدمته لـ «كلمات وأحاديث» للبيطار (ص١٠، ١١، ١٦، ١٧).

(٢) مجلة «الفيصل»، عدد (٢٥٦)، في شوَّال سنة (١٤١٨هـ)، (ص٩٢ ــ ٩٤).

أستاذنا الدكتور أمجد طرابلسي مقدِّمًا من عرَّفنا به، حسب التقاليد الجامعية، بما يلي: «يشرفني ويسعدني أن أقدِّم إليكم أستاذنا الشيخ محمَّد بهجة البيطار، سيقوم في هذه السَّنة بتدريسكم علوم القرآن والحديث، ونأمل أن تفيدوا من خُلُقه خلقًا كريمًا، ومن علمه علمًا عميقًا...».

وتلمذنا للأستاذ الشيخ محمَّد بهجة البيطار، سنتين جامعيتين، وأخذنا عنه الخُلُق الكريم والعلم العميق، وكان ذلك يضعنا في صف أوائل علماء دارسي القرآن الكريم والحديث الشريف، فمن يملك مثله عقلاً واسعًا، ومعارف كثيرة، ونفسًا رضية لا بدَّ أن يترك في نفوس من يحيطون به، وبينهم طلابه أعمق الأثر.

الأُستاذ الشيخ محمَّد بهجة البيطار، طويل القامة، ممتلىء الجسم، يعتمر عمامة بيضاء تلتف على طربوش أحمر داكن، والوجه تزينه لحية محبَّبة في وسطه. وجهٌ يتلألأ نورًا، وتزينه ابتسامة ما أشبهها بابتسام الزهر في صباح يوم ربيعي!!

ويلقي الدرس بهدوء، وبصوت خافت لا يكاد يُسمع إلاَّ بصعوبة. كنا نضطر لذلك للإنصات لكي لا تفوتنا كلمة من كلماته.. وعلَّمنا، وكان في رأس ما علمنا، الالتجاء إلى المراجع والمصادر في مكتبات الجامعة والمجمع والظاهرية، وهناك، كنا نتلمس الكتب، ونقرؤها بعناية، ونأخذ عنها ملاحظات ندونها في دفتر يبقيها حيَّة في أذهاننا، ماتعة لقلوبنا... وهكذا تعرفنا مثلاً أنواع التفاسير،

تفاسير القرآن الكريم، فعرفنا أكثرها، كما تعرفنا مذاهبها وأصحابها، من الأعلام المفسرين.

عامان أمضيناهما مع الأُستاذ الشيخ بهجة، استمعنا إليه مدرِّسًا، ومحاضرًا في ردهة المجمع، وقرأنا له ــ في مجلة المجمع ــ الكثير من الأبحاث، كما اطَّلعنا على ما حقَّق من كتب مخطوطة، وما وجَّه من نقد وتعريف بكتب كثيرة تتَّصل بمادَّتنا».

وختم مقاله بعد أن سرد موجز سيرة البيطار بقوله:

«أما كاتب هذا المقال، فلم يكن تلميذ الفقيد فحسب، بل كان صديقًا لنجله «عاصم». وكم لقي من برِّ الفقيد في الكلية، وفي المنزل، حيث أضيف إلى ما تلقى عنه من علم ولطف، أطايب المآكل الدِّمشقية التي كانت تنسيه غربته، وبعده من مدينته، وتذكره بأطايب والدته المتوفاة رحمها الله. سقاه الغمام شآبيب الغيث، وأسكنه الله عزّ وجلَّ فسيح جِنانه» آمين.

وأخيرًا أختم بكلمة لأستاذنا أستاذ الأجيال، عالِم العربيّة الكبير الأُستاذ الدكتور مازن بن عبد القادر المبارك، حيث كتب لي:

«الأُستاذ الشيخ محمَّد بهجة البيطار واحد من أبرز علماء عصره في بلاد الشَّام. عرفته في أول شبابي؛ إذ كان زميلاً لوالدي في المجمع العلمي العربي «مجمع اللغة العربية»، ثُمَّ عرفته أستاذًا لي في كلية الآداب بجامعة دمشق.

وتوطَّدت بعد ذلك صلتي به وقويت حين أصبحت زميلاً لابنه الأُستاذ عاصم الذي ربطت بيني وبينه صداقة وأخوَّة ومحبة ما زالت تقوى وتزداد مع الأيام.

كُنَّا نجلس إلى الأُستاذ الشيخ بهجة في بيته، وكانت جلسات فيها العلم وفيها الدين، فيها الإرشاد وفيها الوعظ، فيها الطعام وفيها الإكرام، وأشهد أنني ما عرفت شيخًا أكثرَ لُطفًا، وأشدّ إيناسًا، وأرقّ حديثًا، وأعذبَ بسمة من الشيخ بهجة عليه رحمة الله، ولا عرفت عالمًا أكثر تواضعًا وأحكم حكمةً، وألطف دعوةً، وأكثر تذكيرًا بالله من الشيخ بهجة عليه رحمة الله.

ولقد كان يشدُّ إليه جميع الذين عرفوه على اختلاف مللهم ونحلهم ونزعاتهم وميولهم، يحبُّه العامَّة، كما يحبُّه الخاصَّة، ويجلُّه الكبار، كما يحترمه الشباب والصغار.. وكأنَّ الله سبحانه ألبسه بحسن طويّته ونقاء سريرته ثوبًا من المهابة والوقار.

رحم الله أستاذنا الشيخ بهجة البيطار، فقد كان واحدًا من بقايا السلف الصالح الذين أكرمنا الله بلقائهم.

مازن المبارك»[1]

---

(١) وقفتُ على كلمة للشيخ سعدي ياسين بخطِّه في آخر كتاب «الداعية السلفي الشيخ سعدي ياسين» لمحمَّد خضر (ص١٩٧)، لا بدَّ من إدراجها وأهميتها، يقول الشيخ السعدي: «قرأت على عالم الشَّام الهُمام، وليِّ عقلي ولساني وقلمي الشيخ محمَّد بهجة البيطار أمتع الله به الإسلام والمسلمين: «عقيدة السفاريني» على طريقة سلف هذه الأمة الصالح، وكتاب «العلوّ للعليّ الغفَّار» للذَّهبي، =

وأمَّا أهل الحجاز الذين كان بينهم في مكَّة والطَّائف؛

فيقول الشيخ زكريَّا بن عبد الله بيلا[1]:

«العلاَّمة الكبير، المحدِّث الفقيه، المتضلِّع من الفنون، النِّحرير، فضيلة الشيخ محمَّد بهجة البيطار، وُلد عام (١٣١١هـ)، وطلب الفنون المختلفة بنشاط كبير، وهمَّة، كانت نتيجتها أن صار أحد الأفذاذ والعبقريين، وحاز قصب السبق في ميادين العلوم الشريفة؛ ولذا كان أحد المُدَرِّسين ببلده الشَّام، وعضوًا بالمجمع العلمي هناك، وانتدبه الملك ابن السعود مدرسًا بالحرم المكِّي، وتعين مديرًا للمعهد العلمي

= و «اجتماع الجيوش الإسلاميَّة» للمحقِّق ابن قيِّم الجوزيَّة، و «الأسماء والصِّفات» للإمام البيهقي، و «كتاب التوحيد» لابن خزيمة، وكتاب «الإبانة» للإمام أبي الحسن الأشعري، الذي رجع به رحمه الله تعالى إلى مذهب السلف، وهو آخر كتبه، و «إرشاد الفحول» للشَّوكاني، و «مقدّمة ابن الصَّلاح».
ثمَّ ذكر ما درسه من علم العربية على غيره، ثُمَّ قال: «ثُمَّ قرأت الكتب العالية على أمير القول، وملك الكلام الشيخ محمَّد بهجة البيطار الذي يُتَلَقَّى عنه القول الجزل، والكلام الفصل؛ كما تؤخذ عنه قواعد العلم فتدريسه علمي عملي جزاه الله أفضل الجزاء».

(مهمَّة) تلاميذ الشيخ محمَّد بهجة البيطار لا يحصون في الجامعة والمسجد والبيت وغير ذلك من الأماكن، وممن كان يحضر عنده وتعلَّم بين يديه: صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء بسوريا، والشيخ مسلم الغنيمي الميداني، والقاضي الفاضل سعدي أبو جيب، وقد صوَّر لي بعض رسائل الشيخ البيطار إليه حينما كان يعمل في الكويت فترة من الزمن.

(١) «الجواهر الحسان» له (٢/٥٠٨).

السعودي، وتولَّى إدارته بما عهد فيه من كفاءة واقتدار وجِدٍّ عظيم، وانتدبه أيضًا للمرة الثانية مديرًا لمدرسة التوحيد، المؤسسة بمدينة الطائف عام (١٣٦٥هـ)، وألقى وقت مقامه بمكة دروسًا في الوعظ على منبر الحرم المكي، وكان آية في البداعة، ونهاية في تطرقه للمواضيع المناسبة للحالة الوضعية، وقد رأيت له مقالات على صفحات الجرائد، والمجلات، تلائم وقت النشر، وتلتئم وعنوان الموضوع».

وقال الشيخ محمَّد ياسين الفاداني المكي:

«العلاَّمة اللغوي المحقق الشيخ محمَّد بهجة بن بهاء الدِّين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبَيْطَار الدِّمَشْقِي، المُدَرِّس بالمسجد الحرام المكِّي سنوات.

مكث بمكَّة خمسة سنوات، ابتداءً من سنة (١٣٤٦هـ) مديرًا «للمعهد السعودي» ومُدَرِّسًا بـ «الحرم المكِّي». وقد حضرتُ دُرُوسَه بعد صلاة المغرب تحت الرِّواق جهة الرِّباط اليَمَانِي، عند باب إبراهيم، ثُمَّ قَدِمَ للمرَّة الثانية وأقام بالطائف ثلاث سنوات، مُديرًا «لدَار التوحيد السعودية»، وفي خلال هذه المدَّة انتهزتُ الفرصَةَ للاجْتِمَاع والاحتكاك به، وأخيرًا استَجَزْتُهُ الرِّوايَةَ فيما لَه، فأجازني وأجازَ زُمَلاَئِي لفظًا بجميع مَرْوِياته»[١].

---

(١) «قرَّة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين» (١/ ١١١ ـ ١١٣ ـ مخطوط)، و «الروض الفاتح» (ص١٤٤).

(إيقاظ): عذرًا في الانسياق في الإطالة في ترجمة الشيخ محمَّد بهجة البيطار وذلك لأمرين: =

الشيخ محمَّد بهجة البيطار
ومحبته ووفاؤه لشيخه القاسمي

قال الأُستاذ الجليل عاصم البيطار في تقدمة تحقيقه لـ «موعظة المؤمنين» للقاسمي ذاكرًا بعض أسباب تحقيقه له:

«الوفاء بحقّ أبـي رحمه الله؛ فقد كان تلميذًا للشيخ القاسمي، وكان ملازمًا له، شديد التعلُّق به، وقد كان للشيخ رحمه الله أثر كبير في والدي، غرس في نفسه حب السَّلفية، ونقاء العقيدة، والبعد عن الزَّيف والقُشور، وحُسن الانتفاع بالوقت، والثَّبات على العقيدة، والصبر على

= **الأول**: مكانته العلمية وقربه من القاسمي ومحبَّته الصادقة له.

الثاني: أنني تتبَّعت أخباره وما كتب عنه وما وقفت عليه من مقالاته وما يتعلق به؛ وزرت ابنه عاصم رحمه الله تعالى أكثر من مرَّة بغية إفراده بالترجمة، فأخبرني أنه كان يوجد في مكتبة والده ثمانية ملفات، رتَّبها هو بنفسه مشتملة على الرسائل المتبادلة بينه وبين العلماء، وإجازاته من شيوخه؛ حتى إنه قال لي: يوجد فيها مائة رسالة من محمَّد رشيد رضا، وقد آلت هذه الملفات الغالية إلى من اشترى المكتبة، وهو مركز علمي في إحدى دول الخليج العربي يُعنى بالثقافة والتراث، فسافرت لهذا المركز والتقيت بمؤسسه، وأخبرته عن مُرادي، فأبدى الترحيب في أول الأمر، ووعدني بتسهيل ذلك فإنَّه عنده وطوع يديه ولكنه بعد هذا اعتذر، وقال: لا نستطيع! فقلت له: إذا انتهيت من هذا العمل العلمي فهو هدية لمركزكم خدمةً لهذا العالِم الجليل؛ ولكن الجواب يعرفه كلُّ مَن جرَّب طلب النوادر لا المشهور الذي بأيدي الناس من هذا المركز، وقد حاولتُ بعد ذلك بطرق شتَّى وعدت فيها ــ والله المستعان ــ بخفَّي حنين، **فأين خدمة الإسلام والتراث** عند من كان هذا فعله؟! فكان هذا صارفًا لي عن إتمام العمل، فإنَّه لا بدَّ من الاطِّلاع على هذه المجاميع الخاصَّة به؛ ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

المكاره في سبيلها، ودفع كيد المفترين، ودعاوى المُبطلين بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكنت أشعر بسعادة والدي رحمه الله وهو يعمل فيما طبع من كتب شيخه، يُخرِّج الأحاديث، ويُقوِّم أخطاء الطباعة، ويكتب المقدمات، وكم كنت أراه يبكي وهو يعمل، ويبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي رحمه الله وأعلى غرفته في جنَّته».

وقال أيضًا: «لقد صحبت والدي عشرات السنوات، ولازمته في الحلِّ والتِّرحال، فما سمعته يذكر **القاسمي** مرَّةً في بيته أو في ملأ من قومه إلاَّ بقوله: شيخنا علاَّمة الشَّام أو شيخنا القاسمي، وما سمعته يذكره مرةً إلاَّ والبكاء يكاد يغلبه، لقد ترك **القاسمي** في نفوس طلاَّبه بل وفي نفوس كثير من الذين كانوا يَرِدُون مجلسه، وينهلون من معين أدبه وعلمه الثرّ أَثرًا باقيًا»[1].

وقال ظافر ابن الشيخ جمال الدِّين القاسمي:

«إنَّ مِن أعظم صفات شيخنا البيطار رحمه الله، رِقَّة الشعور؛ فقد كان لا يحتمل أن يرى أذًى ينزل بأحد من الخلق، وما جاءنا مُعَزِّيًا بأحد من إخوتي إلاَّ ودخل وعبراته تفيض، وحينما توفيت أمي، وهي زوج شيخه، مشى أمام الجنازة مع طائفة من شيوخ دمشق، والدمع يترقرق بين جفنيه، وما أعرف أنه ذكر شيخه مرة، خلال عمره الطويل المبارك إلاَّ وبكى، ولعلَّ من أواخر لقاءاتي معه في بيته

(١) «موعظة المؤمنين» للقاسمي (ص٦، ١٢).

بالميدان، وكان قد مضى على وفاة شيخه قرابة سبعة وستين عامًا، فإذا هو يذكره ويبكي[1]، كأن جمال الدِّين القاسمي قد توفي في ذلك اليوم نفسه»[2].

أرأيتَ أيضًا أيها الأخ المفضال كيف هذا الوفاء والمحبة الجامحة والمثل الشرود في استمرارها!

وإليك المثال من فرح وغبطة الشيخ محمَّد بهجة البيطار بالعمل في كتاب شيخه القاسمي «قواعد التحديث» يقول رحمه الله تعالى:

«في شهر ربيع الأنور سنة (١٣٥٣هـ)، الموافق لشهر تموز من صيف العام الفائت (١٩٣٤م) كلَّفني «مكتب النشر العربي» أَن أَقف على طبع كتاب من أَجلّ كتب شيخنا علاَّمة الشَّام، الشيخ محمَّد جمال الدِّين القاسمي الدِّمشقي رحمه الله تعالى ورضي عنه، أَلا وهو كتاب «قواعد التحديث، من فنون مصطلح الحديث». فشعرتُ أنَّ نسمةً من أَنفاسه الطاهرة قد هبَّت عليَّ، ودبَّت في جسمي دبيب دم الحياة في الهيكل البالي، وتمشَّت في أعضائي تَمَشِّي البُرْءِ في البدن السقيم، لَبَّيْتُ الطَّلب فرحًا مُستبشرًا، وشكرت «للمكتب» هذه اليد البيضاء التي

---

(١) وممَّن بكى لذكر القاسمي أمير البيان شكيب أرسلان حينما تُذْكَرُ شخصيَّته الآسرة، قال ظافر القاسمي ــ ذاكرًا عودة شكيب من أوروبة إلى بيروت وزيارته له ــ: «فلمَّا وقفت أمامه، وعرَّفته بنفسي، تسرَّب الدمع من مآقه، وضمَّني إلى صدره ضمًّا فيه كل معاني الحنان، وفيه كل معاني الوفاء، وأخذ يستعيد رحمه الله مجالس الشيخ وعلمه وفضله...» «جمال الدِّين القاسمي وعصره» له (ص٤٢١).

(٢) مقدمته لـ «كلمات وأحاديث» (ص٢٧).

اتخذها عندي، وكنت من قبلُ أرجو أن أَقوم لأستاذنا ولو ببعض حقه، وأَفِيَهُ ولو جزءًا يسيرًا من فضله.

أَصاب مِنِّي الكتابُ عطلةً من عمل، وسعة في الوقت ــ وإن اشتد القيظ في تموز وآب ــ فأخذت أقابله مع الأخ الأعزّ السيد ظافر ــ نجل المؤلف ــ ونقرؤه مرارًا قبل الطبع وبعده، ونراجع في كتب والده الإمام، ونُشير إلى مراجع «القواعد» وصفحاتها، وأنا أعلِّق على بعض الأحاديث حواشي، أُشير بها إلى مخرجيها ورواتها.

وقد قام الشيخان الفاضلان: الشيخ حامد التَّقي، والشيخ أَحمد الجبَّان ــ وكلاهما من كبار تلاميذ المصنف ــ بقراءة الكتاب بعد الطبع، بدقَّة وعناية، وإحصاء الأغلاط المطبعية لتصحيحها، فجزاهما المولى عن المؤلف وعنَّا خيرًا، ولا أَكتم القُرَّاء الكرام أنَّا بعد انقضاء عطلة الصيف، ضاق وقتنا جدًّا؛ فقد عاد السيد ظافر إلى مكابدة الدروس في «معهد الحقوق»، ودعتني «جمعية المقاصد الإسلاميَّة» الجليلة في بيروت إلى تولي تدريس العلوم الدينية في الفرع الديني الذي أَنشأته هذا العام، وفي جميع الصفوف الثانوية من كليَّة البنين، وإلى تدريس العلوم الدينية وتاريخ الأدب العربي والإنشاء والخطابة في كليَّة البنات. ثُمَّ دعتني «وزارة المعارف» الجليلة في سورية إلى تدريس الدِّين في الصفوف الثانوية من «دار التجهيز» والمعلمات بدمشق، فتمَّ لي الشرف هذا العام بخدمة المصرين الكبيرين: دمشق وبيروت.

ولكنَّني بفضل الله لم أَنقطع عن خدمة هذا الكتاب، بل صرت أراجع وأصحِّح في السيارة والقطار مساء كل ثلاثاء في طريقي إلى دمشق، ومساء كل جمعة في عودتي إلى بيروت، وفي حصص الفراغ القصيرة، وبعض ساعات النوم، وقد وفَّقني الله تعالى إلى إحياء ليالٍ متفرقة بالمراجعة والتصحيح، لم أَذق فيها منامًا، وقد اضطرّنا إلى ذلك استعدادُ المطبعة بعد انقضاء عطلة الصيف لإنجاز ملزمة من كتابنا كل يوم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات»[1].

وقال في أحد كتبه مثنيًا على شيخه القاسمي: «أُستاذنا الإمام، عالم الشَّام، وعلم الأعلام السيِّد جمال الدِّين القاسمي الدِّمشقيّ»[2].

ولمَّا تَرجم جده لأمه الشيخ عبد الرزَّاق البيطار للقاسمي في «حلية البشر»، كتب الشيخ هذه الكلمة في حقِّ شيخه القاسمي، وهي تدلُّ على أشياء مهمَّة حول شيخه من محافظته على الوقت، ومدَّة قراءته عليه وغير ذلك:

«كان علاَّمة الشَّام القاسميّ تغمده المولى برحمته ورضوانه آيةً في المُحافظة على الوقت، والمُواظبة على العمل، كان يُجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة، ومدوّنات السُّنَّة وشروحها، ومؤلفات أصول الدِّين،

(١) مقدمة «قواعد التحديث» (ص١٩، ٢١)، طبعة مكتب النشر العربي دمشق سنة (١٣٥٢هـ).

(٢) «نقد عين الميزان» للبيطار (ص٣).

وأمهات الفقه وأصوله، ومطوّلات التاريخ والأدب، وكُتُبِ المقالات والنّحل.

كان يمعن النظر في هذه العلوم والفنون، ويستخرج منها حقائق يبذل لها من نفيس وقته، وقوة قلبه، ما يشهد له به كل من وقف على مصنَّفاته، ورسائله التي كانت تتهاداها المجلات الكبرى في مصر والشَّام ولبنان، كـ «المنار» و «المقتبس» و «العرفان»، فكان ينشرها على صفحاتها إيمانًا واحتسابًا، ولم يكن يبتغي منها ولا مما يطبعه مستغلاًّ إلاَّ وجه الله والدار الآخرة. وكنت قلت في مقدمتي لكتابه «قواعد التحديث» الذي أعيد طبعه: إنَّ مما يقضي بالعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمه الله تعالى، هو كونه خلف زهاء مائة مصنف أو أكثر، ولم يبلغ الخمسين من عمره، وندر جدًّا أن ترى كتابًا مخطوطًا أو مطبوعًا في خزانته الواسعة، خاليًا من التعليقات الكثيرة، والتصحيح على الأصول الخطية الصحيحة؛ ولو طال عمره لرأينا من آثاره النافعة أكثر مما رأينا، ومن نفاسة تآليفه فوق ما شاهدنا، فإن الأُستاذ كان في تجدُّد مستمرّ، استمدّه مِن علوم العصر وحقائقه، وانكشف له به عن كثير من أسرار الشَّريعة وغوامضها.

ثم رجوت أن تُوَفَّق الأُمَّةُ إلى طبع ما اشتدَّت إليه الحاجة من مؤلفاته، لا سيَّما تفسيره الكبير الجليل، المسمَّى «محاسن التأويل» وقد تفضَّل المولى سبحانه وله الحمد والشكر، ويسَّر طبعه في دار إحياء الكتب العربية بمصر، ووقف على طبعه وتصحيحه، ورقمه، وخرَّج

آياته وأحاديثه، وعلّق عليه، خادم الكتاب والسنّة، العلاَّمة الأُستاذ محمَّد فؤاد عبد الباقي الشهير، وخصَّ كاتب هذه السطور بمراجعة المطبوع جزءًا فجزءًا، وتصويب الأغلاط المطبعية[1]، وهو ما يراه القارىء آخر كل جزء منه، وقد بلغ سبعة عشر جزءًا. وكان لي الشَّرف بالقراءة على المؤلِّف نحو أربع سنوات في العلوم الشَّرعيَّة والفنون[2] العربيَّة، فجزاه المولى عنَّا وعن الأُمَّة خير الجزاء»[3].

* * *

(١) قال ظافر القاسمي في آخر مؤلفه عن والده (ص٦٩١) شاكرًا الشيخ البيطار متابعته لطباعة هذا الكتاب: «وأما أُستاذنا علاَّمة الشَّام الشيخ محمَّد بهجة البيطار فقد أبى عليه وفاؤه لشيخه جمال الدِّين القاسمي إِلاَّ أن يقرأ الكتاب من أَلِفِه إلى يائه بعد الطبع، ليحصي الأخطاء المطبعيَّة فيه».

(٢) حدَّد الشيخ محمَّد بهجة البيطار أمكنة دراسته على الشيخ القاسمي فقال: «كنا أيام الطلب والتحصيل على علاَّمة الشَّام الشيخ محمَّد جمال الدِّين القاسمي نقرأ العلوم العربية والدينية والعقلية في فصل الخريف والشتاء في داره أو في السُّدة الغربية من جامع السِّنانية، وفي فصلي الربيع والصيف في غرفة عالية من مدرسة عبد الله باشا العظم» من مقدمته لـ«منادمة الأطلال» لابن بدران (ص ل)، الطبعة الأولى للمكتب الإسلامي سنة ١٣٧٩هـ). هذا وقد تفرَّس العلاَّمة القاسمي في تلميذه البيطار العلم والفضل فقال في إحدى رسائله إلى الشيخ محمَّد نصيف سنة (١٣٣١هـ): «الشيخ محمَّد بهجة البيطار، أحد مُلازمي دروسنا الليلية والنهارية، وهو ممن يرجى له مستقبل حسن إن شاء الله تعالى».

(٣) «حلية البشر» (١/ ٤٣٨، ٤٣٩).

٢ ـ الشيخ حامد التَّقي

الشيخ حامد التَّقي من أقارب الشيخ جمال الدِّين القاسمي من جهة النساء؛ فوالده الشيخ أديب التَّقي ابن خالة الشيخ محمَّد سعيد والد جمال الدِّين القاسمي؛ لازم الشيخ جمال الدِّين (١٧) عامًا، فأخذ عنه العلم، وتأدَّب بآدابه، وحمل دعوته، وقد رأيت كتبًا ورسائل كثيرة وإجازات من القاسمي لِمَنْ يطلبها منه بخطِّه.

وكان محبوبًا لدى أبناء الشيخ جمال الدِّين وأسرته، وهو يعتبر أكبر تلامذة القاسمي، وأكثرَهم له ملازمةً.

وقد حصل على إجازات علمية من أكابر بعض علماء الشَّام والواردين إليها، فمن الشَّام: الشيخ بكري العطَّار، ومحمَّد البيطار، وعبد الحكيم الأفغاني، وشيخه جمال الدِّين القاسمي ــ كما سيأتي ــ وغيرهم، ومن الواردين على دمشق: الشيخ محمَّد خضر حسين، والشيخ عبد الحي الكتاني، وعالم جان من قزان[١].

---

(١) جميع هذه الإجازات محفوظة في المكتبة الظاهرية برقم (١١٢٢٣).

وهذه ترجمة له بقلم أحد العارفين به وهو حسني كنعان الكاتب الأديب[1]، إذ يقول رحمه الله:

«كثيرون من الناس يحملون ألقابًا وكنى لا تنطبق على مزاياهم الخاصة وصفاتهم التي يتَّصفون بها، وقليلون من النَّاس يتحلّون بالمزايا العالية التي تحمل ألقابهم وكناهم، ومن هؤلاء القليلين: الحامد التَّقي التي افتقدته دمشق في يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وسبعة وثمانين هجرية[2].

ولقد كان لقبه ينم عن حمده وشكره لله على ما أولاه من نعم وفضل وآلاء وطاعة لخالقه، وكان تَقيًّا ورعًا، سلخ من عمره زهاء ثمانية وثمانين عامًا وهو مُكِبٌّ على الدروس والتدريس والتعليم والتوجيه والإفتاء، وكان يتحلَّى بصفات عالية أقل ما يقال فيها: إنَّها صفات العالِم الحامد الطائع التَّقي الورع.

---

(١) توفي في الثالث عشر من رمضان من عام (١٤٠٠هـ) بحادث سيارة، وقد كان من صفاته الوفاء لأصحابه، حدَّثني العمّ محمَّد سعيد القاسمي عنه وعن صداقته له ومحبته لآل القاسمي، كما ذكره الشيخ علي الطنطاوي في «ذكرياته» أكثر من مرة، وترجم له فيصل الشطي في مجلة «التمدُّن الإسلامي» (٤٧/٥٤٧ ـ ٥٥٤)، وأصل ذلك لقاء مع المترجم قبل وفاته.

(٢) قال عاصم البيطار في نهاية تحقيقه لـ «موعظة المؤمنين للقاسمي»، لما ورد اسمه في نهاية النسخ للكتاب: «الشيخ حامد التَّقي من أقدم تلامذة الشيخ المؤلِّف وأطولهم صحبةً له، وقد غلب عليه الزهد، وكان لطيف المعشر، صادق الودّ، له مشاركة حسنة في العلوم الدينية عامةً، ولكن أكثر انصرافه إلى الفقه، تُوفي رحمه الله في أواخر شهر حزيران عام (١٩٦٧م)».

وُلد عالِمنا بدمشق بحي باب الجابية سنة ألف ومائتين وتسعة وتسعين هجرية، وكان والده الشيخ أديب التَّقي عالمًا، فقيهًا، من العلماء المعروفين في مصرهم الذي خلد اسمه بكتابه مفتي الحنابلة الشيخ جميل الشطي عندما ألف كتابه «روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر»[1]. وكان خطيبًا من خُطباء مسجد الصَّابونيَّة مقابل الباب الصغير، وكان يؤم الناس بمسجد السِّنانية، ثم بمسجد النوفرة عند مدخل حيّ السمانة.

نشأ فقيدنا الحامد التَّقي في هذه البيئة العلمية، وكان والده يشجِّعه ويدفعه إلى طلب العلم.

وبعد أن أتم دروسه بكتاتيب الحي ـ التي كانت معدَّة لتلقين الأحداث في ذلك العصر ـ ختم القرآن، واتَّصل بحلقات التدريس التي كان يقيمها الشيخ بكري العطار بداره وفي مسجد بني أمية، وأخذ عنه علم المنطق وعلوم الآلات.

ثُمَّ اتَّصل بحلقة الشيخ جمال الدِّين القاسمي، علاَّمة الشَّام بحكم قرابته له، وأخذ عنه علوم تفسير القرآن، والحديث واللغة والنحو والصرف، وبقي مُلازمًا له طوال سبعة عشر عامًا، وكان أتبع له من ظلّه، أخذ عنه العلم الغزير، والأفكار المُتحررِّة، وكان يحبُّه حبًّا جمًّا، لا يذهب إلى مكان دون أن يكون الفقيد مُلازمًا له.

---

(١) (ص٤٨)، والمترجم له في هذا الكتاب هو جده أرسلان، فإن الشيخ حامد هو ابن أديب بن أرسلان بن حامد الشهير بالتقي، وقد توفي جدّه أرسلان سنة (١٣٠٠هـ).

وبعد وفاة القاسمي أصبح فقيدنا التَّقي المرجع الأوحد الذي يعود إليه العلماء في أقوال أُستاذه، ومن مزاياه الوفاء لشيخه.

ولقد عاشرته أكثر من أربعين عامًا يوم كنت مُعَلِّمًا وإيَّاه في مدرسة طارق بن زياد، وفي مدرسة البحصة التي سميت فيما بعد معاوية، وفي المدرسة الأمينية التي كان يديرها المرحوم الشيخ شريف الخطيب، ثُمَّ صحبته في مقاعد التدريس بكلية الآداب ببدء تأسيسها.

ولم يخلُ مجلس من مجالسه من ذكر أستاذه القاسمي وسوانحه العلمية، ومزاياه الحميدة، فهو ثقةٌ في رواية أخبار أُستاذه، وقد كان يُكنّ له المحبة والولاء، حتى إنَّ أُسرة القاسمي كانت على اتِّصال بفقيدنا يزورونه بداره ويتفقَّدونه، كما كان هو وولده البكر السيد رسلان على اتِّصال دائم بالأسرة القاسميَّة، كأنَّ الأُسرتين من فرع واحد وبيئة واحدة، حتى إنَّه كان في أيَّامه الأخيرة قُبيل وفاته يذكر شيخه، ويترحَّم عليه، ويدعو له بالغفران وسكنى الجنان.

كان أوَّل مَن أجازه بالتدريس والفتاوى هو شيخه القاسمي، ثُمَّ أجازه من بعده الشيخ محمَّد الخضر التونسي ــ شيخ الجامع الأزهر ــ قبل الحرب العالمية الأولى.

كان الناس يلجؤون إلى طلب العلم وينقطعون إلى التدريس فرارًا من الجندية، فدخل فقيدنا الاختبار طلبًا للفتيا والقضاء فنجح بالاختبار، وأجازه شيخ العلماء الشيخ سليم البخاري بالتدريس

والفتوى، كما أجازه علماء أهل عصره بموجب إجازات مدوَّنة ومحفوظة لدى أسرته، وأول منصب عُيِّن له منصب الفتوى بقضاء النبك.

ومن وفائه لشيخه: أنَّ فضوليًّا من الفضوليين سأله يومًا، ألم يوجد في دمشق علماء غير الشيخ جمال، فإنك لا تذكر منهم أحدًا مثل ذكرك لشيخك؟!

قال: بلى يوجد في دمشق كثير من العلماء، وهي كعبة قُصَّاد المنتهلين من موارد العلم، الظمأى لارتشاف ينابيعه، ولكنّ هؤلاء على كثرتهم لم يقم منهم أحد بجهد علمي مثل الجهود التي قام بها أستاذنا المرحوم، فكان مُدَرِّسًا وواعظًا، وخطيبًا ومُوجهًا، ومُصلحًا ومُؤلفًا، وقد ألَّف في علوم شتَّى عشرة ومائة مؤلف في شتَّى العلوم والفنون، وأشهرها: «تفسير القرآن» و «قواعد التَّحديث».

وكان إلى هذا يدرس بالمسجد للعامة وفي البيت للخاصَّة، والحلقة التي يعقدها في داره يؤمه فيها كبار الشخصيَّات السُّوريَّة الذين لهم صيتهم وشهرتهم بالأقطار العربية والعالم الإسلامي، أمثال السادة المرحومين: الأمير شكيب أرسلان، والشيخ طاهر الجزائري للمشاركة في التوجيه، وعبد الرحمن الشهبندر، ومحمَّد كرد علي، والشيخ جميل الشطِّي.

وكانت طريقة تدريسه محاربة البدع والضلالات، ونشر الإصلاح على مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية الموصوف بالسَّلَفِيَّة، ولهذا تراني

أذكر ما أعرفه عنه من هذه الناحية، أما غيره من علماء دمشق فقد كان علمهم محصورًا بطبقات خاصة من الناس.

فبهت الذي سأل وأُفحم، واعترف بفضل القاسمي اعتراف تلميذه التَّقي.

اشتغل فقيدنا بالتدريس مُعَلِّمًا بالمدارس الرسمية، وله فيها تلاميذ فضلاء، لا يزالون يقرُّون له بالفضل، ويعترفون له بغزارة العلم أمثال صديقينا الأُستاذين: علي الطنطاوي، ومحمود مهدي، وغيرهم من الفضلاء العاملين الذين لهم صولات أدبية في هذا العصر.

رحم الله فقيدنا الغالي الشيخ التَّقي، وعوَّضه الجنَّة، فلقد كان عَلَمًا من أعلام دمشق»[1].

وقال أيضًا واصفًا للقاسمي وكرمه مع طلبته:

«وكان جوادًا كريمًا على قلَّة ذات يده لا يكون تلاميذه في داره وقت الغداء أو العشاء إلَّا ويطعمهم ممَّا يأكل.

---

(١) مجلة «التمدُّن الإسلامي» (٣٤/ ٢٩١ ــ ٢٩٣).

(تنبيه): نسب الزِّركلي في «الأعلام» (٢/ ١٦٠) كتابًا لحامد التَّقي بعنوان: «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح»، والصواب أنه من تأليف محمَّد حامد الفقي المصري، وهو في الأصل محاضرات ثم جُمِعَت بعد ذلك وطُبِعَت. وذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات حامد الفقي موفق بن كدسة في مقال مطول عنه في مجلة «المشكاة» بجدة، العدد الأول (ص١٠١).

(تنبيه آخر): وهو أنَّ الزِّركلي جعل وفاته سنة (١٣٧١هـ)، والصواب أنه سنة (١٣٨٧هـ).

ومن طرائفه التي رواها تلميذه الخاص الشيخ حامد التَّقي أنه خجل منه ذات يوم عندما دعاه لمشاركته بالفطور. وادَّعى أنَّه قد أفطر في داره، فنظر إليه الشيخ رحمه الله نظرة الأب الشفوق وقال له:

يا شيخ حامد لا تجمع بين خلتين ذميمتين الكذب والجوع، فإنِّي قرأت في تقاسيم وجهك أنك تخفي عليَّ أمرك استحياءً وخجلاً منِّي، فتقدَّم وكُل، فالملهم والمطعم هو الله. قال الشيخ حامد: عندئذٍ شمرت عن ساعدي، وباشرت الأكل معه، وليست هذه اللفتة مقتصرة على الشيخ حامد وحده، وإنما كانت لتلاميذه كلهم على السواء.

ولهذا مات فقيرًا، ولم يتمكن لفقره من أداء فريضة الحج التي كان يتمنى نوالها»[1].

قال الشيخ حامد التَّقي: ومما سمعته من حكم سيدي الأُستاذ: «مَن لم يشتغل بالخير يشتغل بالشر ولا واسطة بينهما».

وقال أيضًا: ومما كتبه سيدي الأُستاذ لأحد الأُدباء: «أيُّها المُحِبّ، عهدي بهمَّتك العلوّ، وبوعدك الوفاء، وبعزمك النَّشاط، وبعمل من تُحِبّه الإيثار؛ فازدد كمالاً على كمالك، وخذ الترتيب في أعمالك».

وممَّا سمعته مِن سيدي الأُستاذ ما معناه:

«الحكمة في كون الحق سبحانه جعل نبيَّه ﷺ فقيرًا ليظهر صدق

---

(١) مجلة «التمدن الإسلامي» (٣٣/ ٤١٠، ٤١١)، وقد أخبرني كذلك بعدم حجّ العلاَّمة القاسمي حفيده العمّ محمَّد سعيد القاسمي.

مُتَّبِعه، ليكون اتِّباعه له خالصًا من شائبة شيء سوى اتباع الحق»[1].

* **وهذا مقال صغير للشيخ حامد التَّقي عن شيخه جمال الدِّين؛ يتَّضح لك منه مدى الصلة بينهما:**

«سألني سائل: من هو جمال الدِّين القاسمي؟[2]: فَإِنِّي رأيت شارعًا ومدرسة مسميين بهذا الاسم، وقد أُخبرت عنك أنك من تلاميذه، وأنك لازمته مدة طويلة.

فأجبت السائل قائلاً له: سأُخبرك عن حقيقة هذا الرجل الذي كان قدوةً حسنةً لكل من يريد أن يكون عالمًا عاملاً، إنَّه وُلد سنة (١٢٨٣هـ)، وتُوفي سنة (١٣٣٢هـ)، عاش من العمر تسعًا وأربعين سنة، نافت تآليفه على مائة، طُبِع منها ما ينوف على عشرين كتابًا، أمضى عمره بين الدروس والتدريس والتأليف، ونشر المقالات القيمة في المجلات والجرائد، كان يُقرىء في كل يوم عدة دروس خاصة وعامة بعد الصلوات مجانًا، وقد قسَّم أوقاته ما بين الدرس والتعليم والتصنيف والعبادةِ، فلا يمكن أن يصرف وقتًا من أوقات حياته في غير عمل نافع له ولأمته، كان بعيدًا عن الهزل، يغلب عليه الجد، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان مهاب الطلعة، حسن الهندام، إذا رآه حاسدوه ومناوئوه لا يسعهم إلاَّ تعظيمه واحترامه.

---

(١) من كرَّاس بخطِّ الشيخ حامد التَّقي فيه بعض مقالات القاسمي وإجازاته لمن طلبها من أهل العلم.

(٢) مجلة «التمدن الإسلامي» (١٩/ ٧٦٤، ٧٦٦).

ما رأيت طول عمري ـــ وقد تجاوزت السبعين ـــ من يُماثله تحقيقًا وعلمًا وأخلاقًا حسنة، وصدعا بالحقِّ بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان حسن الأداء والصوت عند تلاوته للقرآن الكريم في الصلوات والتهجد.

وكان لا يطلب من ناشر كتبه جزاءً ولا شكورًا، وكان يقول: إنَّما أريد نفع الأمة وإخراجها من الجهل إلى العلم، ومن الهمجية إلى المدنية الصحيحة، وقد ناله ما نال الأئمَّة من حُسَّادٍ ومناوئين للفضيلة، وممن يبغون هذه الحياة عِوَجًا، وممن يعترضون على كل شيء، ولا يأتون بشيء، وما جالسه أحد إلَّا عشق مجالسه، ولا سأله سائل إلَّا وجد عنده التحقيق وفصل الخطاب.

كان يُعْرِضُ عن الجاهل والمعاند ويدفعه بالتي هي أحسن، كان يقول لي دائمًا: عليك أن تسير سيرة الأئمَّة الأربعة وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم، فقد علَّمونا حُرِّيَّة الرَّأي بقولهم: إذا رأيتم قولنا يخالف قول رسول الله ﷺ، فاضربوا بقولنا الحائط، وقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه: ما جاء عن رسول الله ﷺ قبلناه، وما جاءنا عن الصحابة تخيرناه، وما جاء عن غيرهم فهم رجالٌ ونحن رجال، لم يدَّعِ أحدٌ منهم العصمة لنفسه، فقد روي عن الإمام مالك رضي الله عنه سئل عن عدة مسائل، فأجاب عن البعض ولم يجب عن البعض، فقال السائل: إذا سئلنا وقيل لنا: لماذا لم يجب مالك عما سئل عنه؟ فقال مالك: قولوا له: سئل عما لا يعلم فقال: لا أعلم.

وقد طُبع للمرحوم عدة مؤلفات، منها: كتاب «إصلاح المساجد من البدع والعوائد»، وقد قلت له: لماذا لم تؤلف لنا في البدع بدون التقييد بالمساجد؟ فقال لي: إنَّ أكثر البدع موجودة في المساجد، فينبغي العناية بالكثير قبل القليل.

وقد زاره أحد الأفاضل مستصحبًا مقالة منشورة في جريدة المؤيد فيها شكوك بالأُلوهية وطلب منه الجواب عنها، وقال: قد سألت فلانًا وطلبت منه الجواب عن هذه الشكوك، فقال: سأجيب عنها بالدرس العام، فقلت له: شكوك نشرت في جريدة، فينبغي الإجابة عنها نشرًا، فلم يقبل مني ما طلبته، ولذلك أتيتك طالبًا الإجابة عنها كتابةً، فأخذ منه تلك الشكوك وأجاب عنها مفصَّلاً في كتاب سمَّاه «دلائل التوحيد»، ذكر فيه عدة أدلة عقلية في إثبات الألوهية وفوائد مهمة، وقد طُبع هذا الكتاب مرَّتين بدمشق ومصر.

وقد طُبع له أيضًا بدمشق رسالة مهمة في بيان الطلاق الشرعي الواقع سماها: «الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس» قال لي: إني سمَّيتها الاستئناس لأجل أن يقرأها المتعصب والجامد، وإن كانت براهينها عندي قطعية، واستهلَّ تلك الرسالة بمقدمة خيالية جذابة ليتمم قراءتها المتعصب الجامد.

وله من المؤلفات التي لم تطبع «تفسير القرآن الكريم» في تسع

مجلدات[1]، وهو خير تفسير فيما علمت، التزم فيه بيان مطابقة الدِّين للعلم الصحيح، وبين فيه أن القرآن تكفَّل بمصالح البشر لمن تدبره حق التدبُّر، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة.

وكان داعية عظيمًا للعلم والحرية ونبذ التقليد الأعمى، وإرجاع مجد الإسلام ورفع شأنه، لذلك كان يتردَّد عليه ليلاً ونهارًا رجالُ الأُمَّة ومثقَّفوها كالأمير شكيب أرسلان، وزكي الخطيب، وعبد الرَّحمن الشهبندر، وسليم الجزائري، وعبد الوهاب الإنكليزي، وشكري العسلي وأضرابهم، وكانوا معجبين به لا يفارقونه.

وقد بلغني عن لسان الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» أنه قال أيام دولة الأتراك: لا يمكن أن تصلح الدولة العثمانية إلاَّ بأن يؤلف لها كتاب ديني عصري يقدَّم إلى مجلس الأمة، ثم بعد التصديق عليه، ينشر للعمل، ولا يستطيع أحد أن يؤلِّفه إلاَّ جمال الدِّين القاسمي.

وقد أخرج لنا تلاميذ، هم أركان العلم والعمل بدمشق وغيرها، منهم الأساتذة: محمَّد جميل الشطِّي، محمَّد بهجة البيطار، عز الدِّين علم الدِّين، توفيق البزرة، جودة المارديني، أحمد قشلان، محمود العطار، وشاعر بيروت وأديبها حسين الجارودي، وغيرهم.

---

(١) وقد طبع ـ بَعْدُ ـ بحمد الله مرارًا.

أذكر أنه وُسِّدَ إلي منذ خمسين عامًا وظيفة مدرِّس بمحافظة نائية عن دمشق، كان أهلها في ذاك العصر في منتهى الهمجية، فلما وصلت إليها، ووجدت من همجيَّة أهلها وبُعْدِهم عن المدنيَّة الصَّحيحة والدِّين، عزمت على ملازمة دروس المرحوم شيخنا المذكور جمال الدِّين القاسمي وفوائده وثقافته، فكتبت له عما عزمت عليه من الاستقالة وبينت له ما شاهدته مما وصفت، فأجابني: إني ما علَّمتك وما غذَّيتك بما غذيتك به إلاَّ لترينا آثار ما زرعناه فيك وتحقيق ما أملناه بك.

رحمه الله وأرانا في هذه الأمة أمثاله ممن يُقتدى بهم في العلم والعمل.

* * *

بحمده تعالى تم اقراؤه وتصحيحا
وتعليقا في مجالس متفرقة
من اعوام مضت كان آخرها
بعد عصر الاربعا ١١ شعبان
في حجرتنا بمدرسة عبد الله باشا
العظم بدمشق الشام وكتبه
الفقير جمال الدين القاسمي
عفا الله عنه بالتاريخ
المذكور عام ١٣٢٨

كان ختامي لهذا الكتاب
مع حواشيه على سيدي المرحوم
جمال الدين القاسمي في
التاريخ المذكور اعلاه
وكتبه حامد بن ديب التقي

قيد قراءة لحامد التّقي على القاسمي في آخر كتاب الروضة النديّة لصديق حسن.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين
وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.
أما بعد فقد طلب مني الأخ في الله تعالى. والداعي الى مرضاة الله.
الشيخ محمد صالح بن السيد أحمد الخطيب أن أجيزه بما تجوز لي روايته
فأجبته الى مطلوبه وأجزت له بقراءة الكتب الدينية. من
أصول وفروع. وبقراءة الكتب العربية.
كما قد أجاز لي علماء الشام الأعلام. وأساتذتها الأتقياء
العظام منهم الشيخ بكري العطار ومنهم الشيخ حسين الجسر
الطرابلسي ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمي ومنهم الشيخ عبد
الرزاق البيطار ومنهم الشيخ بدر الدين الحسني ومنهم
الشيخ عبد الحكيم الأفغاني ومنهم الشيخ حسين الغزي ومنهم
عالم جان القزاني وغيرهم وأوصيه بقراءة الكتاب العزيز
والسنة النبوية مع الفهم والعمل وأرجو منه أن لا ينساني
من دعواته الصالحة وأسأل الله تعالى أن يختم لنا وله
بالحسنى إنه سميع مجيب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.
والحمد لله رب العالمين،

في ٩٧ شعبان ١٣٦٣ سنة الف وثلاثمائة
وثلاث وستين هجرية

قاله بلسانه
ورقمه ببنانه
حامد التقي
الحسيني

صورة إجازة من حامد التَّقي لأحد تلاميذه.

٣ـ أحمد الجبّان

ولِد بدمشق سنة (١٣٠٢هـ)، ووفاته بها سنة (١٣٥٩هـ).

وقد كان من الملازمين للشيخ جمال الدِّين القاسمي؛ حتى وصفه زميله البيطار بأنه من كبار طلابه[١].

وقد أخذ أيضًا عن الشيخ طاهر الجزائري.

وكان مُكِبًّا على العلم، آخذًا بأطرافه، محبًّا لشيخه القاسمي، وكان يحضر من بعده جلسات طلابه الذين مضوا على طريقه.

كان برتبة مفتي آلاي في الجيش التركي، ثُمَّ صار خطيبًا في «جامع زيد بن ثابت»، ومُدَرِّسًا في «جمعية الإسعاف الخيري»[٢].

* * *

(١) انظر ما سبق (ص٢٤٨، ٢٥٩).

(٢) أفاده العمّ محمَّد سعيد القاسمي، وكذا ابن المترجم سعيد الجبان.

٤ ـ أحمد القشلان

وُلِد بدمشق سنة (١٢٩٨هـ)، وتُوفي بها في صفر سنة (١٣٧٨هـ)، وكان تاجرًا.

لازم القاسمي، وكان صديقًا للطفي الحفار[١].

قال الشيخ محمَّد العربي العزوزي في ذكره لمن لقيهم بدمشق: «ومنهم: الأُستاذ الفاضل المحب للعلم والعلماء الشيخ أحمد قشلان، فهو أدامه الله من عُشَّاقِ العلم والفضيلة، ما شغلته دنياه عن العلم واقتناء كتبه، له مكتبة عامرة بنفائس الكتب.

لازم شيخنا السيِّد محمَّد بن جعفر الكتاني مدَّة إقامته بالشَّام إلى أن سافر للمغرب، ولازم كثيرًا من العلماء قبله وبعده، وبيته لا يخلو من عالم فاضل مع كرم، وأكرمني مرارًا في بيته. . .

وهكذا مجالس الشيخ أحمد قشلان كلها علم وبركة، أدامه الله تعالى آمين»[٢].

---

(١) أفادنيه العم الشيخ محمَّد سعيد القاسمي.

(٢) «إتحاف ذوي العناية» للعزوزي (ص٦٦، ٦٧، مطبعة الإنصاف ببيروت، سنة ١٣٦٩هـ).

٥ ـ الشيخ توفيق البزرة

قال الشيخ حامد التَّقي مُترجمًا له:

إنَّ العلم يُرفَع بموت العلماء العاملين. كما أنَّ الوطنَ يُسْتَعْمَرُ ويخربُ بموت الرجال المخلصين. فقد أصيبت دمشق منذ أشهر[1] بموت مَنْ كان رُكنًا عظيمًا لحلِّ مشكلات، ونسف الخرافات التي طرأت على الدِّين الإسلامي، وهو منها بريء، وهو الشيخ توفيق البزرة.

إنَّ كلّ مَن صاحبه وصادقه وتباحث معه يعشقه ويتعلَّق به، بل لا يرى له مثيلاً في الإخلاص وحرية الرأي، وسعة الفهم، والبعد عن التقليد الأعمى.

كان رائدُه الحقَّ، وكان هدفُه الوصولَ إلى الحقيقة. لذلك كان لا يخشى في الحق لومة لائم.

كان همّه أن يُناظر ويُجادل أرباب المذاهب المخالفة للإسلام،

(١) توفي الشيخ توفيق رحمه الله تعالى صباح ١ ربيع الآخر سنة (١٣٧٣هـ) ١٩٥٣/١٢/٧.

وكذلك كان له ولع أن يُناظر ويجادل أرباب الفرق الإسلامية، التي خالفت الشريعة، وأخبر عنها الرسول ﷺ: «أنها من أهل النار».

فقد كان رحمه الله يترك جميع أعماله الخاصة ليكون عاملاً ومجدًّا في سبيل المصلحة العامة، وفي سبيل إفحام المُبطل بأسلوب جذَّاب، وألفاظٍ أدبيَّةٍ، وحُججٍ دامغةٍ، لم أرَ له نظيرًا في عصرنا الحاضر في تحقيق تفسير كتاب الله وفي الدَّعوة إليه.

قرأ في أول طلبه للعلم على الأساتذة المشهورين في ذاك العصر: الشيخ بدر الدِّين، والشيخ أمين السويد، والشيخ عطا الكسم، والشيخ محمود العطار، قرأ عليهم العلوم العربية والعلوم الدينيَّة.

ثُمَّ لازم عالم الشَّام الشيخ جمال الدِّين القاسمي، وقرأ عليه التفسير، وعلم الحديث، وغيرهما من العلوم، فبرع في التفسير والحديث، وتقدَّم على زملائه.

وكان القاسمي معجبًا بفهمه وحُسن إدراكه وقوة استنباطه، فأقبل عليه بكليته، وجعله محل رعايته، وكان يأخذ رأيه في معضلات المسائل العلميَّة.

ثُمَّ بعد وفاة شيخه سارَ على طريقته من الاشتغال بالعلم والدَّعوة إليه، مع المباحثة والمناظرة إلى آخر حياته.

فكان داعية عظيمًا لمذهب السلف، ولإرجاع مجد الإسلام، ببيان ما دخل على الإسلام ممَّا هو منه بريء، فكان لا يُبالي بكل

ما يناله في سبيل الدعوة إلى حقيقة الدِّين، أسوةً بالأئمَّة الأربعة، ومن مشى على طريقتهم.

ومِن لطائفه أنَّه كان يتباحث في مجلس عالم عظيم، فذكر ذاك العالمُ إشكالاً في تفسير آية من كتاب الله، ثُمَّ قال ذاك العالم: لم أجد أحدًا من المفسرين ذكر الإشكال والجواب؛ فانبرى الشيخ توفيق البزرة إلى جزء من التفسير في جانبه، وفتح مكانًا من الجزء ثُمَّ قال للأستاذ: إنَّ هذا المفسر تعرَّض للإشكال والجواب، ثُمَّ شرع بقراءة الإشكال والجواب عنه، فلمَّا أتمَّ القراءة قال له ذاك العالم: إنَّ هذا الجواب هو الجواب الفصل. فطلبتُ منه أن أرى الجواب من الكتاب فأعطاني الكتاب وتبسَّم، ففهم الجميع أنَّ هذا الجواب من الأُستاذ الشيخ توفيق المذكور، فقلنا له: لماذا لم تُصرِّح بأنَّ هذا الجواب من عندك؟ فقال: إنه لا يقنعكم إلاَّ جواب من كتاب مطبوع لرجل مشهور، فخجل ذاك العالم، وصار بعد ذلك إذا سمع جوابًا من الشيخ توفيق المذكور وأعجبه يصرِّح باسمه ويسجله في تفسيره للقرآن الكريم.

وكان شيخه القاسمي يقدِّمه ويميِّزه على أترابه وزملائه.

وكان يكتسب بعمل يده، فهو يعمل السكاكر ويبيعها فلا يتعيش بوظيفة، إنه يعيش حرًّا ويعمل حرًّا.

ومما شاهدت أني رأيته داعيةً عظيمًا للمشرب السلفي مع كل من يعامله في حانوته عند البيع والشِّراء، متى آنس من الواقف على حانوته

إصغاءً لكلامه وإنصافًا في المباحثة، فهناك يتوسَّع في الدعوة والإرشاد، زد على ما ذكرناه أني ما رأيت مثله وداعةً ومحبَّةً، وكان صبورًا على أسرته وإخوانه وزملائه وجيرانه.

إنَّ المرحوم شرع في أول طلبه للعلم بحفظ القرآن الكريم على الأُستاذ الشيخ كامل القصَّاب، فحفظه حفظًا جيدًا، ثم تعلَّم تجويده وحسن آدائه على الشيخ أبـي الصفا المالكي[1]، فكان أستاذُه معجبًا به جدًّا لإتقانه حسن التلاوة، ومخارج الحروف.

أمضى عمره وتجاوز السبعين في طلب العلم وقراءته والدعوة إليه.

اللَّهمَّ أثبنا على مصيبتنا فيه، وعوِّضنا مماثلاً له، إنَّك سميع مجيب.

حامد التَّقي»[2]

* * *

(١) هو أبو الصفا محمَّد بن السيِّد إبراهيم المالكي، تُوفي سنة (١٣٢٥هـ)، وطُبعت له رسالة بعنوان «فتح المجيد في علم التجويد»، تحقيق الشيخ محمَّد مطيع الحافظ بدار البشائر، دمشق سنة (١٤٢٨هـ).

(٢) مجلة «التمدُّن الإسلامي» (٢٠/ ٢٩١، ٢٩٢).

٦ ـ عبد الفتاح الإمام[1]

قال في مجلة «التمدُّن الإسلامي»[2]:

«الشيخ عبد الفتَّاح الإمام: جاءتنا كلمتا رثاء وتقدير للمرحوم العالم العامل المُخلص الأُستاذ الشيخ عبد الفتاح الإمام، الذي تُوفي يوم السبت العشرين من شوال سنة (١٣٨٤هـ)، إحداهما للأستاذ محمود مهدي، والثانية للسيد فيصل الشطي، نجملها فيما يلي:

وُلِد بدمشق سنة (١٨٧٧م) في حي الشاغور، وكان والده معلِّم صبية، عالمًا فاضلاً زاهدًا يحترمه أجلاء زمانه علمًا وفضلاً، وإنَّ ولده الشيخ عبد الفتاح كان سلفيَّ المنهج، ولذلك عانى كثيرًا ممن لا يعجبهم نهجه القويم، ولكن ذلك ما كان يزيده إلاَّ استمساكًا بمحاربة البدعة والخُرافة، والدعوة إلى الله على بصيرة بالحُجَّة والمنطق.

(١) ذكر لي الشيخ محمَّد سعيد القاسمي أنه كان من تلاميذ جدّه جمال الدِّين حيث حضر عنده في جامع السِّنانيَّة فأُعجب بدروسه وكلامه فلازمه من ذلك الحين، وكذا ذكره في ضمن تلاميذه حسني كنعان، كما سبق.

(٢) (٣٢/ ٧٤ ـ ٧٦).

ولقد شغله ذلك كله عن نفسه، فكان منصرفًا عنها وعن العناية بمأكله وملبسه ومهجعه لا يدل مظهره على نفسه الشاعرة، وفكره المتَّقد ــ كأنه في ذلك صنو العلاَّمة الشيخ طاهر الجزائري[1] ــ وصدعه برأيه ولو أغضب الناس وعادوه وآذوه.

اشترك في تأسيس «جمعية التمدُّن الإسلامي» ودعا إليها طويلاً في دور التأسيس، وله في بعض مجلدات «مجلة التمدُّن الإسلامي»، مقالات موقظة.

واشترك أيضًا في تأسيس «أنصار الفضيلة»، ورأس «لجنة الشبان المسلمين» فيها، وانقطع منذ سنين إلى التأليف وتوزيع الكتب، وكان عمله تبيانًا لمآثر الإسلام، وحربًا على المتحاملين وناقدي الإسلام الجاهلين، كما كان حملة دائبةً على المبتدعين والمضلِّين، وكان مشتغلاً بتفسير كتاب الله العظيم، وكلُّ ذلك بحرارةٍ وثبات وحجَّة ومنطق ووضوح، إذ كان واسع الاطلاع، صادق المحاكمة، رابط الجأش، وكان يُنفق ما كسبه في حياته على طباعة كتبه، بينما كان يقتِّر على نفسه، ليوفِّر ما ينبغي للدعوة الإسلامية، ولإحياء السُّنَّة، وإماتة البدعة، وهو في كل ذلك يدعو إلى الإسلام الصَّافي، وفهمه فهمًا

(١) قال الشيخ محمَّد سعيد الباني في ترجمة الشيخ طاهر الجزائري «تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر» (ص١٣٦، طبعة مطبعة الحكومة العربية السورية سنة ١٣٣٩هـ): «كان لا يعرف الرفاهية والنعيم فلا يبالي بطيب الطعام، ولين المضجع، وفاخر الثياب والرِّياش؛ فيرتدي الهدم والأطمار البالية بغير زينة ولا هندام».

صحيحًا للعمل به كذلك؛ إذ أدَّى الانحراف عن فهمه الصحيح ومنهجه القويم إلى تأخُّر المسلمين وضياع مجدهم، وهو في آرائه ونهجه صاحبُ مدرسة، ولعلَّ التاريخ ينصفه بعد الوقوف على ما تضمَّنته كتبه العديدة.

كان يقطن أواخر أيامه في غرفة علوية من العادليَّة الصغرى(١) قرب دار الحديث، فلا زوجة ولا ولد، تحيط به أكداسُ الكتب(٢)، كان يلفظ أنفاسه الأخيرة رحمه الله فقد عاش غريبًا، ومات غريبًا عن عمر يُناهز التسعين، قضاها في الدرس والتأمُّل والعمل الإصلاحي ثُمَّ الانكباب على التأليف.

من مؤلفاته ومطبوعاته:

١ ــ مولد عصري: محمَّد المثل الأعلى بالكمال الإنساني.

٢ ــ صوت الطبيعة ينادي بعظمة الله، على الأسلوب القرآني.

٣ ــ سيِّدنا محمَّد ﷺ المثل الأعلى في الكمال الإنساني.

٤ ــ العلم والعقل شاهدان بعظمة الله.

٥ ــ مؤتمر الأديان أو الخصائص المحمَّدية والمزايا الإسلامية.

---

(١) أوقفت هذه المدرسة بابا خاتون بنت أسد الدِّين شيركوه على ابنة عمها زهر خاتون بنت الملك العادل سنة (٦٥٦هـ)، وهي الآن سكن لطلاب دار الحديث الأشرفية. «خطط دمشق» لأكرم العُلبي (ص١٣٩، ١٤٠، طبعة دار الطباع، دمشق).

(٢) قال الشيخ الباني في «تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر» (ص١٣٧) عن شيخه الشيخ طاهر: «وكان فراشه محاطًا بسور من الكتب والأوراق».

٦ ــ السَّلام العالمي العام لا يتمّ إلَّا بالإسلام، الكتاب الذي لا بدَّ منه بهذا العصر.

٧ ــ القضاء والقَدَر ثابتان عقلاً وشرعًا والاكتشافات العلميَّة تشهد.

٨ ــ الجبر ضلال ومحال شرعًا وعقلاً والناس يشهدون.

٩ ــ الاكتشافات العلميَّة تشهد بالحِكَم البالغة التي بلغها سيِّدنا محمَّد ﷺ.

١٠ ــ المسلمون كيف تقدَّم الأوَّلون منهم، وكيف تأخَّروا، وكيف يستردُّون مجدهم.

١١ ــ بشائر الإسلام وخصائصه، نصوص صريحة من الكتب المقدَّسة عند الأُمم...

وغيرها[١].

وكان يقول: «كُلَّما قام عالِم مخلص يحذِّر العامَّة من البدع، قام في وجهه مائة دجَّال يُؤَوِّلون ويُحَرِّفون».

* * *

(١) ومن مؤلفاته كتابه في التفسير، المسمَّى بـ «التفسير العصري القديم»، قال تحت عنوانه: هو عصري ببيانه الواضح وبرهانه العلمي الجديد وهو قديم باتِّباعه منهج السلف، وهو في أربعة مجلدات لطيفة، طبع في المطبعة الشعبية بالصالحية بدمشق.

٧ـ محمود العطّار

قال الكاتب حسني كنعان:

«كنت بالأمس أَزور أحدهم، وهو الشيخ محمود العطّار المقيم بالمزة[1]، فاستفاض الحديث بيننا عن حلقة الفقيد الشيخ وتلاميذه، وتأثير دروسه الإصلاحية، وما عانى في سبيلها من عنتٍ ونصبٍ ومشقَّة، وهي مثل العقبات التي عاناها من قبله رجالُ العالم الإسلامي المُصلحون، فقال فيما قاله:

كنتُ فتًى في حدود الخامسة عشرة، وأنا أسمع بشهرة الشيخ جمال الدِّين وتأثير دروسه في الطبقة العُليا من مثقَّفي أبناء عصره، وكان يُلقي عليهم الدروس الإصلاحيَّة في بيته، وفي جامع السِّنانيَّة؛ فتولَّدَتْ في نفسي رغبةٌ للتعرُّف عليه، فيمَّمْتُ وجهي شطر المسجد بعد صلاة العشاء، فإذا بي أراه غاصًّا بأعلام البلاد الشَّاميَّة، وقادة الفكر

---

(١) قال لطفي الحفار: «السيد محمود العطار من رجال الرعيل الأول الذين جاهدوا في سبيل أُمَّتهم وبلادهم». مجلة «التمدن الإسلامي» (٣٣/ ٩٦٧)، سنة (١٣٨٦هـ)، وقد بحثت عن ترجمة فيما لدي من كتب فلم أجد له ترجمة، والله أعلم.

والإصلاح من المستمعين، ولم يكُ بالمسجد موطىءُ قدمٍ لإنسان، فدنوتُ إلى حلقته المعقودة حوله فلمحتُ فيها فرجةً فجئتها، وأخذتُ أصغي لأحاديثه الشائقة في تفسير بعض آي من الذكر الحكيم.

ففسَّر يومئذٍ آيتين إحداهما من سورة النجم، والثانية من سورة الكهف.

أما آية النجم فهي: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

فجاء في تفسيره قوله: «إنَّ بعض الناس يتشفَّعون بالأنبياء والأولياء والملائكة، على أنَّ هؤلاء لا تجوز شفاعتهم إلَّا بإذنٍ من الله، فالشَّفاعات والأدعية والنذور لا تجوز لغيره».

وأمَّا الآية الثانية التي فسَّرها من سورة الكهف: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٢].

فجاء في تفسيره قوله: «هنالك ناسٌ قد اتَّخذوا من الأنبياء والملائكة ورجال الدِّين أولياء من دون الله، على أنَّ الولاية لله الحقّ، ولا تجوز لغيره، فالاستغاثة والاستعانة والشفاعة لا تكون إلَّا له».

ثم روى حديث النبـي عليه الصَّلاة والسَّلام:

«يا فاطمة بنت محمَّد، سليني من مالي ما شئتِ، فإني لا أُغني عنكِ من الله شيئًا. . .».

وهناك آيات كثيرة في القرآن تحذِّر من الاستغاثة والقَسَم والتشفُّع بغير الله...».

قال الشيخ العطَّار: فأُعجبت بهذا التفسير أيَّما إعجاب، ولزمتُ حلقة الشيخ منذ تلك الليلة، وأصبحت أتبعَ له من ظلّه...

فوشى الواشون إلى والدي أنِّي ملازم لدروس الشيخ وفيها التضليل والزَّيغ والإلحاد على زعمهم.

فحاوَل والدي أن يقطعني عن الدرس فلم أَنقطِع، ثُمَّ خيَّرَني ما بين الدرس وما بين بقائي في داره، فرغبتُ في الدرس، وانقطعتُ عن دار أبي، وبقيتُ بعيدًا عن أهلي إلى أن زار والدي شيخي وحضر درسه فأُعجب به ورضي عني[1].

* * *

(١) «التمدُّن الإسلامي» (٣٣/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧، سنة ١٣٨٦هـ).

٨ ـ الشيخ رشيد بن محمَّد بن أحمد شميس

وُلِد بدمشق سنة (١٢٨٧هـ) وتوفي بها سنة (١٣٦٢هـ).

أخذ مبادىء العلوم عن الشيخ محمَّد سوار الشريف، والفقه الحنفي عن الشيخ أحمد كيوان، وقرأ التفسير والأصول والتوحيد على الشيخ جمال الدِّين القاسمي، نبغ في علم الفرائض، وعُيِّن إمامًا وخطيبًا في جامع الحيواطية.

وكان لا يأكل إلَّا من كسب يده في متجره بسوق الخياطين.

ومن تلاميذه العالِم المقرىء الجليل أبو الحسن الكردي[١].

* * *

(١) ترجمته في «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» لمطيع الحافظ ونزار أباظة (٢/٥٦٨)، ومقدمة كتابه «فرائد من علم الفرائض» (ص٢٥)، وقد اعتنى به حفيده صديقنا الأديب الشيخ أحمد فؤاد شميس حفظه الله تعالى.

٩ ـ محبّ الدِّين الخطيب

الكاتب الإسلامي المعروف، وُلد سنة (١٣٠٣هـ)، وتُوُفِّي سنة (١٣٨٩هـ).

صاحب المطبعة السلفيَّة ومكتبتها بالقاهرة، وصاحب مجلة «الفتح» و «الزَّهراء».

له مؤلَّفات في الدِّفاع عن الصحابة، وحقَّق العديد من الكتب والمقالات النَّافعة[1].

يقول محب الدِّين الخطيب في مقدمة الطبعة الأولى من كتاب «إصلاح المساجد» للقاسمي: «والسيِّد جمال الدِّين القاسمي رحمه الله مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا

---

(١) من مصادر ترجمته: «الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشَّام وأعلام من خريجي مدرسته» لعدنان الخطيب (ص٤١ ــ ٥١)، و «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٨٢)، و «مفكرون وأدباء من خلال آثارهم» لأنور الجندي (ص١٩٣)، و «نموذج من الأعمال الخيرية» لمحمَّد منير الدِّمشقي (ص٩٤ ــ ٩٦)، وقد ترجم له ترجمة حلوة ذكر فيها أدب وأخلاق محبّ الدِّين الخطيب.

الحاضرة في الثلث الأول من القرن الهجري الرابع عشر فنفع الله بعلمه وعمله ما شاء أن ينفعهم، ثمَّ انتقل إلى رحمة الله تاركًا من آثاره العلميَّة المطبوعة ما لا تكاد تخلو منه مكتبة قائل بالإصلاح في العالم الإسلامي».

وقد كان محبّ الدِّين صديقًا للدكتور صلاح الدِّين القاسمي شقيق الجمال القاسمي. يقول في إحدى رسائله إليه: «ذاكرين الليالي الجميلة التي جمعتني وإيَّاك بجامعة الصداقة والإخاء بين جدران جامع السِّنانيَّة، وفي حلقة الدرس الذي كان فقيد دولة الإصلاح جمال الدِّين يخترق فيه بحكمته سجف أرواحنا، وحجب أفئدتنا، فيبني هناك ما هدَّمه جهل مُعلمينا الآخرين من سعادة الإيمان وطمأنينة اليقين؛ جزاه الله عن الإسلام بأحسن ما يجزي الله به أولياءه...»[1].

* * *

(١) «آل القاسمي» لراقمه (ص٩٩، ١٠٠).

١٠ ـ محمّد بن محمود البَزم

أحد شُعراء الشَّام الأَربعة المعدودين[١].

قال زميله خير الدِّين الزِّركلي: «شاعر، أديب، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، كان واسع المعرفة باللغة، كثير المحفوظ من الشِّعر، أخذ عن بعض العلماء كالشيخ عبد القادر بدران، والسيِّد جمال الدِّين القاسمي، وحفظ عدَّة متون...»[٢].

قال البَزم في ذكر تطوافه على العلماء: «ثُمَّ لم أَلبث أن اتَّصلتُ بنابغة علماء دمشق السيِّد جمال الدِّين القاسمي؛ **فقرأتُ**

---

(١) والبقية هم: خير الدِّين الزِّركلي، وقد طبع ديوانه سنة (١٤٠٠هـ) في مؤسسة الرِّسالة، وخليل مَردم بك، أحد رؤساء المجمع العلمي العربي بدمشق، وقد طبع ديوانه في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٣٨٠هـ)، وأعادت طباعته دار صادر ببيروت سنة (١٤٠٥هـ). وشفيق جبري، وعنوان ديوانه: «نَوْحُ العَنْدليب»، وقد طُبع في مجمع اللغة العربية بدمشق. وأما ديوان البزم فقد طُبع في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق.

(٢) «الأعلام» (٧/ ٩١).

عليه في بضعة شهور شيئًا من العربيَّة والبلاغة والمنطق. . . »[1].

قال ظافر القاسمي واصفًا زيارة البزم لمجلس تلاميذ القاسمي في منزلهم: «فعجب لهذا المجلس، وفرح فيه وشارك في مذاكراته ببراعة تأسر الألباب، وأَخذ في نثر ذكرياته عن هذا البيت، وعن شيخه جمال الدِّين القاسمي، يوم كان يرتاده مع صَفِيِّه صاحب «الأعلام» الأُستاذ خير الدِّين الزِّرِكلي، وما كان يلقاه من شيخه من تشجيع وتنشيط، فكانت ذكرياته هذه من أَمتع الأحاديث وأحلاها التي سمعتها عن أبـي»[2].

ولمَّا توفي شيخه القاسمي رثاه بمرثية جزلة.

تُوُفِّي البزم سنة (١٣٧٥هـ).

* * *

(١) «محمَّد البزم شاعر العربية ونحويها» لإبراهيم الكيلاني (ص٧، منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق). وقال الدكتور أمجد الطرابلسي مُترجمًا للبزم، حينما ذكر تردده على علماء الشَّام: «ومنهم: الفقيه المحدث، الكاتب المُتدفق الرائد، المصلح المجدد، إمام الشَّام في عصره الشيخ جمال الدِّين القاسمي». مجلة «اللغة العربية» بدمشق (٤٧/ ١٩٩).

(٢) «مكتب عنبر» له (ص٥٧).

١١ــ خير الدِّين الزِّرِكلي

العَلَم المشهور صاحب الأعلام، الشاعر الكبير[١]، سبق قبل قليل الإشارةُ إلى أَخْذه عن القاسمي.

ولمَّا أَلَّف الشيخ جمال الدِّين كتابه «دلائل التوحيد»، وقد كان الزِّرِكلي في بيروت سنة (١٣٢٦هـ)، وكان صغيرًا ولم يلقَ القاسمي بعد، أرسل أبياتًا يُثني فيها على هذا الكتاب قال في مطلعها:

«سيِّدي الأُستاذ: إنِّي وإن كنتُ لم أَحظَ بالنظر إليكم، والمثول لديكم؛ فقد رأيتُ ما حزتم من جودة اليراع بكتابكم الذي كشف القناع عن وجه الإبداع، هو الكتاب الخليّ عن العي والحصر، ولا عجب إذا

(١) ترجم لنفسه في آخر كتابه «الأعلام». كما جمعت كلمات عنه في كتيب عنوانه: «خير الدِّين الزِّرِكلي» وهي كلمات لمجموعة من كبار الأدباء فيه في النادي العربي بدمشق سنة (١٩٧٧م). ثم طبع جزء من هذه الكلمات في عدد خاص عنه في مجلة الثقافة التي تصدر في دمشق سنة (١٩٧٧م). وقد أفرده أحمد العلاونة برسالة عنوانها «خير الدِّين الزِّرِكلي، المؤرخ الأديب الشاعر، صاحب كتاب الأعلام»، وهي مطبوعة في دار القلم بدمشق سنة (١٤٢٣هـ).

أَتى الدرُّ من البحر، فكأنَّه بدرٌ مُشْرِقٌ في ليل شديد، أو شمس بدت عقب احتجابها بسحاب مديد؛ فهو الدُّرُّ النَّضِيدُ الذي سَمَّيتموه بـ «دلائل التَّوحيد». . . ».

ومما قال فيها:

تأليفُ حَبْرٍ قد تسامَىٰ مَجْدُه   في المشرقين جمالُ دينِ الهاشمي
نجلُ الأَفاضلِ مِنْ أُناس قَدْ سَمَوا   سِبْط الفِخَام مِنَ الأُولى وأَعاظِمِ

وقال الزِّركلي في تعداد مكتبات المدينة المنوَّرة: «زار المدينةَ شيخُنا علاَّمة الشَّام جمال الدِّين القاسمي سنة (١٣٢٧هـ)؛ فأورد أسماء ٣٩ كتابًا اختارها من مكتبتي عارف حكمت والمحموديَّة»[١].

ولمَّا ترجم لشيخه القاسمي في «الأعلام» قال: «إمام الشَّام في عصره، عِلْمًا بالدِّين، وتَضلُّعًا من فنون الأدب، كان سلفيَّ العقيدة، اتَّهمه حَسَدته بتأسيس مذهب جديد في الدِّين سمّوه: «المذهب الجمالي»، فقبضت عليه الحكومة سنة (١٣١٣هـ) وسألته، فردَّ التّهمة، فأُخلي سبيله، واعتذر إليه والي دمشق».

هكذا عبارة الزِّركلي في «أعلامه» في طبعته الأولى[٢] وما بعد ذلك من طبعات كتابه، إلاَّ أنه زاد في الأخيرة ذكر كتاب ابنه ظافر

(١) كتاب «شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز» (٣/ ١٠٣٩).
(٢) المطبوع في مطبعته التي أسَّسها: المطبعة العربية بمصر سنة (١٣٤٥هـ) (١/ ١٩١).

عنه[1]، مما يدل على معرفته لمكانة هذا الإمام، وقد رثاه بعد وفاته بمرثية معبِّرة.

توفي خير الدِّين الزِّركلي في الثالث من ذي الحجة سنة (١٣٩٦هـ).

* * *

(١) (٢/١٣٥)، طبعة دار العلم للملايين.

الشيخ عبد العزيز السناني

* **ومن نجد: الشيخ عبد العزيز بن محمَّد السناني**، المتوفى سنة (١٣٢٦هـ).

فقد رحل إلى القاسمي وأَخذ عنه، وكانت بينهما مراسلات إجابة لما كان يسأل عنه السِّناني الشيخ القاسمي. انظر: «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» (ص٤١)، لراقمه.

* * *

١٣ ــ الشيخ محمَّد بن عبد العزيز بن مانع

* ومن نجد كذلك: العلَّامة الحنبلي الشيخ محمَّد بن عبد العزيز بن مانع، المتوفَّى سنة (١٣٨٥هـ).

فقد ذكر في ترجمته لنفسه التي نقلها عنه عبد الله بن محمَّد غازي المكي في «نظم الدرر» (ص٥٩ ــ مخطوط)[١]: «ثُمَّ سافر إلى دمشق الشَّام، واتَّصل بجماعة من العلماء، وتعرَّف بكثير من علمائها، ولازم الشيخ جمال الدِّين القاسمي، وأعطاه بعض مؤلَّفاته، وأوصاه بوصايا نافعة، ورغَّبه في طلب العِلم، وحضر أيضًا دروسه في البخاري».

وغيرهم...

* * *

(١) وكذا ذكر في ترجمته عبد الله البسام في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/١٠٤).

سيدي الأستاذ

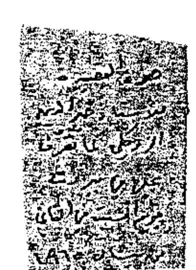
إني والله كنت لم أحظ بالنظر إليكم والمثول لديكم فقد رأيت ما حررتم من مجودة اليراع بكتابكم
الذي كشف القناع عن وجه الإبداع فهو الكتاب الخالي عن الغي والحصر ولا عجب إذ أتى الدر
من البحر فكأنه بدر مشرقه في ليل شديد أو شمس بدت عقب احتجابها بسحاب مديد
فهو الدر النضيد الذي سميتموه بدلائل التوحيد فهاجت بتقريظه بلابل الأفكار وقلت
فلم أبر في مدحه إكثار

دع ذكر ليلى والصبابة والهوى ... وأولي المحبة من صبور هائم
وذوات خدر بالعيون فواتك ... في كل قلب جاهل أو عالم
ربات جيد لؤلؤي ساطع ... يجلو الظلام ضياء ذاك الناعم
إن جئته في وعد بوصل أخلفوا ... وإذا وفيت فالمضحكة باسم
واعدل إلى طلب المعارف والعلا ... تحظى بفوز عند ربك دائم
العلم خير معارج يرقى بها ... أوج العلا فاطلبه لا بتعاظم
وإذا أردت العلم فابغ أجله ... كتباً ولا تحفل بقول اللائم
وعليك في سفر صغير حجمه ... وغزيرة فيه الفوائد باسم
يبدي لدى التوحيد خير أدلة ... كالصبح يمحو للظلام القاتم
تأليف حبر قد تسامى مجده ... في المشرقين جمال دين الهاشمي
نجل الأفاضل من كرام أماجد ... سبط الكرام من الأولى وأعاظم
داعي الهدى خدن التقى حسن الثنا ... بدر العلا قمر الملا والناظم
لا عجب من درر بيت من بحرها ... إن العجيب خلوها عن حاتم
للأبدا أرخته السعد رقى بدلائل التوحيد سبك القاسمي

١٦٥ ٨١٠ ٦١ ١٥٩ ٨٢ ٢٤٢

خ ز

١٣٢٦



صورة قصيدة خير الدِّين الزِّركلي في مدح كتاب «دلائل التوحيد» للقاسمي، وقد كتب تحتها ظافر القاسمي بخطه: «هذه القصيدة للأستاذ خير الدِّين الزِّركلي كما تعرَّف عليها في بيروت يوم السبت في الثاني من نيسان (١٩٦٥م)».

إجازات العلاّمة القاسمي

لبعض تلاميذه ومن طلبها منه

باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وأن أعمال
بني آدم وقوله يوزن وقال مجاهد القسطاس العدل بالرومية ويقال القسط مصدر المقسط وهو العادل وأما
القاسط فهو الجائر حدثني أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

بحمده تعالى قد تمت قراءة هذا الصحيح وإسماعه بعد عصر يوم الاربعاء سادس عشر شعبان في السدة اليمنى
العليا من حرم جامع السنانية سنة ١٣١٩ وحضر الختم مع مجالس قبله أخي وشقيق قاسم خير الدين
واتفق ان كان في الحلقة يومئذ ابني ضياء الدين وقد اجزت لهما ولمن حضر روايته وكتبه الفقير محمد جمال
القاسمي الدمشقي حامداً مصلياً

ثم أعدنا بحمده تعالى قراءته صباح الثلاثاء والجمعة دراية في جامع السنانية الى ان اتممناه صباح الجمعة في ١٢ ربيع الأول
سنة (١٣٣٠) وكتبه الفقير محمد جمال الدين القاسمي حامداً مصلياً

خاتمة «صحيح البخاري»

وعليها قيد قراءة للبخاري مرتين بخط القاسمي وإجازته لشقيقه وابنه ومن حضر.

إجـازاتـه

الإجازة في كتب الحديث وغيره من العلوم مِمَّا يحرص عليها أهل العِلم؛ وذلك لأنَّها تربطهم بكتب المتقدِّمين وأثباتهم ومشيخاتهم ومعاجمهم، ولذا حرص العلاَّمة الجليل الشيخ جمال الدِّين القاسمي على أَخذ الإجازات عن شيوخه، كما أنَّه لم يبخل على طالبيها، وذلك لمن رآه أهلاً لها ومتَّصفًا بصفات العِلم، ومن يقرأ في «فهرس الفهارس» لتلميذه العلاَّمة الكتَّاني يجد مجموعة من الأسانيد العالية الدِّمشقِيَّة تدور على الشيخ جمال الدِّين؛ فإنَّه كان يروي عن جماعة من كبار المُسندين في عصره.

يقول رحمه الله تعالى في مطلع «الطالع السعيد»: «... فدونك أيُّها المُتشوِّق للأسانيد المهمات، التي ضمَّت لباب ما في الأثبات، وامتازت بأسانيد نادرة، واتصالات باهرة، فقد امتنَّ الحق تعالى على عبده زيادة عن أسانيده الشَّاميَّة التي امتدت لها الأعناق من سائر الآفاق، باتِّصال سنده بأئمَّة الحجاز واليمن ومصر والمغرب، والهند والعراق، ممن شاعت مصنفاتهم في الرَّبع

المعمور، وأشرقت فضائلهم في الخافقين إشراق البدور...».

وقد رغب جمعٌ من أكابر علماء عصره من المغرب والحجاز والقاهرة وبلدان أُخرى في الرِّواية والأخذ عنه، ولهذا لمّا رأى هذا الحرص الأكيد، والنَّهم الشَّديد، في طلب هذا الشأن، ألَّف ثبته السَّابق «الطالع السعيد في مهمات الأسانيد».

ويُلاحظ في بعض هذه الإجازات علوّ أسلوب القاسمي وبيانه، وترسُّله في كتابتها.

وهذا أوان الشروع في ذكر ما وقفت عليه من إجازاته لبعض فضلاء عصره[1]:

* * *

(١) وقد أفردت إجازته لمحمَّد بن جعفر الكتاني، وعبد الحي الكتاني وأحمد شاكر بالطبع ملحقة برحلته إلى المدينة النبوية، وصدرت سنة (١٤٢٨هـ) بدار البشائر الإسلامية ببيروت.

إجازته
للشّيخ حامدِ التّقيّ الدّمشقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حَمْدًا لمن أجازَ ذوي الهِداية خَيْرَ إجازة، وأجاز حُمَاةَ السُّنَّةِ من مَعَرَّةِ البِدْعَةِ أعلى إجازة، فَسُبْحان مَنْ رَفَعَ الذين أُوتوا العِلْمَ درجاتٍ، ونَصَبَ لهم في بَواذخِ المَجْدِ أَشْرَف راياتٍ، وأشهدُ أن لا إِلهَ إلَّا اللهُ المَلِكُ العلَّام، ذو الجلالِ والإكرام، وأَشهدُ أنَّ سيِّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولهُ خاتمُ أنبيائه، ومُبَلِّغُ أَنْبائِه، سَيِّدُ ولدِ آدم، وسِرُّ هذا العَالم[1]، الآمِرُ بتبليغِ أخبارِهِ، والمُبَشِّرُ بنَضْرَةِ المؤدي لآثارِهِ، صلَّى الله عليه وعلى آله في كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وعلى تابعيهم بإِحسانٍ إلى يَوْمِ الدِّين.

أمَّا بعد:

فلمَّا كانَ عِلْمُ الحديثِ أَشْرَف العلوم قَدْرًا، وأَوضحَها نُورًا، وأَسْماها ذِكْرًا، وأَوْلاها بالتحمُّلِ والتَّلقِّي، وأَقْرَبَها للتَّدرُّج في فِقْهِ الدِّين والتَّرقِّي، كيف لا وهو تُرْجُمان القُرآن الكريم، ولُبَابُ الهَدْي النَّبوي

(١) هذه كلمة لا دليل عليها من صحيح السنَّة وكلام الأئمَّة المتبوعين.

القَويم، وبه تتميَّزُ جادةُ الاتباع عن مُنعَرَج الابتداع، وكان من المُتداول طلبُ اتصال سِلْسِلَة السَّنَدِ إليه، أو التَّشَرُّفِ بالتعويل في الاستجازة عليه، وقد رَغِبَ في تحصيل الإجازة ذوو الهِمَم العالية، وتشوَّفوا لها ولو من البلادِ النَّائية، حُبًّا في جَمْعِ شَمْلِ الأَرواحِ، إذا نَأَتِ الدِّيار بِوَصْلِ الأَشْبَاحِ.

والإسنادُ أثره الخلف عن السَّلَفِ، وسِرُّهُ مِنْ فَنِّ التَّاريخ مُقْتَطَف؛ لإفادتِهِ طبقات الشيوخ، ذوي المقامِ والرُّسوخِ، وتحقيق المُعاصرة واللُّقي النَّفيس، ورفع التَّلبيس والتَّدليس، وبقاء السَّلسلة التي كان منوطًا بها أولَ هذا الشَّان، وأَضحت بها أركانُ السُّنَّة مُشيدةَ البُنيان، على ما في الإجازة من الإذن في الرِّواية، للتَّشمير عن ساعد تحقيق الدِّراية.

وإنَّ ممَّن رَغِبَ في نَيلها، وتَشَبَّثَ بأَذيالِ أهلها، الشَّابَّ النَّجيب، والكاملَ اللَّبيب، المُثابرَ على طَلَبِ العِلم في الليل والنَّهار، والمُجدَّ في التَّفقُّهِ والتَّفنُّنِ والاستبصارِ، قَريبَنا ومُصاحِبَنا الشيخ حامد بن الشيخ أديب بن الشيخ أرسلان الشَّهير كسَلَفِهِ بالتَّقيّ، أوْرَدَهُ الله من مشارِعِ العِرْفان كُلَّ مَنْهَلٍ نَقيٍّ، وقد استجازَ من فُضلاءِ شامِهِ، ونُبَلاءِ أَعلامِهِ، ورامَ مِنَّا التَّعزيز، لما به أُجيز؛ فاعتذرْتُ بأنِّـي لست من أهلِ هذا الشَّان، ولا من فُرسانِ هذا الميدانِ؛ فأَلَحَّ عليَّ بمطلوبه، وما انفكَّ عن مرغوبِهِ.

فحينئذٍ أَجبتُهُ، وبما يروم أَسعفتُهُ؛ قيامًا بِحَقِّ القَرابَةِ، واحترامًا لمقام الصَّحابَةِ. فَلْيَرْوِ عنَّا ولدنا المذكور، ضاعَفَ اللهُ لنا وله الأُجور،

جميعَ ما تَجوزُ لنا روايته، وتُنْسب إلينا دِرايته، مِمَّا رَويناه عن الأساتذة المُحَقِّقين، والجَهَابِذةِ المُسْندين:

منهم: مُسْنِدُ الشَّام العلاَّمة الشيخ سليم العطَّار، وكَوْكَبُ الأعلامِ مُفتي دمشق: السَّيِّد محمود أفندي الحمزاوي بروايتهما عن مُسْنِدِ عَصْرِهِ الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري بأسانيده المُقررة في «ثبته». ح.

ومنهم: علاَّمة المعقول الشيخ محمَّد الطَّنْطاوي ثُمَّ الدِّمشقيّ، عن شيخه العلاَّمة الباجوري، عن الأمير الكبير الأزهري بأسانيدِهِ في «ثبته». ح.

ومنهم: أميرُ العُلماء، وعالِمُ الأُمراء، العارف الجليل الأمير المُجاهد السَّيد عبد القادر الحَسَني الجزائري، ثُمَّ الدِّمشقيّ؛ فقد دخلتُ في إجازته العامَّة، وهو يروي عن والده السَّيد محيي الدِّين، عن السَّيد مُرتضى الزَّبيدي «شارح القاموس» و «الإحياء»، وأسانيدُه معلومة من مسنداته، وسُقْتُ نُبْذَةً منها في «ثبتي». ح.

ومنهم: نادِرَةُ العَصْرِ العلاَّمة الشيخ بكري العطَّار، عن والده الشيخ حامد، عن والده الشَّهاب أحمد بأسانيده في «ثبته». ح.

ومنهم: صُوفي زمانِهِ، وعلاَّمَةُ أقرانه الشيخ محمَّد بن محمَّد الخاني النَّقْشبندي، عن والده الشيخ محمَّد، والعلاَّمة الشيخ إسماعيل البَرْزنجي، كلاهما عن علاَّمة الدُّنيا ومرشدها الشيخ خالد الكردي النَّقشبندي ــ نزيل دمشق قُدِّسَ سِرُّه ــ بأسانيده المذكورة في «ثبتي». ح.

ومنهم: ريحانَةُ الألباء سَيِّدي الوالِدُ الماجِدُ السَّعيد، عن والده العلاَّمة فقيهُ الشَّام ونادِرَتُها سيِّدي الجَدّ الأمْجَد الشيخ قاسم الشَّهير بالحلاَّق، وهو يروي عن الشيخ عبد الرحمن الكُزْبَرِي، وعن خالِ جدَّتي لأبـي العلاَّمة السَّيد الشَّريف الشيخ صالح الدَّسوقي الحُسيني، وهو يروي عن الشَّمْسِ مُحَمَّدِ الكُزْبَرِي بأسانيده في «ثبته».

ويروي الجدّ أيضًا عن والد أُستاذه المنوَّه به أبـي البركات أَوْحَدِ العُلماء الأخيارِ الشيخ محمَّد الدَّسوقي نَسبًا، الحُسيني الدِّمشقي، وقد سُقْتُ بعض أسانيده في «ثبتي».

ومنها: عن شيخه الشَّمْسِ الكُزبري.

ومنها: عن شيخه الشيخ علي السُّليمي الصَّالِحِي، عن العارف الشيخ عبد الغني النَّابلسي، عن النَّجم الغزي، عن والده البدر، عن القاضي زكريا، عن الحافظ ابن حجر، وأسانيده معروفة.

ويروي سيِّدي الوالد قُدِّسَ سِرُّهُ بالإِجازةِ العامَّةِ عن الشيخ عبد الرحمن الكُزْبَرِي، والشيخ حامد العطَّار، والشيخ عبد اللطيف مُفتي بيروت، فإِنَّهم جميعًا أجازوا أهل عصرهم كما بَيَّنْتُ ذلك في «ثبتي». ح.

ومنهم: مُرْشِدُ السَّالكين السَّيد محمَّد القاوقجي الطَّرابلسي، فقد كاتبني بالإِجازةِ من طرابلس الشَّام، وهو يروي عن جماعة منهم: الشيخ محمَّد عابد السِّنْدي المدني صاحب الثَّبت الكبير المسمَّى بـ «حصر الشارد». ح.

ومنهم نُخْبَةُ الفقهاء الشيخ محيي الدِّين اليافي مفتي بيروت مُكاتَبَةً منها، وهو يروي عن عُمْدَةِ الأعلامِ السَّيد محمَّد عابدين بأسانيده المَبْسوطة في «ثبته». ح.

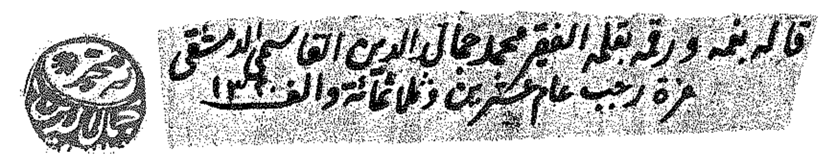
ومنهم: بهجة الأفاضل السَّيد نُعمان خير الدِّين الآلوسي البغدادي مُكاتبة، ومن عواليه روايته عن الإمام الشَّهير مُحيي السُّنَّة وكُتُبِها السَّيد الشَّريف صديق حسن خان الحُسيني أمير المُلك ببهوپال، وأسانيده مبيَّنة في «ثبته». ح.

ومنهم: غير هؤلاء من الأساتِذَةِ الكرام.

وقد استقصيتُ من رويتُ عنه، واستجزتُ منه، ودخلتُ في عُمومِ إجازته مع بدائعِ التَّسلسُلات، ونفائسِ الاتصالات في «ثبتي» الذي سمَّيتُه: «الطَّالِعُ السَّعيد في مهماتِ الأسانيد».

فليراجع المجاز إليه، وليُعوِّل عليه، فَتَح الله لنا وله أبوابَ رحمتِهِ، وحَشَرَنا في زُمرَةِ صالحي عِبَادِهِ وخيرتِهِ، والمأمول أن لا ينساني وأولادي من دعائِهِ.

خَتَمَ الله لنا وله بما خَتَم لأوليائِهِ، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحَمَّد النَّبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



إجازته
للشيخ عبد الجليل الدرّا(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أجاز مُتبعي الصِّراط السَّويّ خَيْرَ إجازة، وَسَهَّلَ لذوي الجِدِّ والاجتهادِ في العلوم مِن الفتح اللّدني مُجازه، فتفجرت من قلوبهم يِنابيعُ العِرْفان، فأوْضحوا حقيقته ومَجازه، وأشهد أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، الذي أكملَ لنا دين الإسلام، وأَتَمَّ علينا النِّعْمَة به غاية الإتمام، وأشهد أن سَيِّدنا محمدًا

(1) هو الشيخ الفقيه عبد الجليل بن سليم الدرّا، فقيه حنفي المذهب، أخذ عن الشيخ محمَّد بن جعفر الكتاني، واتَّصل بالشيخ محمَّد المبارك الجزائري الدِّمشقي، ولازم الشيخ محمَّد بدر الدِّين الحسني، له كتاب بعنوان: «كشف الظُّلمة والغُمَّة بجمع كلمة الأُمَّة»، تُوفي سنة (١٣٦٦هـ). انظر ترجمته في: «منتخبات التواريخ لـدمشـق» للحصنـي (٢/ ٩١٠)، و «إتحـاف ذوي العنـايـة» للعـزوزي (ص٦٠)، و «الـدر الكميـن فـي علمـاء دمشـق» سنـة (١٣٤٠هـ) (ص٣٧)، لمحمَّـد جميـل الشطي؛ وذكر فيه أنه استجاز بعض الوافدين على دمشق.
وهو شيخ شيخنا ومجيزنا الشيخ الخطيب الجليل أحمد نصيب المحاميد، المُتوفى بدمشق غرَّة شعبان (١٤٢١هـ) عن ٩١ عامًا رحمه الله تعالى.

عبده ورسوله خاتم النَّبيين، وقائد الغُرِّ المُحَجَّلين، المُبَلِّغ جميع ما أُوحي إليه من ربه المالك، والتَّارِك أمته على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلَّا هالك، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب الزَّاهِرَة، المُبلغين هَدي النَّبِـي ﷺ وسنَّته الطَّاهرة، وعلى التَّابعين الواقفين على قَدَم الاتِّباع، والمُجاهدين بِسِنانهم ولِسانهم دُعاة الابتداع، وعلى تابعيهم من الأئمَّة الأمجاد، النَّاقلين الهَدْي النَّبوي بصحيح الإسناد، وعلى من اقتفى آثارهم من أَنْصارِ السُّنَّة والدِّين، إلى يوم الدِّين، ما تحلَّت طلَبة العلوم بالاتِّصال بِكُمَّلِ الرِّجال، وأَشرقت المجالس الحديثية بكواكب الأسانيد العَوال.

أمَّا بعد:

فإِنَّ خَيْرَ ما بُذِلت فيه الهِمم الصَّالِحَةِ، وأشرفَ ما سعت له ذو الأحلام الرَّاجِحَة، طلبُ العلم الشَّرعيُّ، والسَّعيُ في تحصيله بشرطِهِ المَرْعي، ثُمَّ الدَّأبُ على قراءته وإقرائه، وإدمانُ المُذاكرة في دقائق أنبائِه، وصَرْفُ عزيزِ الوَقْتِ في اقتطاف فوائِده، واقتباسِ نفائِس فرائِده، ومُصاحبةِ الأساتذة النَّاصحين، من أهل التَّحقيق الصَّالحين، وتلقِّي المُهمَّات عنهم، وضبط الدَّقائِقِ مِنْهُم، ومن أعلى ذلك تلقي أُمَّهات الدِّين، أعني الصِّحاح والسُّنَنَ ثُمَّ المَسانيد ونحوها من كُتُبِ المُحَدِّثين، تلقيًّا مَقْرونًا بالفَهْمِ الصَّحيحِ، والضَّبْطِ الرَّجيح، ومُراجعة مواد اللُّغة، وأسماءِ الرِّجال، والاعتماد على فقه السُّنَّةِ، واستنباط ذوي الكمال؛ فإنْ حصلَ للطَّالب هذا السَّماع بشروطه المُحَرَّرَة، فقد نال من

التَّحَمُّل أَسمى مراتبه المُقَرَّرَةِ، وما على ذي الهمة الأَبية بأن يكون من أهل هذه المَزِيَّةِ.

ولما كانت الإِجازة المُجردة كالسَّماع في الوصلة العالية، وعوَّل الجمهور على أنَّها من أنواع التحمُّل الثمانية؛ بالانتظام في عقد مُسْندي الحديث خيار النَّاس من الأوائل والأواخر، وفي الحصول عليها بركة الوصول إليها.

وإنَّ ممَّن رغبَ في ذلك، وأخذ يَنْهجُ في تحصيلها أقْرَب المَسَالك، الشَّابَّ النَّجيب والشَّهْم اللبيب، الشيخ عبد الجليل بن الشَّيْخِ الصَّالِحِ الشَّيْخِ سليم الدُّرة، أنالهُ الله في شؤونه المَبَرَّة، فقد أطلعني على من أجازه من الأفاضل ذوي الفضائل، ورام تعزيز ذلك بإِجازة من الفقير، ظنًّا منه بأنِّي من أهل هذا المقام الخطير، فاعتذرتُ منه وأبيتُ، فأكَّدَ الطَّلَبَ وأعرض عما أبْديت، ولمَّا رأيتُ الإِجابة لازمة أسعفته بمرغوبه، ووافقته على مطلوبه، وأجزتُ له روايةَ مسموعاتي، ومُصَنَّفاتي ومَرْوياتي، مما اتَّصلت لي روايته عن الأساتذة الأعلام، ما بين دِمشقيينَ وغَيْرِهِم بَوَّأَهُم الله دار السَّلام.

ومن عوالي ما وصل لي من ذلك ما أرويه عن الأُستاذين الجَليلين، والعلاَّمتين الكبيرين، السَّيِّد محمود أفندي الحَمزاوي مُفْتي الشَّام إجازةً، والشيخ سليم أفندي العطَّار سَماعًا، بروايتهما عن الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبَري، عن الشَّيخ صالح الفُلاَّني المدني بأسانيده المُقررة في «ثبته».

ومنها: عن سيدي الوالد الماجد الشيخ محمَّد سعيد أبـي الخير رضي الله عنه وأرضاه، وجعل في الفردوس مقيله ومثواه، عن جدِّي أبـي البركات العلاَّمة الشيخ قاسم بن صالح الشَّهير بالحلاَّق، عن جَدِّ جَدَّتي أبـي اللُّطف العَالِم الكبير والولي المُرْشِدِ الشَّهير الشيخ محمَّد بن محمَّد الدُّسوقي نَسَبًا الدِّمشقي، عن العلامة الشيخ علي السُّليمي، عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النَّابلسي بأسانيده المعلومة في أثبات الشيوخ.

ومنهـا: عـن شيخنـا العـلاَّمـة المُحَقِّـقِ الشيـخ محمَّـد الطَّنْطـاوي إجازةً، عن الشيخ إبراهيم الباجوري شيخِ الأزهر، عن الأمير الكبير بأسانيده المُقَرَّرة في «ثبته».

ومنها: ما أرويه عن العلاَّمة السَّيِّد نُعمان خير الدِّين الآلوسي البَغْدادي مُكاتبة، عن الإمام الطَّائِرِ الصِّيت في الآفاق أميرِ المُلك السَّيِّد صدِّيق حسن خان القَنُّوجي البُخاري، عن الشيخ عبد الحقِّ بن فضل الله الهِنْدي، عن شيخه العلاَّمة المُجتهد الرَّبَّاني قاضي قُضاة القُطْرِ اليماني محمَّد بن علي الشَّوْكاني بأسانيده المُقرَّرةِ في «ثبته».

وعن الأُستاذ المُرْشِدِ المُربـي الشيخ السَّيِّدِ مُحَمَّد بن السَّيِّد خليل القَاوقْجي الطَّرابلسي مُكاتبة، عن شيخه المُسْنِدِ الشَّهير مُحَمَّد عابدِ السِّنْدي المَدَني صاحب الثبت الكبير المسمَّى «حصر الشارد».

هذا وتتمَّة طرق التَّسلسلات للفقير قد أودعتها في شرحي على الأربعيـن المسمَّـى بـ «الفضـل المُبيـن، علـى عِقْـد الجَـوْهَـرِ الثَّميـن»،

فالمرجع في نوادر أسانيدي إليه، والمُعول في تعداد بقية أشياخي وبدائع الاتصال عليه.

وأرجو من المُجاز أن لا ينساني من صالح الدعوات، سِيَّما في مظانِّ الإجابات، زاده المولى عناية في تحصيل العلوم والكمالات.

كتبه الحقير

محمَّد جمال الدِّين القاسميّ الدِّمشقي

في تاسوعاء الحول التاسع عشر بعد الثلاثمائة وألف

ضحوة الجمعة، حامِدًا مُصَلِّيًا

إجـازتـه[1]
للشيخ مُصطفى الغلاييني[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـدُ لله الـذي زَيَّـنَ الكـون بـالعُلمـاءِ، ونَـوَّرَ العـالـم بِحكمَـةِ الحُكماءِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّد خاتَم الأنبياء، وإمام الأَصفياء، وعلى آلِـهِ وصحبِهِ الأجلَّاءِ، ما اتَّصلت المَسانيد بأئمةِ الأَثرِ الكُبَرَاءِ، وعَطَّرَ أريجُ ذِكْرِهم سائِرَ الأَرجاءِ.

أمَّا بعد:

فلما كانت الإجازةُ من سُنَّةِ المُحَدِّثين؛ لأن بها الوَصْلَةَ بالسَّلَفِ

---

(١) هذه الإجازة بخطِّ الشيخ حامد التَّقي، وقال في مطلعها: «صورة إجازة سيدي الأُستاذ إلى الشيخ مصطفى الغلاييني، من علماء بيروت في رجب سنة (١٣٢٥)».

(٢) هو الخطيب الكاتب الأديب الشاعر مصطفى بن محمَّد سليم الغَلاييني البيروتي، أسس مجلة «النبراس»، له عدَّة مؤلفات من أشهرها «جامع الدروس العربية» وهو أحد أعضاء المجمع العربي بدمشق، تُوفي سنة (١٣٦٤هـ)، وكان بينه وبين العلاَّمة القاسمي مراسلات. ترجمته في مجلة «المجمع العلمي العربي» (٢٠/ ١٩٠)، و «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٤٥).

الصَّالِحينَ، وتُعْرَفُ طبقاتُ القُدماء ومن عاصرهم أو لَقيهم من العُلماء، وذكرى أن الدِّين مُتَّصلُ التَّسَلْسُلِ بالرِّجال الأبطالِ، وأن مروياته مُتلقاةٌ بالسَّنَد الموصول بالعُدول أُولي الكمال، وأن لا انقطاع في تلقِّي شَرْعِهِ المُصانِ كما وُجِدَ فيما سواه من الأَديانِ، وهذا معنى ما قاله بعض السَّلَفِ النُّبلاءِ: الإِسنادُ مِنَ الدِّينِ، ولولاهُ لقالَ من شاء ما شاء.

ولا يقدر أن يجد أحدٌ من المِلل الأُخرى، سَنَدًا مُسلسلاً في مأثوراتِهِم أو من به أَدرى، فالإِسنادُ من خصائِص الشَّريعة المُطَهَّرَةِ، ومُتفرِّداتها المُوقرة، وبه عُصِمَتْ من التَّلبيس، وحُفِظَتْ من الحَشْوِ والتَّدْليس؛ إِذْ لا يقبل أثر إلاَّ بمعرفَةِ رُواته، ثُمَّ بالوقوف على رُتْبة ضعافِهِ وثقاتِهِ.

فبالسَّند يتفاوت الخبر قبولاً وردًّا، ونَبْذًا وشدًّا.

وقد بقي مَحَبَّةُ الصِّلَة بهم، وتوثيقُ العُرى بسببهم لِحِفْظِ تلك المزيَّةِ، ورعايَةِ مكانتها العليَّة.

لذا نجد الرَّغباتِ متَّجهةً في كُلِّ آنٍ إلى استجازة ما ذَخَرَهُ الأَئمة من الآثارِ العليَّة الشَّان.

وقد رَغِبَ صَفيُّنا ذو الآثارِ المُفيدةِ، والآدابِ الجَديدَةِ؛ الفَاضِلُ الأَلْمعيُّ الشيخ مُصطفى أفندي بن محمَّد سليم أفندي الغَلاييني البَيْروتي، أن أُجيزَ له ما تجوزُ لي روايتُهُ من معقولٍ ومَنْقولٍ، وفروعٍ

وأُصولٍ، مما رويته عن أشياخي الكِرام، بوَّأَهم المولى دار السَّلام، ولولا ما تغْفِرُه عَيْنُ الرِّضا من الأَحْباب، لكان الأَحرى بنا أن لا نَلِجَ هذا الباب.

وقد سبق لي جمع أسانيدي في ثبت سمَّيتُهُ «الطَّالع السعيد، في مُهماتِ الأسانيد»، فالمعوَّلُ عليه في تَنَوُّعِ الإسناداتِ، وبديعِ التَّسَلْسُلاَت.

والحمدُ لله الذي بنعمتِهِ تَتِمُّ الصَّالحات.

بقلم الحقير
محمَّد جمال الدِّين القاسمي الدِّمشقي

إجازته(1)

للشيخ سعيد العَسَلي الطَّرابلسيّ الشَّاميّ(2)

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدًا لِمَنْ رَفَعَ الَّذين أُوتوا العِلم دَرَجات، وأَجازهُم على العَمَلِ به سَنيَّ المَقامات، فَجَعَلَهُم وَرَثَةَ الأَنبياء، وأَنالَهُم بالدَّعوة إليه مَراتِبَ الأصفياءِ، وصلاةً وسلامًا على المبعوثِ للخَلْق أجمعين، والمُرْسَل رحمةً للعالَمين، سيِّدنا ومولانا مُحمَّد الداعي إلى الصِّراطِ المُستقيم،

---

(1) هذه الإجازة بخطِّ الشيخ حامد التَّقي، وقد قال في مطلعها: «صورة إجازة سيدي الأُستاذ للعالم الفاضل المحدِّث الرّحالة...».

(2) هو الشيخ الرَّحَّالة سعيد بن محمَّد العسلي، وُلد سنة (١٢٨٧هـ)، أديب عالِم لغوي، شاعر، جاب الأقطار، وأخذ عن جمع من علماء من الأمصار كالقاهرة والشَّام والقدس والهند والصين وغيرها، له ديوان شعر سمَّاه: «سوانح الأفكار»، و«تراجم من تعرَّف به من الفضلاء والنبلاء»، وغيرهما، وترجم كتاب «قانون الصين» لإمبراطور الصين، وقد ترجم له في مقدمته مُسهبًا إبراهيم الدبَّاغ صاحب مجلة الإنسانيَّة، وانظر ترجمته أيضًا في «موسوعة علماء المسلمين» في تاريخ لبنان الإسلامي (٣/ ٢/ ٤٥٢) للدكتور عمر تدمري، وقد ذكر فيه أنَّ الشيخ عبد الرزَّاق البيطار أجازه بـ «صحيح البخاري»، ويعتبر ثناء القاسمي عليه مُكملاً لترجمته.

والمُرْشِدِ إلى الدِّين القويم، الحاثّ على تبليغ سُنَّتِهِ، وحِفْظِ العَهْد في هديِهِ وسِيرتِهِ صلَّى الله عليه وعلى آلِـه المُتسنمينَ مِنَ الفَضْلِ أَسْماهُ، والرَّاقين من شَرَفِ الكمالِ أعلاهُ، وأَتباعِهِ القائمين بأعباء أَداء مقاله، والمُجاهدين في سَبيل الرَّشاد إلى إحياءِ كريم فِعَالِهِ، وتابعيهم في إِشادَةِ مَعالِمِ العِرْفان، وَرَفْعِ دعائم الإيمان، ما أَشْرَقَت سماءُ مجالِسِ العُلوم بأَنوارِ البُرْهان، وأَزْهَرَت رياضُ الفُهوم بأَنوار الحَقِّ والإيقانِ.

أمَّا بعد:

فقد ورد علينا دمشقَ الشَّام، في ميمونِ هذا العامِ، الفاضِلُ النِّحرير، والرَّحالة الشَّهير، المُجِدُّ في الإِفادةِ والاستفادةِ، والدَّائب من إِحياءِ الهدي النَّبَوي على الاستزادة، حَضْرَةُ مولانا الشيخ سعيد العَسَلي الطَّرابلسيّ الشَّامي، فَأَنِسْنا بلقياهُ، وطَرِبْنا لرؤياهُ، ولعلوِّ همَّتِهِ وصفاءِ طويَّتِهِ رَغِبَ أن يَشُدَّ عُرى الصِّلة الحِبِّيَة، وسِلْسِلَةِ المودَّة القلبيَّة بما جرت به عادة أهل الأثَرِ، وحَمَلَة لواءِ الخَبَرِ، فَطَلَبَ مِنَّا الإجازة، وإن كُنَّا أَجْدَرَ منه بالاستجازة، عِلْمًا بأنها أحد أنواع التلقِّي، الذي منه مِعْراجُ التَّرقِّي.

وجَلِيٌّ أنَّ الإجازَةِ أَصْلُها التَّنويهُ بِتَسَلْسُلِ السُّنَّة بالإسناد، وأنَّ على ثقاتِ الرُّواةِ الاعتماد، ليعتنقَ طالِبُ الهدي النَّبوي الصَّحيح، ويُجافي الجريح، ثُمَّ بقيت مُجَرَّدَ صِلَةٍ بأولئك الأبطال، ذكرى لما بُدِىءَ بِـه هذا الحال، ومُتعرِّفًا للطَّبقات الفاضِلَة، ذوي التأثيرِ البَليغ، والآثارِ الطَّائلَةِ، ومَرْجِعًا لمن يُؤرِّخُ الأعيان، فَيَثِقُ بمن لَقي مُتَرْجَمِهِ أو عاصَرَ

من الأقرانِ، ومُتَقَرِّبًا إلى قُلوب الأخيارِ، ومَجْمعًا لِجُنودِ الأَرواح على مُلتقى الآثار، وشهادةً لأهلها بما حَظوا بِـهِ من الفَضْلِ، وخُصُّوا من عظيم النُّبْلِ، وهذه شَذَرَةٌ من أَسْرار الإجازَةُ، وقد يستنبطُ النَّبيه أضعاف ما ذُكِرَ من محاسِنَها المُمتازة.

وحَضْـرَةُ مـولانـا الأُستـاذ المُنـوَّه بـه مـع لُقِيِّـهِ فُضـلاء البـلادِ، واستجازَتِهِ من أكابِرِ العُلماء الأمجادِ ما بلغَ المراد، وأضحى بُغْيَة المُرتاد، رأى أن يُعَزِّزَ المقام بالاتِّصال بأسانيد سلفنا مشاهير دمشق الشَّام؛ فوافقناه وأَجبناهُ[1]، وأَجزنا له حَفِظَهُ الله روايَةَ جميع ما رويناه

والعمدةُ في مُسْنداتي على ثبتي المسمَّى بـ «الطَّالِـعِ السَّعيدِ في مُهمَّـاتِ الأسـانيـد» أَقتصـر لـه منهـا علـى روايتـي لـ «صحيـح الإمـام البخاري» عليه رضوان الباري؛ لأنَّـهُ الجامع الذي أَحْرَزَ قَصَباتِ السَّبْقِ في مِضْمارِ المُسْنداتِ، وطار في أُفُقِ التَّكريم على أَجْنِحَةِ القَبول إلى غاية الغاياتِ.

فقد أجازَ لي روايته العلاَّمة، كَوْكَبُ الأَعلام صاحبُ التَّآليف العديدة السَّيد محمود أفندي الحَمْزاوي الحُسيني، مُفتي دمشق الشَّام،

(١) كتب العلاَّمة القاسمي في «مذكراته اليوميَّة»: «٦ صفر سنة (١٣٢٥هـ). حضر بعد الظهر للمدرسة ــ يعني مدرسة عبد الله باشا العظم ــ العالمان الجليلان: الشيخ سعيد نعسان الحموي، والشيخ سعيد العسلي الرَّحالة الشهير، وطلب الثاني مني إجازة بالحديث».

وله في «ثبته» أسانيد عديدة منها عن شيخه المُسْنِدِ السَّوي، الشيخ عبد الرحمن الكُزْبَري، وله في ثبته أسانيد فريدةٌ منها وهو أعلاها عن شيخه علم الدِّين الفُلاَّني بأسانيده المبسوطة في ثبته «قَطْفُ الثَّمَرِ» وأعلى ما عنده روايته له عن الشَّريف محمَّد بن سنة بسنده المشهور في المُعَمَّرين البالِغِ في القُرْب الغايَةِ القُصْوَى إلى سيِّد المُرسَلين صلوات الله وسلامه عليه في كُلِّ وقتٍ وحين.

ويرويه الكُزْبَري عاليًا بدرجةٍ عن الشَّريف ابن سنة بالإجازة العامَّة، فقد أجاز أهل عصره عُمومًا فأَدرك من حياته أعوامًا. ح.

وأَرويه سماعًا للكثير منه روايةً ودرايةً وإجازةً لباقيهِ عن المُسْنِدِ الشَّهيرِ مُقَدَّم الأعلام في الشَّامِ الشيخ سليم العطَّار، عن جدِّهِ الشيخ حامد العطَّار، عن الإمام المُحَدِّث اللُّغوي السَّيد مُرتضى الزَّبيدي «شارح القاموس» و «الإحياء»، وله أسانيد عديدةٌ ساق جانبًا منها في «شرح الإحياء». ح.

وأرويه مُسلسلاً بالدِّمشقيين، وبالآباءِ والأجداد في أوائله، عن الإمام الوالد الشيخ محمَّد سعيد أبـي الخير، إمام جامع السِّنانية بدمشق ومُدَرِّسِهِ سَماعًا لبعضِهِ، وإجازةً لباقيه، وهو يرويه عن والده جدي أبـي البركات الشيخ قاسم بن صالح الشهير بالحلاَّق إمام الجامع المذكور ومُدَرِّسه، عن أُستاذه خال جدَّتي العلاَّمة السَّيد صالح بن السَّيد محمَّد الدَّسوقي الحُسيني إمام الجامع المذكور ومُدَرِّسِهِ، عن جَدِّ جَدَّتي الولي الشَّهير السَّيد محمَّد الدَّسوقي إمام جامع حسَّان بدمشق

ومُدَرِّسِهِ، عن الشيخ علي السُّلَيمي الصَّالحي، عن الشيخ عبد الغني النَّابلسي، عن النَّجم الغزي الدِّمشقي، عن والده البَدر الغزي الدِّمشقي، عن ابن قاضي عجلون الدِّمشقي، عن الحافظ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، عن المُسْند أبي هُريرة ابن الحافظ الذَّهبي الدِّمشقي، عن أبي طالب الحجَّار الدِّمشقي قال: حدَّثنا الدَّاودي، حدَّثنا السَّرخسي، حدَّثنا الفِرَبْري، حدَّثنا مؤلِّفه الإمام المُجتهد محيي السُّنَّة أبو عبد الله البُخاري. ح.

ويروي جدِّي الأول الشيخ قاسم قُدِّسَ سِرُّهُ، عن شيخه المُسْنِدِ الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري بأسانيده سماعًا روايةً ودرايةً سنين عديدة.

ح. ويروي والدي عليه الرَّحمة والرِّضوان، عن الكُزْبَري أيضًا بعمومِ الإجازةَ منه لأهلِ عَصْرِهِ.

ولا تتَّسع هذه العُجالة لبقيَّة الأسانيد، وفي ثبتي غرائبُ التَّسلسُلات، وبدائعُ الاتصالاتِ، فالتتمَّة لديه، والمُعَوَّلُ في ما لنا من الصِّلات عليه.

هذا وإن العُمْدَة قَرْنُ العِلْمِ بالعَمَلِ، والدَّأَب في الازديادِ، والقيام على قَدَمِ الجِدِّ والاجتهادِ لإحياء هَدي خَيْرِ العِباد، والثَّمَرَةُ خَوْفُ المولى ومُراقبته، وتعظيمُ أمْرِهِ وخشيتِهِ.

نَسْأَلُهُ تعالى أن يُوفِّقَنا، ويَخْتِمَ بالصَّالِحاتِ أعمالَنا آمين، والحمد لله رب العالمين.

في ليلة الثُّلاثاء ١١ صفر الخير سنة (١٣٢٥)

إجازته للعالِم الفاضِل
السَّيد أحمد المكي الحَنفي الأحمدي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وآله أجمعين.

---

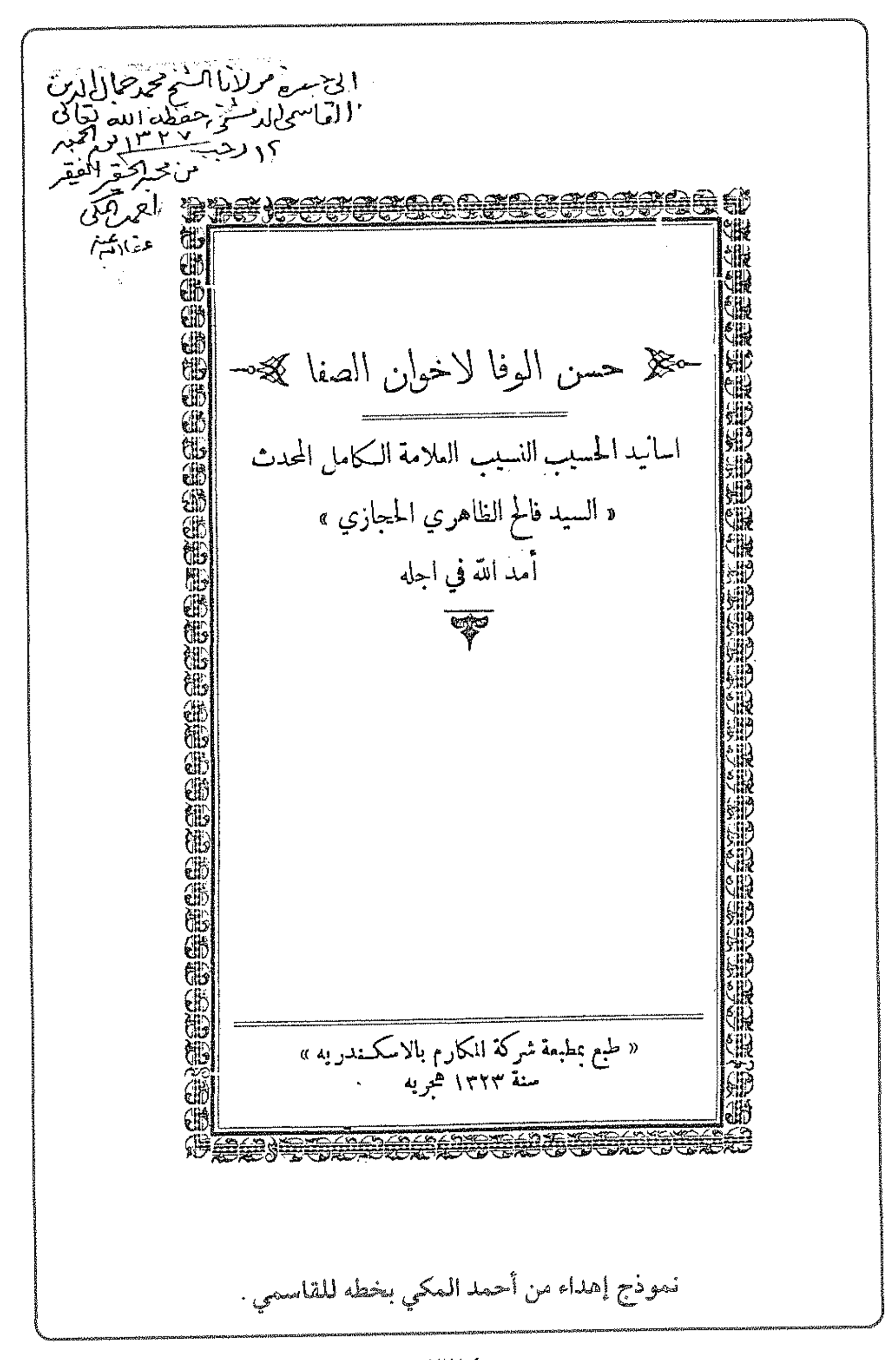
(١) هو الشيخ العالم، المُحدِّث الجَوَّال أبو الخير أحمد بن عثمان الحنفي المكِّي الهندي الأحمدي المولود سنة (١٢٧٧هـ) بمكَّة المكرمة، كان عالمًا مبرزًا في الرِّجال والسير والأسانيد، وأصول الحديث والتفسير وغيرهما.
قال عنه عبد الحيّ الكتَّاني: «مُسْنِدُ الشرق ولا ثاني، كان والله بحرًا متلاطم الأمواج في علم الرِّجال، واسع الدِّراية، عزيز النظير، لم أرَ له نظيرًا فيمن رأيت أو سمعت به في عصرنا مشرقًا ومَغْرِبًا». من مؤلفاته: «النفح المسكي في شيوخ أحمد المكِّي»، تُوفي سنة (١٣٢٨هـ). انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنَّواظر» لعبد الحي الندوي (٨/ ١١٧٥، طبعة دار ابن حزم)، و «فهرس الفهارس» للكتاني (١/ ٥٠، ٢/ ٦٩٠ ـ ٦٩٥)، و «مختصر نشر النور والزهر» لأبي الخير مرداد (ص١٠٤، ١٠٥)، و «معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي» (١/ ١١٨ ـ ١٢٥)، و «الأعلام» للزركلي (١/ ١٦٨)، و «سير وتراجم» لعمر عبد الجبار (ص٧٠)، و «الجواهر الحسان» لزكريا بلا (٢/ ٥٣٧).

أمَّا بعد:

فقد زارني العَالِمُ الفاضِلُ، والرَّحالةُ الكامِلُ، مولانا الشيخ أحمد أبـو الخيـر بـن عثمـانِ بـن علـي المَكـي الحَنَفـي الأحمـدي، فَسُـرِرْتُ بحضرتِهِ، وأَنِسْتُ بمذاكرتِهِ ومُحاضرتِهِ، ورأيت منهُ شَهْمًا مُحَقِّقًا، وهُمامًا بأصول الحديث مُدَقِّقًا.

وقد رَغِبَ إليَّ أوَّلاً لِحُسْنِ ظَنِّهِ أن أُسمعه المسلسل بالأَوليَّة، وأُصافحه وأُشابكه على الأُصول المرعيَّة، وأن أُجيزَ له برواية ما رويته، وما جمعتُهُ وصَنَّفْتُهُ، جريًا على سُنَّة المُحَدِّثين، وذكرى لطبقات الشيوخ والمُعاصرين، فأَجبته لِطِلْبَتِهِ، ورجوتُ بركةَ دعوته، والمُعول في أسانيدي على ثبتي المسمَّى بـ «الطَّالِـعِ السَّعيدِ في مُهمات الأسانيدِ» وفَّقنا الله لما يُحبّ ويرضى، وخَتَمَ لنا جميعًا بخاتمة الحُسنى.

حرَّرَه بيدِهِ ضحوة الجُمعة
في ١٧ ربيع الثَّاني سنة (١٣٢٧).
الفقير إليه سبحانه
محمَّد جمال الدِّين القاسميّ الدِّمشقيّ



الى حضرة مولانا الشيخ محمد جمال الدين
القاسمي الدمشقي حفظه الله تعالى
١٢ رجب ١٣٢٧
من محبه الحقير الفقير
احمد المكي
عفا الله عنه

حسن الوفا لاخوان الصفا

اسانيد الحسيب النسيب العلامة الكامل المحدث

« السيد فالح الظاهري الحجازي »

أمد الله في اجله

« طبع بمطبعة شركة المكارم بالاسكندريه »
سنة ١٣٢٣ هجريه

نموذج إهداء من أحمد المكي بخطه للقاسمي .

إجازته للشيخ المؤرِّخ
عبد الحفيظ الفهري الفاسي[1]

وممَّن طلب الإجازة وحرص على أخذها عن العلاَّمة القاسمي: الشيخ عبد الحفيظ الفهري الفاسي، فإنه طلب الإجازة منه ومن علماء الشَّام سنة (١٣٢٣هـ).

وقد حصلت بينهما بعد ذلك مساجلات ومطارحات أدبيَّة لطيفة.

كما أنَّ الشيخ عبد الحفيظ ترجم للقاسمي في «معجم شيوخه»

---

(١) هو العلاَّمة المؤرِّخ النَّبيه، المُسْنِد الشيخ عبد الحفيظ بن محمَّد الطَّاهر القرشي الفِهْري، الفاسي المغربي المولود سنة (١٢٩٦هـ)، والمُتوفى سنة (١٣٨٣هـ) بالرباط، ألَّف «معجم الشيوخ» الذي دَلَّ على تبحُّره وتفنُّنه في علم الإسناد ويقظته اللامعة ومعرفته البالغة فيه، وكذا مؤلفه الآخر: «الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات». انظر ترجمته في: «الأعلام» (٣/ ٢٧٩)، و «شجرة النور الزكية» لمخلوف (١/ ٤٣٤).
قال القاسمي عنه: «الظاهر أنَّ الرَّجل من أهل العلم المنورين، والذين برقت لهم بارقة المَشْرب السلفي» و «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والآلوسي» لراقمه (ص١٢٧).

ترجمةً حسنةً، حيث يقول فيها[1]:

«هو السيِّد جمال الدِّين محمَّد بن أبـي الخير محمَّد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل الحلَّاق الشهير بالقاسمي، الدِّمشقي، العالم الكبير المُطَّلع الدَّرَّاك، المُفَسِّر، المُحَدِّث، الأُصولي، الفقيه، المُصلح رحمه الله تعالى.

بيت أولاد القاسمي بدمشق بيت شرف وعلم ومجد وفضل، تعدد فيهم العلماء والصُّلحاء والأُدباء كان منهم والد المُتَرْجَم السيد محمَّد سعيد، وكان عالِمًا، أديبًا، فاضلًا، تولَّى التدريس بجامع السِّنانية. ومنهم جدُّه الشيخ قاسم، وكان عالمًا صالحًا ورعًا. وكذلك جدِّه الشيخ صالح الشهير بالحلَّاق. وكفى بالمُتَرْجَم فَخْرًا.

كان ــ رحمه الله ــ من أشهر علماء عصره، وأكبر الأئمة المصلحين في وقته، وذوي القدم الراسخ، والتبحُّر في كافة العلوم، خصوصًا التفسير والحديث والأصول والفقه والكلام وغيرهما، متصرِّفًا فيها تَصَرُّف عالم مقتدر ماهر، مستقل الفكر، نابذٍ للتقليد، جيد النَّظَرِ، سديد الرأي، معولاً عليه في حلِّ المشكلات، وفكِّ المعضلات، كثير المباحث، مُطبقًا الجزئيَّات على القواعد ينفصل

(١) «معجم الشيوخ» المسمى بـ«رياض الجنَّة» (١/ ١٧٧ ــ ١٨٦، طُبع في المطبعة الوطنية بالمغرب سنة ١٣٥٠هـ).

عن تحقيق، مؤيد بأدلة من النقل والعقل مع جودة التعبير والإتقان والتحرير حسبما تشهد بكل هذا مؤلفاته ورسائله العجيبة، ذَا سَمْتٍ وصَمْتٍ، وتَجَمُّلٍ، وحُسْنِ طباع.

وقد وقفت على رسالة لبعض علماء بغداد وصفه فيها بأنه: «مِن الَّذِين شرَّفهم الله بشرف العلم، وكَرَّمَهم بوقار الحلم، وكلَّفَهُم بحفظ دينه يحملون قواعد شريعته، ويذبُّون عن عُراه بغي من بغاه، ويدفعون عنه كيد كل شيطان وضلاله. وجعلهم لأهل الدِّين أعلامًا، وللإسلام والهدى منارًا، ولأهل الحَقِّ قادةً، وللعباد أئمَّة وسادة. يتحرَّون من الله جزيل الثواب، ويتوخّون رضى الله بالصَّواب».

وفي رسالة أخرى: «أنه كان مفزعًا بما أودَعَه الله من نِورِ العلم، وكشف به سَدَفَ ظلَام الجَهْلِ والتِباس الضَّلال» اهـ.

وبالجملة فقد كان سِراجًا لأهل السُّنَّة المهتدين، وسَيفًا قاطعًا لرقاب الضَّالين المُبتدعين، ولم يكن في وقته من يقارنه في كافة شؤونه رحمه الله تعالى.

مؤلفاته: كان للمترجم رحمه الله يدٌ في التأليف ومنَّة عظيمة على المسلمين بما أَلَّف من المؤلفات العجيبة المُحَرَّرِة النَّافعة...».

وسرد جملة من مؤلفاته وشيوخه وما أخذ عنهم من مسلسلات في الحديث، ثُمَّ قال:

روايتي عنه: استدعيت منه الإجازة العامَّة مع من استدعيت منهم من دمشق الشَّام عام (٢٣) فأجازني إجازةً عامَّةً ثُمَّ أجازني بخصوص المسلسلات التي تقدَّمتِ الإشارة إليها قائلاً بعد ذكر أسانيده فيها إلى ابن عقيلة والجلال السيوطي ما نصَّه:

وإنِّي أُجِيز لحضرتكم بما ذكر من المسلسلات وغيرها ممَّن أجازوا لي به إجابةً لدعوتكم، وأرجوه تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويجعلنا ممَّن أنعم عليه في دينه وأُخراه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ٣١ ذي الحجة سنة (١٣٢٧)». اهـ.

ووقفت على قصيدة منه بخطِّ الشيخ حامد التَّقي تلميذ القاسمي حيث ذكرها التقي وصدرها بقوله:

وكاتَبه العالم الفاضل الشيخ عبد الحفيظ الفاسي بَلَدًا الفِهري، وضمَّنه هذه القصيدة ونصَّها:

بِروحي مَنْ روحي لديه مقيمةٌ ... فديتُه ذا وصَلٍ بروحي لذا البُعدِ
حَبيبٌ حَلا لِي حبُّه وحديثُه ... تحلَّى بحزمِ الحاتمي وبالجِدِّ
محبِّي جمال الدين خذني أخا تُقى ... سرى سما بالعلم والحلم والزهد
سليل أهلة المعالي سعيدهم ... حريٌّ بأمداح الحريري والكِنْدي
هنيئًا لدستِ الدرسِ بالعالِم الذي ... يبيِّن إشكالاً، ويكشف عن رُشْدِ
سميدعُ أهلِ الوقتِ قرمٌ مقدَّمٌ ... سما في سما الإجلالِ والعقلِ والمَجْدِ
يعالجُ بالعلمِ الغزيرِ جهالةً ... بصدقٍ يصولُ في الصدورِ وفي الوِرْدِ

يـواجـه بـالـوجـهِ الجميـلِ أخـا جفـا　　　يواصِلُ بالصَّفْحِ القصيِّ عن القَصْدِ
يصـابِـرُ بـالطبـعِ الكـريـمِ جليسَـه　　　يبـادهُ ذا بُعْـدٍ يبـادِرُ للـوَفْـدِ
بـأسمـاءِ ربِّ الخَلْـق قبـلَ جميعهـم　　　أُعيـذُه وإيـاي مـن إذايـةِ ذي الحقـدِ
أدامَ إلـهُ العَـرْشِ رفعـةَ قـدرِهِ　　　وأولاه فـي الـدَّاريـن عـزًّا بـلا جَهْـدِ
ودمتَ جمال الدِّين تُتْحِفُ بالمنى　　　وتمنـحُ بـالإقبـالِ وجـه أخـي البُعْـدِ
فـإنَّـك فـي أهـلِ الكمـالِ كـريمَهـم　　　وإنَّـك فـي أهـلِ الـوداد وفـي الـوَعْـدِ

وأمَّا ردّ القاسمي عليها، فيقول الشيخ عبد الحفيظ:

وقد اتَّصلت بيننا وبينه رسائل الوداد، وأتحفني بعدة من مؤلفاته، وكتبتُ إليه مرَّة رسالةً منظومة[1] مع هديَّة بعض كتب أسلافنا، وذلك سنة (٢٤) فتفضَّل وأجابني بمثلها[2]. ولنوردها هنا دلالة على فضله وأخلاقه الكريمة:

قال جدَّد الله عليه الرَّحمات:

سلامٌ على ذي الأُنسِ واللطفِ والودِّ　　　جليل المزايا في الإخا صادق الوعدِ
أديـبٌ وَفـيٌّ قـد سمـا ذروةَ العُـلا　　　شمائلُه في الظَّرْفِ أربتْ على العَدِّ
حبـانـا كتـابًـا طـالَ عنـا احتجـابُـه　　　كما طال ليلُ المغرمينَ ذوي الوجدِ
وضنَّ على المضني بحسن وصاله　　　كما ضنَّ بالأوقاتِ ذو اللُّبِّ والجِدِّ

---

(١) يعني التي سبق ذكرها.

(٢) قال الشيخ حامد التَّقي تلميذ القاسمي في «دفتره» بعد أن ذكر القصيدة السابقة: «جواب كتاب لسيدي الأُستاذ الأكبر الشيخ محمَّد جمال الدِّين أفندي القاسمي كتبه للعالِم الفاضل الشيخ عبد الحفيظ الفِهْرِي لقبًا، الفاسي بلدًا من البحر والقافية» ثُمَّ ذكرها كاملة.

وما كان في الحُسبانِ حجبُ سنائه — وعهدي بأهل الودِّ أن يحفظوا عهدي
ولكنَّه لم ينسَ بل كان حافظًا — ولا عجبٌ فالسِّرُّ للاسمِ في المَجْدِ
لكلِّ مسمَّى فاقَ حظٌّ من اسمِهِ — وللخدن أو في الحظ منه مع السَّعْدِ
وما تنزل الأسماءُ إلاَّ مِنَ السَّما — فتنظمُ في أشكالها الغُرِّ كالعِقْدِ
فلا زال حَفَّاظَ العهودِ مُواصِلاً — أخلاَّئه دومًا على القُرْبِ والبُعْدِ
ففي صلةِ الأحباب كم عائدٍ لَهُ — فوائدُ لا تخفى وما الوصلُ كالصدِّ
حنانيكَ ما هذا التقاضي له سوى — فضولٌ فإنَّ الفَضْلَ منه بلا رَدِّ
ومن يبدأُ بالإحسانِ قبلَ طِلابِهِ — ويخطبُ إخوانًا فذلك ذو الحَمْدِ
فلا زال إخوانُ الصَّفا لهم الوفا — ولا برحوا أهلَ الكمالِ أُولي الأَيْدِي

* * *

إجازته
للشيخ عبد الحفيظ الفهري
مراسلةً في جمادى الأُولى سنة (١٣٢٣هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدًا لِمَن أَطْلعَ في أُفُقِ المَغْرِب كواكب هُدًى، وجَعَلَ مِنْ جانبِ المَشْرِق أفئدةً تهوى إليهم على المدا، أحمدُهُ أن سَرىٰ حُبُّهم في الأَعضاء سريانَ الماءِ في العود الأخضرِ، وأشْكُرُه أن نَبَت وُدّهُم في ربوةِ القلوب نباتَ الرُّوح في الرَّوْضِ الأنْضَر، وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ على أفْصَح من نَطَقَ بالحِكَمِ، وأبلَغ مَن أُوتي جوامِعَ الكَلِمِ، أمْجَدِ من ظَهَرَ في الآفاقِ ثناه، وأَسْعَدِ من تلألأ في وجهِ الشَّرَفِ سناهُ، سيِّدنا ومولانا مُحمَّدٍ خاتَمِ النَّبيِّين، وأكملِ داعٍ على بصيرةٍ إلى سَبيل الحَقِّ المُبين، وعلى آله واسِطَةِ عِقْدِ الكمالِ، وصحْبِهِ نقطةُ دائرة الفَضْلِ والإِفْضالِ وعلى التابعين بإحسانٍ أئمَّةِ العِرْفان.

أمَّا بعد:

فإنَّ أفضلَ ما تحدَّثَ بفضلِهِ الرُّكبان، وأجلَّ ما تحلَّى به بَنُو

الإنسانِ، العِلْمُ الذي شرَّفَ الله رُتْبَته، وأسمى على كُلِّ مزيَة مزيته، فهو قُطْبٌ تَدورُ عليه رَحى المَفاخِرِ، وَتَرْنُو إليه من المعالي النَّواظِرِ، فلا محمَدَةَ إلاَّ وهي مَنْسُوجَةٌ على بُرْدِهِ، ولا منقبَةَ إلاَّ وهي منتمية إلى زَنْدِهِ، ولا مَكْرُمَةَ إلاَّ وهو عَيْنُها الباصِرَةِ، ولا مزيَّةَ إلاَّ وهو رَوْضَتُها الزَّاهِرَةِ، ولم يزل في كُلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ من تَحُفُّهُ ملائكتُه بأجنحَتِها، وتَرْفَعُهُ من فضائِلِهِ على أَسِرَّتها، كالفاضِلِ الجليلِ، والكامِلِ النَّبيلِ، طَوْدِ الأدَبِ الرَّاسِخِ الرَّاسِي، مولانا الأخ الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ محمَّد الطَّاهر بن عبد الكبير الفِهْري الفاسي، لا زال فَضْلُهُ في وجوهِ المعارفِ غُرَّتها، وأدبُهُ في عقودِ الآداب دُرَّتُها، وقد وَفَدَ علينا كتابُهُ الكريم، وَنثر درِّ خطابِهِ النَّظيم.

فرأينا مودةً أَشْرَقت في ليالي سُطوره، وأُخوةٌ روحانية تفوحُ من أَريجِ مَنْثورِهِ، ولا غرْوَ أن تتعارفَ إخوانُ الصَّفا، وأبناءُ الصِّدْقِ والوفا، وإنَّ شَطَّ المزارُ، ونَأَتْ بهم الدِّيارُ، فَلَهُمْ مَقامُ الجَمْعِ بأرواحِهِم، وتعليلُ النَّفْسِ بطيفِ أشْباحِهِم.

رَغِبَ إلينا هذا الأديبُ اللَّبيبُ في خطابِهِ المُؤنْقِ العجيبِ، أن نُوَثِّقَ عُرى الودادِ، بأن نُجيزَ له ما لنا من إسنادٍ، ولَسنا من الفُرْسانِ في هذا الميدانِ، لولا حُسْنُ ظنِّهِ وصافي طويَّتِهِ، وتَحتُّمُ إجابتِهِ لِصِدْقِ أُخوتِه.

وقد سَبَقَ لي بحمده تعالى جمع أسانيدي في ثبت سميته: «الطَّالِعُ السَّعيد في مُهماتِ الأسانيدِ» ضممتُ إليه من غرائبِ الأسانيد

ما عزَّ نظيرُهُ في فهارسِ المسانيد، فالمرجِعُ في سَندي إليه، والمُعَوَّل في مَسْموعي عليه.

وقد أَجزنا لِحَضْرَةِ الأخ المُنوه بفضلِهِ ما حواهُ، وما تَطفلنا بجمعِهِ وصنَّفناهُ، رغبةً في دعواتِهِ الغيبيةِ في الأوقات المَرْضيةِ.

وأقتصر له الآن على سندي في «صحيح الإمام البخاري» عليه الرحمة والرضوان؛ فإنَّه الكتاب الذي ملأت شهرته الدُّنيا، وتطالت إلى الاتِّصال بجامعِهِ الطَّبقة العُليا، ولي في روايته تسلسلاتٌ متنوعةٌ، أذكرُ منها طريقة هي من مُستخرجاتي، وهي روايتي له مُسلسلاً بمشاهير بلدنا دمشق الشَّام، بَوَّأهم المولى دار السَّلَام، فأقول:

أخبرني به والدي الفهَّامة الفاضِلُ الشيخ محمَّد سعيد إمامُ جامع السِّنانية ومُدَرِّسُهُ بدمشق، عن والده سيِّدي الجَدّ الأمجد العلاَّمة الكبير الشيخ قاسم بن الشيخ صالح الدِّمشقي الشَّهير بالحلاَّق إمام الجامع المذكور ومُدَرِّسِهِ، عن شيخه خال جدَّتي السيِّد الشَّريف الشيخ صالح الدَّسوقي شُهْرةً ونسبًا الدِّمشقي الحُسيني إمام الجامع المذكور ومُدَرِّسِهِ، عن والده جدّ جدَّتي الفقيه الجليل السيِّد الشيخ محمَّد بن محمَّد الدَّسوقي إمام جامع حسان بدمشق ومُدَرِّسِهِ، عن الشيخ علي السُّليمي الصَّالحي الدِّمشقي، عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النَّابلسي الدِّمشقي، عن نجم الدِّين محمَّد الغزي الدِّمشقي، عن والده بدر الدِّين محمَّد الغزي الدِّمشقي، عن تقيّ الدِّين أبـي بكر ابن قاضي عجلون الدِّمشقي، عن خاتمة حُفَّاظ الدِّيار الشَّامية شمس الدِّين محمَّد

الشهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، عن المُعَمَّر علاء الدِّين ابن الصَّائغ الدِّمشقي، عن المُسْند المُعَمَّر أحمد بن أبي طالب الحجَّار المعروف بابن الشِّحنة الصَّالحي قال: حدثنا سراج الدِّين الحُسين بن المبارك الزَّبيدي في شوال سنة (٦١٣) بصالحية دمشق بجامع المُظفري بِسَفْحِ قاسيون قال: حدثنا أبو الوقت عبد الأَوَّل بن عيسى السِّجزي الهروي الصوفي قال: حدثنا أبو الحسين عبد الرَّحمن الدَّاودي، ثنا أبو محمَّد عبد الله بن أحمد بن حمُّوْيه السَّرخسي، ثنا أبو عبد الله محمَّد بن يوسف الفِرَبْري، ثنا جامعه الإمام الحافظ المجتهد محمَّد بن إسماعيل البُخاري عليه رضوان الخالق الباري.

وأمَّا سَوْقُ أعلى سَنَدٍ لي وأسانيدي إلى أئمة المغرب، ومصر، والحجاز، والهند، واليمن، والعراق، والفُرْس، فلا تتَّسعُ له هذه العُجالة، وما من إمامٍ من مشاهير هذه البلاد إلاَّ ولي بحمدِهِ تعالى اتِّصال به ورواية لفهرستِهِ وتفصيلِهِ في «ثبتي» المتقدِّم ذكره.

هذا وإني أَعْهَدُ إلى مولانا الأخ نفعنا المولى بِدُعائِهِ أن يُنشىء مريديه على التَّمسُّك بعروة الأصلين الكريمين، الكتاب العزيز، وصحيح السُّنَّة، وأن يُرْشِدَهم إلى الوقوف مع الأقوى دليلاً، والأَقْوَمِ قِيلاً، وإلى عدم قَبُول سُلطة أي فكرةٍ إلاَّ بعد فَحْصٍ دقيق، وإلى اقتلاع جذور التَّعَصُّبِ من أعماق القلوب؛ فإنَّ التَّعَصُّبَ سبب تفريق الجامِعَةِ، وجَذْوةُ حَجْبِ العُقول عن الحَقِّ، وإلى الولَع بمحبَّةِ الإنصافِ؛ لأنَّهُ يرفعُ الخلاف، ويُوجِبُ الائتلاف، وأن يُمرِّنَهُم على إثباتِ المُدعى

بالبُرْهانِ الصَّحيحِ الثَّابِتِ الذي لا يقبل النقض؛ لتجري نُفوسُهم في حركَةِ المعقولات، ويحيي فيها قوَّةَ التَّأمُّلِ والتَّعقُّلِ حتى تصيرَ ملكةً راسِخَةً، وأن يُبَصِّرَهُم بحاجياتِ الزَّمانِ وكمالياته؛ فإنَّ لِكُلِّ عَصْرٍ حاجيَّاتٍ، ولِكُلِّ طَوْرٍ من أَطْوارِ الأُمَمِ النَّامِيةِ كمالياتٍ، لا بدَّ من استيفائِها كُلَّما تدرجت الأُمَّة في معارج الارتقاء، وجرت في ميدانِ الفَلاحِ والتَّقَدُّمِ على السُّنَّةِ الفطرية، التي تدور حول محور هذا الكون البديع النِّظَام، وأن يَحضَّهم على التَّواصي بالحَقِّ والتَّواصي بالصَّبْرِ، فلا يسأموا من تَكْرارِ الدَّعوة إلى الحَقِّ، ومُوالاة الإرشادِ إلى السَّدادِ، والله المُستعان وعليه التُّكلان.

قاله بفمه وكتبه بقلمه الفقير محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن اسمعيل القاسمي الدمشقي في ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣



إجازته[1]
لمحمَّد العَلَمي الإدريسي الفَاسي[2]
من أصحاب السَّيِّد الكتَّاني المنوَّه به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي أجازَ بالحُسنى عِبادَه المُحسنين، ورَفَعَ الذين أُوتوا العَلْم درجاتٍ، وفَضَّلَهم على العالمين، والصَّلاةُ والسَّلام على سَيِّد الأَنام، وسَنَدِ كُلِّ إمامٍ، مُحمد خاتَمُ النَّبيين وعلى آله وصحبه والتَّابعين، ما تَعَطَّرت النَّوادي العلميَّة، بالأسانيدِ الأَثَرِيَّة.

---

(١) جاءت هذا الإجازة مع إجازة محمَّد بن جعفر الكتاني التي سبق نشرها في آخر رحلة القاسمي إلى المدينة المنوَّرة.

(٢) وُلد سنة (١٢٩٢هـ) بفاس وأخذ عن جمع منهم جعفر بن إدريس والد محمَّد بن جعفر الكتَّاني وغيره، قال عنه المؤرِّخ محمَّد بن الفاطمي بن الحاج السليمي ــ وقد درس عليه وأخذ عنه ــ : «فقيه علَّامة، له البراعة الكبرى واليد الطولى في الفرائض والحساب»، تُوفي سنة (١٣٧٣هـ). «إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ» له (ص١٢٣ ــ ١٣١).

أمَّا بعد:

فلمَّا كان طلبُ الأسانيد من أجلِّ الصِّلات الرُّوْحانية، وأمثل علاماتِ الأُخوة الإيمانية، يحيا بها فَنُّ معرفَةِ الرِّجالِ، ويُعلَمُ منها تاريخ المُتعاصرين من ذوي الفَضْلِ والإفضال، ويتشوَّق بها إلى قراءة السُّنَّة الرفيعة، ويَتدرَّجُ منها إلى يَنْبوع مَعينِ الشَّريعةِ، لذلك بادرَ إليها النُّبلاء، وسابقَ إلى نَيْلِ بَرَكتها النُّبهاء، وكانَ من خيارهم الحَسيبُ النَّسيبُ، والفاضِلُ اللوذعي الأديب، السَّيد محمَّد بن السَّيد مُحمَّد العَلَمي الإدريسي الحَسَني، فقد وصَلَ سَنده بمسانيد أفاضل العصر، وضَمَّ إلى أسانيد بلاده أسانيدِ الحَرمين الشَّريفين، والشَّام، ومصر.

ولمَّا آنَسَ في ربيعِ هذا العَامِ، رُبُوعَ دمشق الشَّام، وأبصرنا منه شَهْمًا لبيبًا، وفاضلاً أريبًا، حَسَّنَ ظنَّهُ في الفقير، ورام الإجازة المعروفة، فاعتذرت بأنِّي لستُ من رجال هذه الطريقة الموصوفة.

ولمَّا ألحَّ عليَّ، وواصل طلبه لديّ، أسعفتُه بمراده، ورجوتُ بَرَكَة إسعادِهِ، وأجزتُ له إجازةً عامَّةً بما تجوزُ لي روايته، وتُنْسَبُ إليَّ درايتُه، وبما جمعته، وفي قالب التَّأْليفِ صَنَّفته، وبالأوراد المأثورة، والأذكار المشهورةِ، وتفصيلُ ما لي من الأسانيد البَديعة جمعتُه في ثَبتٍ سمَّيته: «الطَّالِعُ السَّعيد في مُهماتِ الأسانيد»؛ فالمرجع إليه، والمعول في أنواع الاتصالات عليه.

وأرجو من حضرة المُجاز أن لا ينساني من دعواته في خَلواتِهِ وجَلواتِهِ.

فَتَحَ اللهُ علينا فُتوحَ العارفين، وسَلَكَ بنا سَبيل عبادِهِ الكاملين، آمين.

* * *

إجازته
للشيخ مُحمّد اليماني القادري الحَسَني الفاسي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدًا لمن أَسْمى مراتِبَ أُولى العِلْمِ، وميَّزَ بتنويرِ القَلْبِ من اختصه بالنُّبْلِ والفَهْمِ، وصلاةً وسَلامًا على خِيرَةِ الخلائِق، ومَعْدِنِ الحقائق والرَّقائق، سيِّدنا وسَندنا مُحَمَّدٍ خاتِمِ النَّبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ السَّعادَةَ كُلَّ السَّعادةِ في طَلَبِ العلوم والاستفادة، والحرص منها على الاستزادة؛ إذْ هي ميراثُ الأنبياء وخلافةُ الأصفياء، فطُوبى لمن سَعَى بِمَرْوَتِها، وطافَ بِكَعْبتها، ذاكَ الذي سَعِدَ بالتوفيق، وكان له الهدى أحسنَ رفيق.

وممَّن أَحْرَزَ في هذا المضمار الأُمنيَّة، بما سبق له من صدق

(١) هذه الإجازة والتي قبلها وكذا ما بعدها كتب تحتها القاسمي: «من أصحاب السيِّد الكتَّاني المتقدِّم الذِّكْر».

النيَّة، الكامِلُ الأديب، والنَّبيه اللَّبيبُ، الشيخ محمَّد بن عبد الكبير اليماني القادِري الحَسَني، زادَهُ المَوْلى من نُوره السَّنِيّ؛ وقد رامَ لِحُسْنِ ظَنِّه الإجازة مِن الفقير؛ فأجبته لمرغوبه، وأمددتُهُ بمطلوبِهِ، وأَجزتُ له ما تجوزُ لي روايته، وتُنْسَبُ إليَّ درايته، من منقول ومعقول، وفروع وأُصول، وأورادٍ وأذْكارٍ، وبما ألَّفته وصَنَّفتُه.

وقد بسطت أسانيدي في ثبتي المسمَّى بـ «الطالع السعيد في مُهمات الأسانيد» وأرجو من المُجاز أن لا ينساني من دعواته، في خلواته وجلواته.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

* * *

إجـازتـه
للشّيخ عبد الكريم الدُّوَيّب الفاسي
من إخوان السَّيد الكَتَّاني المُنوَّه به قبل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ أَحْلى ما تتزَيَّنُ به تيجانُ الصَّحائِف، وأَغْلى ما تَسْمو به دُرَرُ اللَّطائِف، حَمْدُ الله الذي علَّم بالقلم، عَلَّم الإنسان ما لم يَعْلم، فَنَحْمَدُهُ ونَشْكُرُه، ونستهديه ونَسْتغفره. ونُصلي على نَبيِّه واسطةُ عِقْدِ الفَضائِل، ومَطْلع شَمْس الشَّمائِل، سَيِّدنا مُحمَّد خاتم الأنبياء، وإمامِ الأصفياء، وعلى آله الكرام، وأصحابه العِظام، ما تَحَلَّت محافِلُ التَّحديث، بأسانيد أئمةِ الحديث.

أمَّا بعد:

فلمَّا كان العِلْمُ أَجَلَّ مزيةٍ، وأَعْظَمَ مَنْقَبَةٍ عليَّةٍ، سابقَ إليه من سَبَقَت له الحُسنىٰ، وحِيزَت له السَّعادة الكُبرى، كالأخِ الفاضِلِ، الفقيهِ الكامل، الشَّيخ عبد الكريم بن محمَّد الدُّوَيّب، حَرَسَهُ المولى، وزادَهُ فَضْلاً، وقد حَسَّنَ ظَنَّهُ في الفقير ورامَ الإجازة.

فاعتذرتُ بأنِّي لستُ من فُرْسان هذه المَفازَة، فزاد في طِلْبَتِهِ، وأكد في رغْبَته.

فحينئذٍ أسعفتُهُ، وأجزتُ له إجازةً عامَّةً بِكُلِّ ما تَصِـحُّ لنا روايتُه ودرايتُه وبما جمعناه وأَلفناه، وبالأوراد والأذكار المأثورة، وبما حواه ثبتي المسمَّى بـ«الطَّالع السَّعيد في مُهمات الأسانيد»؛ فليمنحني المجاز دعواتِهِ المَبْرورةِ، إثْرَ عباداته المَشْكورة، وله الجزاءُ الأوْفى.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

* * *

إجازته للشيخ
عبد الرّحمن بن رياض الدِّين الدِّهلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد خاتم النَّبيين، وعلى آله وصحبه الأكرمين.

أمَّا بعد:

فقد قرأ عليَّ الشَّابُ النَّجيبُ، والصَّالِحُ اللَّبيبُ، الشيخ عبد الرَّحمن بن رياض الدِّين بن نصار الدِّين الدِّهلوي كتاب «عِقْد الجَوْهَرِ الثَّمين في أربعين حديثًا من أحاديث سيِّدِ المُرسلين» لِمُسْنِدِ دمشق الشَّام الشيخ إسماعيل العَجْلوني رحمه الله تعالى، قرأه عليَّ بتمامه في مجلس وأنا أسمعُ وأُعارضه بأصلي.

وكان حضرَ أَشْهرًا مجالسي في التفسير، والحديث، والأُصول، والنَّحو وغيرها مُدَّةَ إقامته بدمشق، ثُمَّ سأل الإجازة بما قرأه، وبغيره مما صَحَّتْ لنا روايته؛ جريًا على سُنَّة المُحدثين والسَّلَفِ الأَثَرييِّن.

فأجبته وأجزت له بذلك إجازةً عامَّة، رجاء دعواته التَّامَّة، وقد رَغِب في سَوْقٍ لبعضِ أسانيدي لـ «صحيح الإمام البخاري»، وإني أرويه عن عدَّة مشاهير، وقد سمعت الكثير منه على مُسْنِدِ الشَّام الشيخ محمَّد سليم العطَّار، وأجاز لي بباقيه.

كما أجاز لي به السَّيد محمود أفندي الحَمْزاوي مُفتي دمشق الشَّام، وهما يرويانه عن الشيخ عبد الرَّحمن الكُزْبَري، عن صالح الفُلاني، عن محمَّد بن سِنْة الفُلاني، عن الشَّريف محمَّد، عن أحمد بن العَجِل، عن قطب الدِّين محمَّد بن أحمد النَّهرواني، عن أحمد بن أبـي الفتوح الطَّاووسي، عن المُعَمَّر بابا يوسف الهروي، عن محمَّد بن شادبخت الفرغاني، عن المعمر يحيـى بن عمَّار الختلاني، عن محمَّد بن يُوسف الفِرَبْري، عن أمير المؤمنين في الحديث محمَّد بن إسماعيل البُخاري.

وللشيخ عبد الرحمن الكُزْبَري أن يرويه بالإجازَةِ العامَّة عن ابن سنة، فإنَّه أجاز أهل عصْرِهِ إجازةً عامَّةً، فيتم لنا بذلك إلى البخاري عشرة رجال، وهذا أعلى إسناد يوجد في الدُّنيا فيما نعلم.

وأروي هـذا «الصحيـح» مـن طـريـق الآبـاء والأجـداد مُسلسـلاً بالدِّمشقيِّين، عن والدي الفقيه الأديب الشيخ محمَّد سعيد، عن جدِّي العلاَّمة الشيخ قاسم بن صالح الشهير بالحلاَّق، عن خال جدتي لأبـي السيد صالح الدَّسوقي الحُسيني، عن أبيه جَدِّ جدتي السَّيد محمَّد بن محمَّد الدَّسوقي، عن الشيخ أحمد العطَّار، عن الشيخ إسماعيل

العَجْلوني «صاحب الأَربعين»، عن الشيخ عبد الغني النابلسي، عن نجم الدِّين الغزي، عن أبيه بدر الدِّين الغزي، عن أبـي بكر ابن قاضي عجلون، عن الحافظ محمَّد بن ناصر الدِّين، عن علاء الدِّين ابن الصائغ، عن أحمد بن أبـي طالب الحجَّار الصَّالحي، وهؤلاء كلهم المذكورون أول السَّند إلى هنا كلهم دِمشقيون.

والحجار يرويه عن الحُسين بن المُبارك الزَّبيدي، وقد دخل دمشق وحدَّث بها سنة (٦١٣هـ) بجامع المُظفري بسفح قاسيون، عن أبـي الوقت عبد الأول بن عيسى السَّجزي، عن عبد الرَّحمن بن محمَّد الدَّاودي، عن عبد الله بن حمُّوْيه السَّرخسي، عن محمَّد بن يوسف الفِرَبْري، عن جامعه الإمام المُجتهد البُخاري رضي الله عنه، والعمدة فـي أسانيدي على ثبتـي المسمَّى بـ «الطَّالِع السَّعيدِ فـي مُهمَّاتِ الأسانيد».

نَفَعَ الله بفضله المُجاز، ونَفَعَ به العباد، وألهمهُ وإيَّانا سُلوك سبيل الرَّشاد، وأحيانا على الدَّعوة إلى الحَقِّ والثَّباتِ على كمالِ الصِّدْقِ، إنَّه أرحمُ الرَّاحمين، وأحكمُ الحاكمين، والحمد لله ربّ العالمين.

حُرِّرَ مساء الجُمعة لإحدى عشرةَ ليلةً خلت من جُمادى الأولى سنة ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف.

بقلم الفقير

محمَّد جمال الدِّين بن محمَّد سعيد بن قاسم القاسمي الدِّمشقي

إجازته[1]
للشيخ عالم جان من عُلماء قزّان[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد خاتم النَّبيين، وعلى آله وصحبه الطَّيبين الطَّاهرين.

---

(١) هذه الإجازة مسودة بخطّ القاسمي.

(٢) إجازة القاسمي لهذا العالم وثناؤه عليه يُعتبر نوعاً من الترجمة له؛ فإني لم أقف له على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر بعد مزيد بحث؛ هذا وقد أشار الشيخ قاسم القاسمي ــ شقيق القاسمي ــ في تعداده لشيوخه ومن أجازوه (انظر: آل القاسمي ص٧٥) أنَّه زار دمشق في طريقه إلى الحج سنة (١٣٢٧هـ)، وقد احتفى به الشيخ جمال الدِّين القاسمي وزاره في موضع إقامته، يقول القاسمي في «مذكراته اليومية الخاصَّة»: «الأربعاء ٩ شعبان (١٣٢٧). اليوم ردَّ لنا الزيارة عالم جان البارودي من علماء قازان، وكان في زيارتنا في الدار أيضًا حضرة الشيخ عبد الرزَّاق أفندي البيطار، وبعد تناول الغداء عندنا، ودعناهما، وفي المساء صحبت عالم جان إلى الشَّرق في المرجة، وأريته بعض منتزهات دمشق، وكان في انتظارنا من دعانا من الإخوان، ومكثنا حتى أدينا صلاة العشاء جماعةً ثُمَّ رجعنا».
وقال أيضًا: «٦ رمضان (١٣٢٧). دعونا اليوم للإفطار عندنا الشيخ عبد الرزَّاق أفندي البيطار والشيخ عالم جان القازاني دعوته هو وزوجته فحضرا، وسُرَّ أهلنا بها، =

أمَّا بعد :

فلمَّا قدم دمشقَ الشَّام، هذا العام، العَلاَّمة النِّحرير، والأُستاذ الشَّهير، مولانا عالم جان، من كبارِ علماء قزَّان، لقينا منه إنسانًا كاملاً، وعالِمًا عامِلاً، فأنسنا بلطائِفِهِ، وابتهجنا بمَعارِفِهِ، وسَرَّنا صَدْعُهُ بالحقِّ، ودعوته إلى الله بالصِّدْقِ، وانتصاره للسّنَّةِ السَّنِيَة، وتطبيق الأعمال على الأُصول المرعيَّة.

وقد رَغِبَ أن يكون له من سَنَدِ الدِّمشقيين حيازَة، فطلبَ من الفقيرِ لِحُسْنِ ظنِّهِ الإجازة؛ اقتفاءً لسُنَّةِ المُحدِّثين في هذا النَّهْج المُبين.

فرجاءً لصالح دعواته أجبناهُ، وبكُلِّ ما يجوزُ لنا روايته أجزناه.

والمعول في أسانيدي على ثبتي المسمَّى بـ «الطالع السعيد في مهمات الأسانيد».

وفَّقنا الله جميعًا لمرضاته، وجعلنا من أئمة الحقِّ ودُعاته، آمين.

والحمدُ لله رب العالمين، في ٢ رمضان سنة (١٣٢٧).

كتبه الفقير

محمَّد جمال الدِّين القاسمي الدِّمشقي

= ولم يزل الشيخان عندنا إلى ثلث الليل الأول، ثُمَّ ودعناهما، وأخبرنا عالم جان بأنه عازم على السفر الاثنين القادم، وقد فعل فسافر فيه».

هذا ما ذكره القاسمي عن هذا العالم الجليل، وقد أخذ عنه الإجازة الشيخ قاسم خير الدِّين شقيق القاسمي، كما أخذ عنه أيضًا الشيخ حامد التَّقي، وقد ذكر في إجازته لكل منهما أن من شيوخه الشيخ صديق حسن خان، كما ذكره عبد الحي الكتَّاني عرضًا في «فهرس الفهارس» (١/ ٤٨٩) حينما ترجم للشيخ ضياء الدِّين الكُمُشخانوي الإصطنبولي، حيث قال: «وممن روى عن المترجم من أعلام عصرنا الشيخ عالم جان البارودي».

إجـازتـه
للشيخ أحمد القَزّاني

وقـد رَحَلَ إلى دِمشـق الفاضل الأديب الشيخ أحمد قَزّاني وأقام بها مُدَّةَ ثلاثَةِ أشْهُر، وحضرتُ معه[1] على الأُستـاذ «شرح رسالـة فـي علم الوضـع»، وطَلَب مـن الأُستاذ الإجـازة، وتكَرَّم بهـا عليـه وهـذه صُورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي أجازَ للمُخْلصين جوائزَ الحُسْنى، وَرَفَعَ الذين أُوتوا العلم إلى أوْجِ المَقامِ الأَسنى، والصَّلاة والسَّلامُ على من أَيْنعت رَوْض العُلوم بنعمَةِ بعثَتِهِ، وكَمَّلَ نِظامَ الكَوْن بعِقْدِ رحمة شِرْعَتِهِ، سيِّدنا مُحمَّدٍ خاتم النَّبيين، وعلى آله وصحبه الأكرمين.

أمَّا بعد:

فقد رَغِبَ إليَّ الشَّابُ الأديبُ، الكامِلُ المُجِدُّ في اقتباس الفضائِل

(١) قائل هذا الكلام هو الشيخ حامد التَّقي التلميذ الخاص للشيخ جمال الدِّين القاسمي، وهي بخطه في «دفتره».

مِنْ مَشْكاةِ الأفاضِلِ، الشيخ أحمد بن أحمد شافع الأمير خاني قَزَّاني، أَنارَ المولى لُبَّهُ بالفُرْقانِ الرَّباني، أن أُجيزَ له ما تَصِحُّ لي روايتُهُ، وتُنْسَبُ إليَّ درايتُهُ من معقولٍ ومَنْقول، وفروعٍ وأُصولٍ على ما جرت به سُنَّة الأَثريِّن من عَهْدِ السَّلَفِ الصَّالحين، فأَجبتُهُ لِما رَغِبَ، وأسعفتُهُ بما طَلَبَ، رجاءَ صالح دعواتِهِ في خَيْرِ أَوْقاتِهِ، وأسانيدي تَكَفَّل بها ثبتي المسمَّى بـ «الطَّالِع السَّعيدِ في مُهمات الأَسانيدِ».

وفَّقنا الله لما يُحب من قَوْلٍ وعَمَلٍ، وأَدام لنا ذلك بفضله إلى نهاية الأجل آمين.

في ١٩ رجب سنة (١٣٢٤) في مدرسة عبد الله باشا[١].

كتبه بقلمه

الفقير محمَّد جمال الدِّين القاسمي

---

(١) هي مدرسة عبد الله باشا العظم، بناها محمَّد باشا بن مصطفى العظم والي دمشق سنة (١١٩٣هـ)، وزاد فيها ابنه عبد الله فنسبت إليه، وقد كان محبًّا للعلم وأهله، وأوقف عليها أوقاف كثيرة. انظر: كتاب «خطط دمشق» لأكرم العلبي (ص٢٧٣)، وقد كان للشيخ جمال الدِّين القاسمي غرفة بها كما سبق في كلام تلميذه بهجة البيطار، ووقفت على هذه المدرسة مرارًا، وهي الآن إذا دخل إليها الداخل محل لبيع الصناعات اليدوية المحلية للزوار حيث اختلسها أحد التجَّار.



فائدة جليلة للقاسمي
حول بطلان سند المُعَمَّرين إلى البخاري مما مضى ذكره في بعض الإجازات

قال الشيخ حامد التَّقي في «دفتره» الذي فيه رسائل القاسمي وفوائده:

وممَّا نقلته مما كتبه في بعض مؤلفاته في السند إلى المُعَمَّرين والسند العالي ما نصّه:

لا يخفى أنَّ جودةَ السَّند إنَّما هو بشهرة رجاله، ومعرفة التاريخ لهم، عاليًا كان أو نازلاً، والغالب في النَّازل الشُّهرة والمعرفة، ولذلك آثره ثلَّة من المحقِّقين لاتُّهم فيه من الظنّة والرّيبة، فإنَّ الأسانيد العوالي إنَّما يركن إليها ويتمدح بها إذا سلمت من قادح، وذلك بمعرفة طبقات رجالها المعرفة الجارية على قاعدتها، من حفظ ترجمته، ولقبه، وولادته، ووفاته، ومرتبته في العلم، وحاله في عصره ونحو ذلك.

فما وُجِدَ من العوالي منطبقًا على هذه الشروط فهو ما يُتمسك به، وأمَّا ما خلا عن ذلك بأن جُهِلَ الذي وصل العلو إليه، فلم تحفظ ترجمته، ولم يتعدَّد من أخذ عنه، ولا علمت حالته، فمثل هذا فيه وقفة.

وقد رأيت من الأساتذة المحقِّقين من يتوقَّف في صحة السند إلى البخاري الذي رُفِع إلى بابا يوسف الهروي، قال ما معناه: إنَّ فيه نظرًا من وجوه:

أوّلاً: ادِّعاؤهم أنَّه عُمِّر ثلاثمائة سنة وإثبات تعميره هذا العمر يحتاج إلى تصحيح، لأن من جاوز المائة يعد دائمًا على الأنامل، فأنَّى بمن بلغ هذا السن، فإذا لم ينقله مؤرِّخ من بلده من الأئمَّة وإلاَّ فلا يسوغ تقبله تقليدًا أو ظنًّا.

ثانيًا: أن هذا المعمر والسند إليه لم يتعرض له أحد قبل الطاووسي أصلاً.

ثالثًا: لم يعلم شيء من اعتقاده ومذهبه، وفي تلك الأقطار من غير أهل السنَّة عددٌ ليس بالقليل.

رابعًا: إذا لم تصل طريقته إلى الحرمين إلاَّ بعد عصر ابن حجر فهلا روى عنه من أهالي خراسان العجم غير أبي الفتوح، وأسانيد البخاري دائمًا تجوب الآفاق!!!

خامسًا: أن الرحالة من العلماء لم تنقطع في عصرنا، وسند البخاري لم يزل يهتم بالعلو فيه أفاضل كل عصر، فما سبب انطماسه طول هذه المدة إلى ذلك الزمان؟

سادسًا: يحكي لي بعض الأخيار من فاس أنَّ بابا يوسف المذكور كان من صلحاء العامَّة في بلده، وأنه دخل في عموم إجازة من قبله

لأهل عصره، أو لمن أدركه، ومن كان من العامة فأنَّى يُؤمن عليه أن يهرف بما لا يعرف؟

سابعًا: عهدنا بأهل الجرح والتعديل أن يرفضوا رواية عالم كبير جُرِح بأمرٍ ما، وهو معروف الاسم والكنية واللقب والبلد والرتبة، وقد يكون جرحه تعصُّبًا لمذهب أو لغلو أو معاصرة أو تقية، ومع هذا فلا يقبلونه، فكيف يقبل في السند رجل مجهول الحال والوصف وهو عامِّي بحت، وقد زيد عليه هذا العمر الذي لم يسمع بنظيره في طبقات الرواة إلاَّ من رد عليه، ورُمي بالكذب كَرَتَن الهندي وأمثاله؟!

ثامنًا: وقع الاضطراب في أسماء هؤلاء المُعَمَّرين وطرقهم، ففي «ثبت ابن عقيلة» طريق ليس في «ثبت الفلاني»، وفي «ثبت الشيخ عابد» طريق ليس في «ثبت الكُزْبري» وفي عدم اتِّفاق طرقهم مجال للبحث.

تاسعًا: نقل العلاَّمة أبو الطيب شارح «القاموس» في مسلسلاته في المسلسل بالمُعَمَّرين أنَّ الحافظ ابن حجر بالغ في إنكار هذا المسلسل بالمُعَمَّرين في «لسان الميزان»[1]، قال: إن طرقه كلها لا تخلو عن متوقف فيه حتى المعمر نفسه، وأن ذلك كله لا يفرح به من له عقل، وكل ذلك مما لا أعتمد عليه ولا أفرح بعلوه» انتهى.

* * *

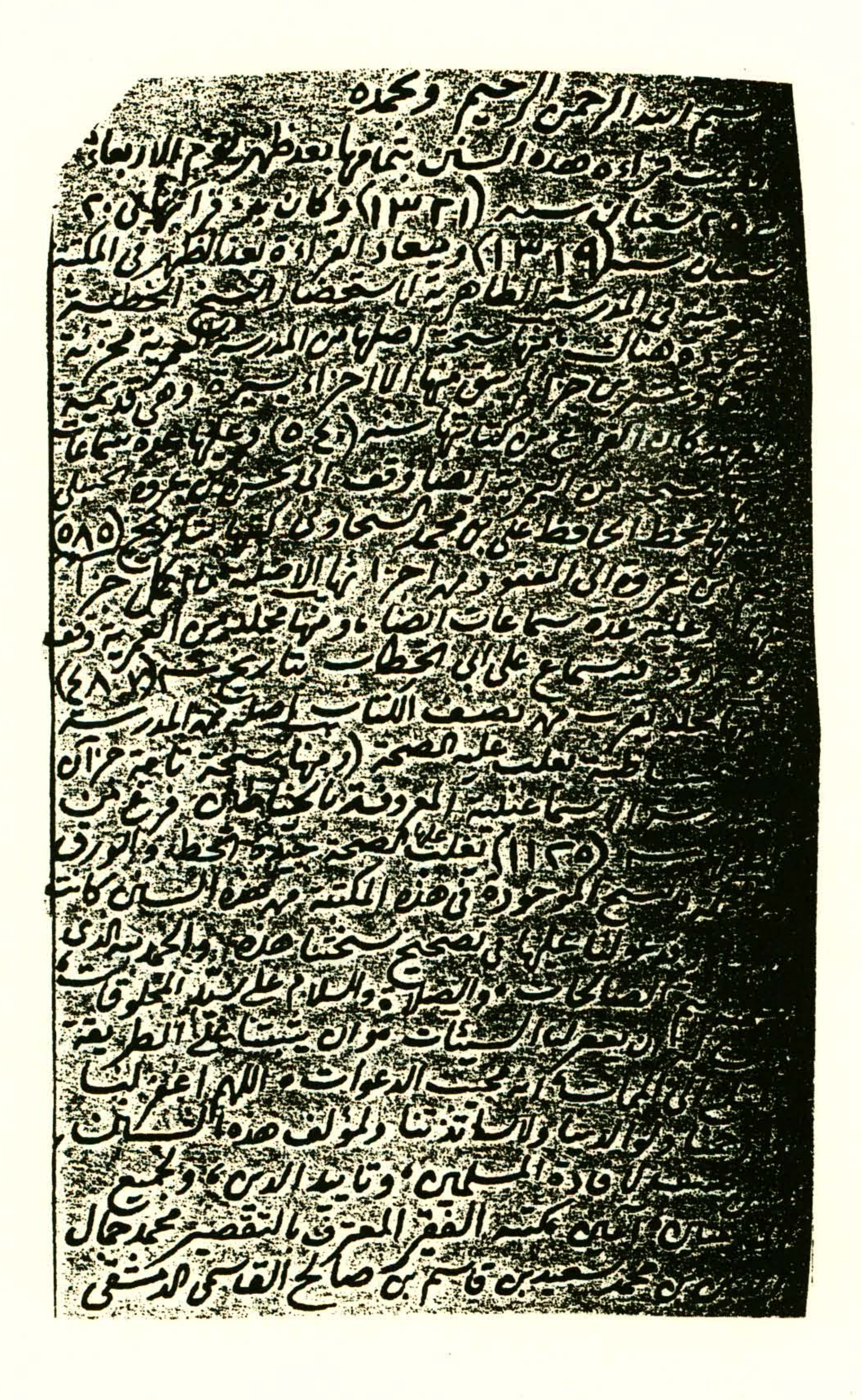
---

(١) (٨/ ١٢٢).



التذييل والتزيين
بأمثلة من خطوط الشيخ جمال الدّين

لا غرو أنَّ مَن كان إماماً في العلم مثل القاسمي لا بدَّ أن يكون دائبه الدَّائم هو القراءة ومقابلة الكتب بأصولها الخطية وجرد المطوَّلات وتقييد الشوارد والفوائد، وهذه أمثلة من ذلك بخطّ الشيخ القاسمي رحمه الله تعالى:



قيد القراءة الختامية للقاسمي لـ «جامع الترمذي».

تم الكتاب بحمد الله وعونه وتأييده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم فرغ من
كتابته الفقير الذليل محمد جمال الدين ابو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم بن
صالح بن اسمعيل بن ابي بكر القاسمي الدمشقي غفر الله له ولأسلافه
ومشايخه والمسلمين وكان نقل هذه النسخة عن نسخة
من مكتبة العمرية مودعة في مكتبة المدرسة الظاهرية
تاريخ الفراغ من كتابتها في جمادى الأخرى سنة
احدى واربعمائة وعليها خطوط كثير من
الحفاظ عليهم الرحمة والرضوان واما
تاريخ الفراغ من نقل هذه النسخة
فكان في الليلة السابعة
والعشرين من جمادى الاولى
سنة اربع عشرة
وثلاثمائة
والف
م

خاتمة كتاب «مختلف الحديث» لابن قتيبة بخط القاسمي.

هذا الشرح جعله مؤلفه الجلال السيوطي شرحاً لكتاب التقريب والتيسير المذكور خصوصاً ولمختصر ابن الصلاح ولسائر كتب الفن عموماً كما بين ذلك في الخطبة

وقفه الفقير محمد جمال الدين القاسمي على أولاده وأولادهم ثم على أقربائه من بعدهم ثم على طلبة العلم في سنة ١٣٢٠

ورجال الاسناد الذي سقناه مني الى عبد الله
ابن عمرو كلهم مصريون والله
سبحانه وتعالى أعلم

وجد في نسخة الخط
قال المؤلف رحمه الله تعالى
آخر شرح التقريب ولله الحمد والمنة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وبعد فقد قابلت هذا الكتاب الجليل وصححته بحسب الامكان على نسخة بعض كراريسها مقروءة على جامعه السيوطي رحمه الله تعالى والبعض الآخر يغلب عليه الصحة وذلك في مجالس من نحو أربعين يوماً آخرها بعد ظهر يوم الأربعاء أوائل رجب الحرام سنة ستة عشرة وثلاثمائة والف وكتبه الفقير الحقير خادم السنة محمد جمال الدين أبو الفرج بن أبي الخير محمد سعيد بن أبي المناقب قاسم ابن صالح بن اسمعيل بن أبي بكر القاسمي الدمشقي لطف مولاه به وختم له بالحسنى

جزء من مطلع «تدريب الرّاوي» للسيوطي وآخره وفيه قيد انتهاء القاسمي من قراءته ومقابلته.

كتاب
الذريعة الى مكارم
الشريعة للشيخ أبي القاسم
الحسين بن محمد بن المفضل
الراغب الاصفهاني
رحمه الله
آمين

يرحم الله القائل
ما أبصرت عيني وما كتبت يدي ، مثل الذريعة في الشريعة دفترا
فرغ فؤادك في التقاط شذورها ، واهجر بحفظ فصوله طيب الكرا
لا تشتغل بسواه عنه فكل ما ، تبغيه من صيد ففي جوف الفرا

(الطبعة الثانية بمطبعة الوطن)

(التعريف بالاصبهاني)

هو ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني كان في اوائل المائة الخامسة له مفردات القرآن وافانين البلاغة والمحاضرات وتفسير القرآن العظيم وتفصيل النشأتين وكتاب الذريعة الى مكارم الشريعة والناس يظنون انه معتزلي لكن قال السيوطي رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبد السلام ما نصه : ذكر الامام الفخر الرازي في تأسيس التقديس في الاصول ان ابا القاسم الراغب من ائمة السنة وقرنه بالغزالي وهذه فائدة حسنة فلا غرة بظنون الناس . هذا خلاصة ما في مفتاح السعادة لطاشكبري زاده انتهى وفي كشف الظنون : قيل ان الامام حجة الاسلام الغزالي كان يستصحب كتاب الذريعة دائما ويستحسنه لنفاسته اهـ

(ونرغب) اليه تعالى أن يعمنا برحمته من ائتم بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال بادر خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك فما أعظم فى القيمة الحسرة والندامة ان لم يتغمدنى الله برحمته التى وسعت كل شئ فسهل يارب المجاز ويسر لى الجواز فقد حان حصادى ولم يصلح فسادى وصلى الله وسلم على خاتم النبيين واجعله لى من الشافعين آمين

(يقول مصححه كثير العثار محمد المعروف بالنجار)

قد تم بحمد الله طبع كتاب الذريعه فى أحكام الشريعه لبديع البيان والمعانى أبى القاسم الراغب الاصفهانى

بحمده تعالى وعونه تمت مقابلة هذه النسخة على نسخة مصححة على اصل مخطوط وذلك في ايام آخرها رابع شعبان عام (١٣٢٦) وكتبه الفقير محمد جمال الدين القاسمي عفا عنه مولاه بمنه

أول كتاب «الذريعة» وآخره وعليه خط القاسمي.

قال مؤلفه عبد الرحيم بن الحسين أكملت جمعه في أواخر سنة أربع
وسبعين وسبعمائة وكملت تبييضه في حادي عشر صفر سنة خمس وسبعين
وسبعمائة الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد قرأ علي ابني
أبو زرعة جميع هذه الأحكام في مجالس تسعة آخرها بمكة المشرفة في ثاني
صفر سنة ست وسبعين وسبعمائة وأجزت له أن يرويه عني وما يجوز
لي وعني روايته متلفظاً كتبه مؤلفه عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي وحسبنا
الله ونعم الوكيل وقد علق هذا السفر الجليل لنفسه فقير عفو مولاه ورضوانه
محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر القاسمي
الدمشقي وفرغ منه في ٢٥ رجب ضحوة الخميس عام (١٣١٦)

الحمد لله تعالى
قد تيسر لكاتبه جمال الدين القاسمي
قراءته ومقابلته على الأصل المنقول
عنه في مجالس آخرها عاشر رمضان
بعد عصر نهار الأحد سنة ١٣١٦

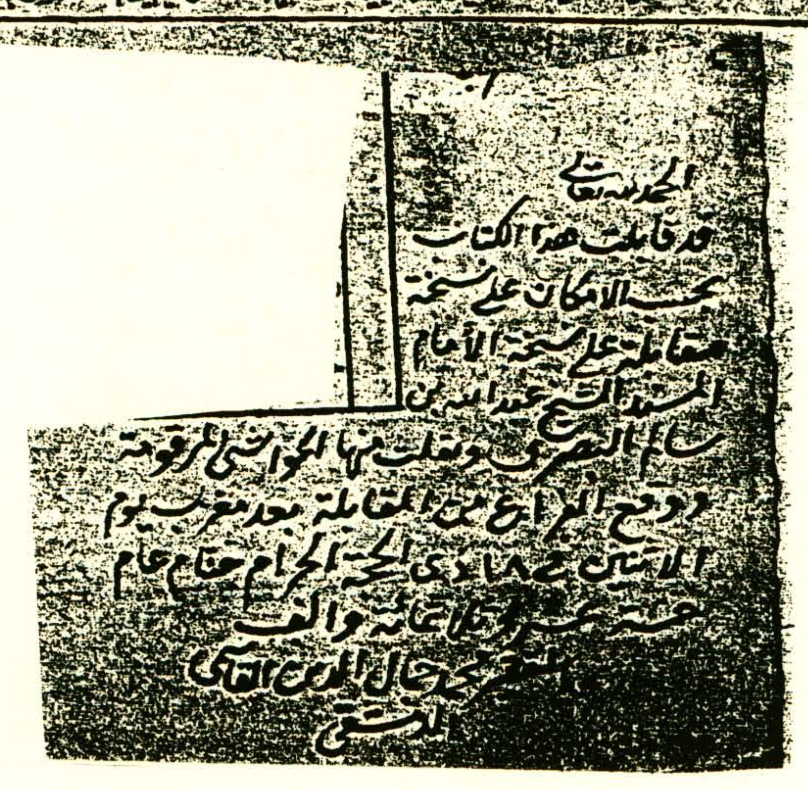
«تقريب الأسانيد» للحافظ العراقي بخطّ القاسمي

وفي آخره قيد قراءة ومقابلة له.

وجد في أصل المؤلف ما مثاله فرغه معلقه ومفترته أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني
في يوم الأربعاء رابع عشري جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة حامدا
مصليا مسلما

تم التقريب مختصر التهذيب

الحمد لله رب العالمين أما بعد فيقول الراجي رحمة ربه محمد معظم إن هذا الكتاب المستطاب المسمى بتقريب التهذيب الذي ألفه الحافظ ابن حجر العسقلاني
قد جهدت في تصحيحه جهدا بليغا وبذلت في تحسين خطه وطبعه الكثير [illegible] بحمد الله في حسن النظام ما ليس له نظير وما طبع مثله من قبل
قط وكان له حاجة في أكثر المواضع إلى الحواشي فألحقتها به على الهامش من الكتب المعتبرة وأوضحت حق الإيضاح حتى لا يبقى [illegible]
إلى التفحص والتجسس في حال الرواة ولا يعلم ما فيه من المنافع الجليلة والمحاسن العظيمة [illegible]
وشتى الانتفاع [illegible]
حركات أسماء الرجال [illegible]



الحمد لله تعالى
قد قابلت هذا الكتاب
بحسب الإمكان على نسخة
مقابلة على نسخة الإمام
المسند الشيخ عبد الله بن
سالم البصري ونقلت منها الحواشي المرقومة
ووقع الفراغ من المقابلة بعد مغرب يوم
الاثنين في ١٨ ذي الحجة الحرام ختام عام
خمسة عشر وثلاثمائة وألف
الفقير محمد جمال الدين القاسمي
الدمشقي

«تقريب التهذيب» لابن حجر ومقابلة القاسمي له.

يقول الفقير إلى عفو ربه محمد جمال الدين القاسمي أروي
كتاب مشكاة المصابيح بالإجازة العامة عن عين
أعيان الشام وصدر مدرسيها الكرام المرحوم الشيخ
محمد سليم العطار عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري
عن والده الشمس محمد الكزبري عن الشهاب أحمد
المنيني عن الإمام أبي المواهب الحنبلي عن مسند
المدينة المنلا إبراهيم الكوراني الشهرزوري
عن المنلا محمد شريف بن منلا يوسف الكوراني
الصديقي عن السيد معظم الحسيني البلخي عن
منلا علي القاري شارح الكتاب بسنده
المذكور هنا ولي فيه أسانيد أخر اقتصرت منها
على ما ذكرت لاتصاله بالشارح في جمادى الثانية سنة
١٥ ١٣١٣

هذا الكلام للقاسمي على شرح المشكاة لعلي القاري.

فلله الحمد على جزيل [illegible] الإنعام، ونسأله يمن العاقبة
وحسن الختام، وكان جمع هذه التعليقات كلها مختلسًا من فراغي مع ترتباتي الليلية والنهارية في نحو من أربعة أشهر آخرها
منتصف ربيع الأول عام ١٣٢٥ بدمشق الشام، عمرها الله بربوعها بالعلم والصلاح مدى الدوام، آمين والحمد لله رب العالمين

آخر تعليقات القاسمي على «العلم المنشور في إثبات الشهور» للسبكي.

الجزء الاول من محاسن التاويل وهو المقدمة المشتملة
على قواعد التفسير لجامعه وكاتبه العبد الذليل
الضعيف الفقير الى رحمة مولاه وعونه
محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم
ابن صالح القاسمي
الدمشقي .

وافق الفراغ من تفسير هذه السورة قبيل ظهر الاثنين رابع عشر
جمادى الاخرة عام ١٣٢٦ بمنزلنا بدمشق
الشام بقلم جامعه جمال الدين القاسمي
وهذا آخر الجزء العاشر
ويليه الجزء الحادي عشر
واوله سورة الاحقاف
والحمد لله وحده

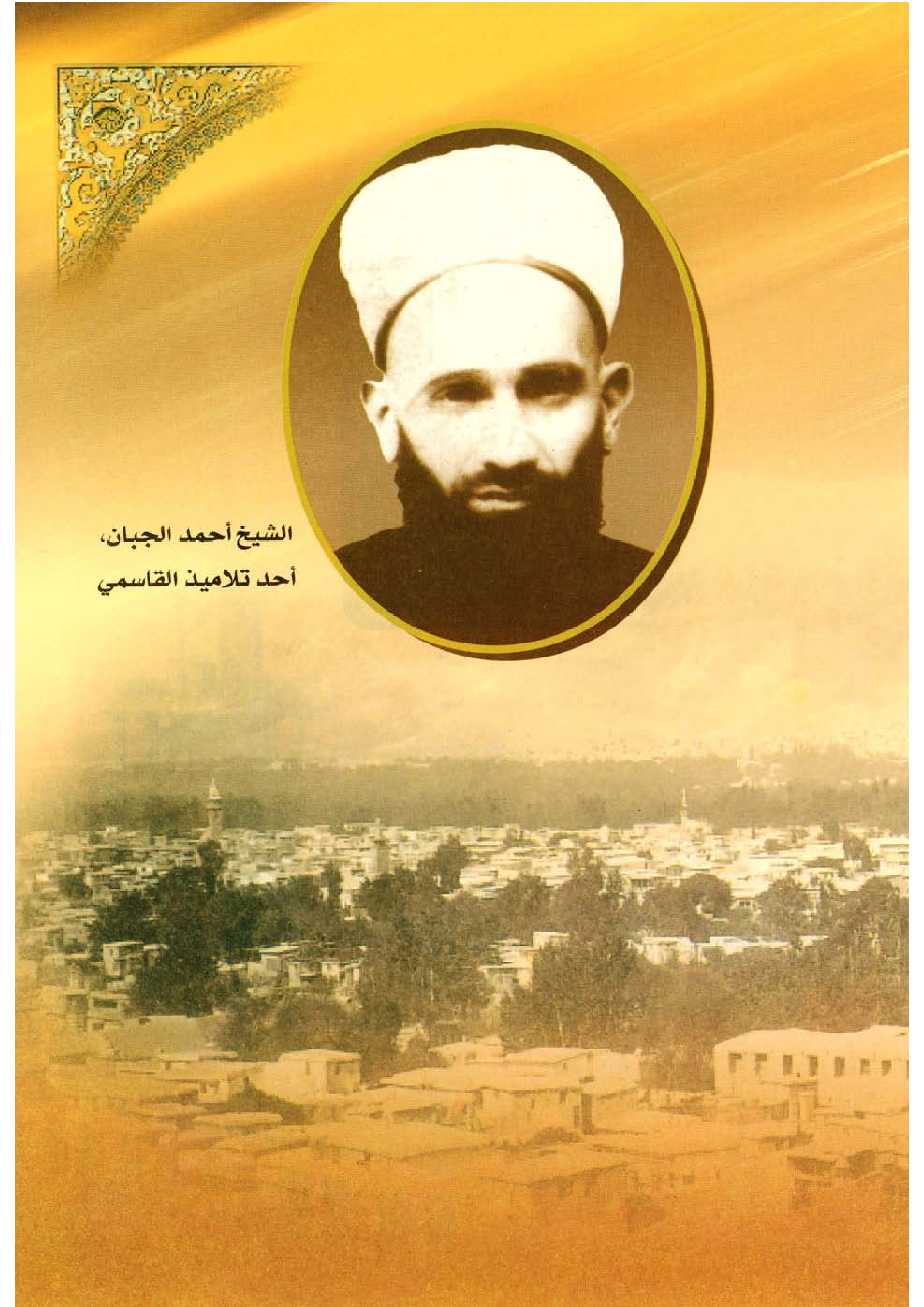
طرّة الجزء الأوّل من تفسير القاسمي وخاتمة الجزء العاشر بخطّه .

شمس الجمال، على منتخب كنز العمال، للفقير
محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم
ابن صالح بن اسمعيل بن ابي بكر
القاسمي الدمشقي
عفا عنه مولاه
بمنه
آ

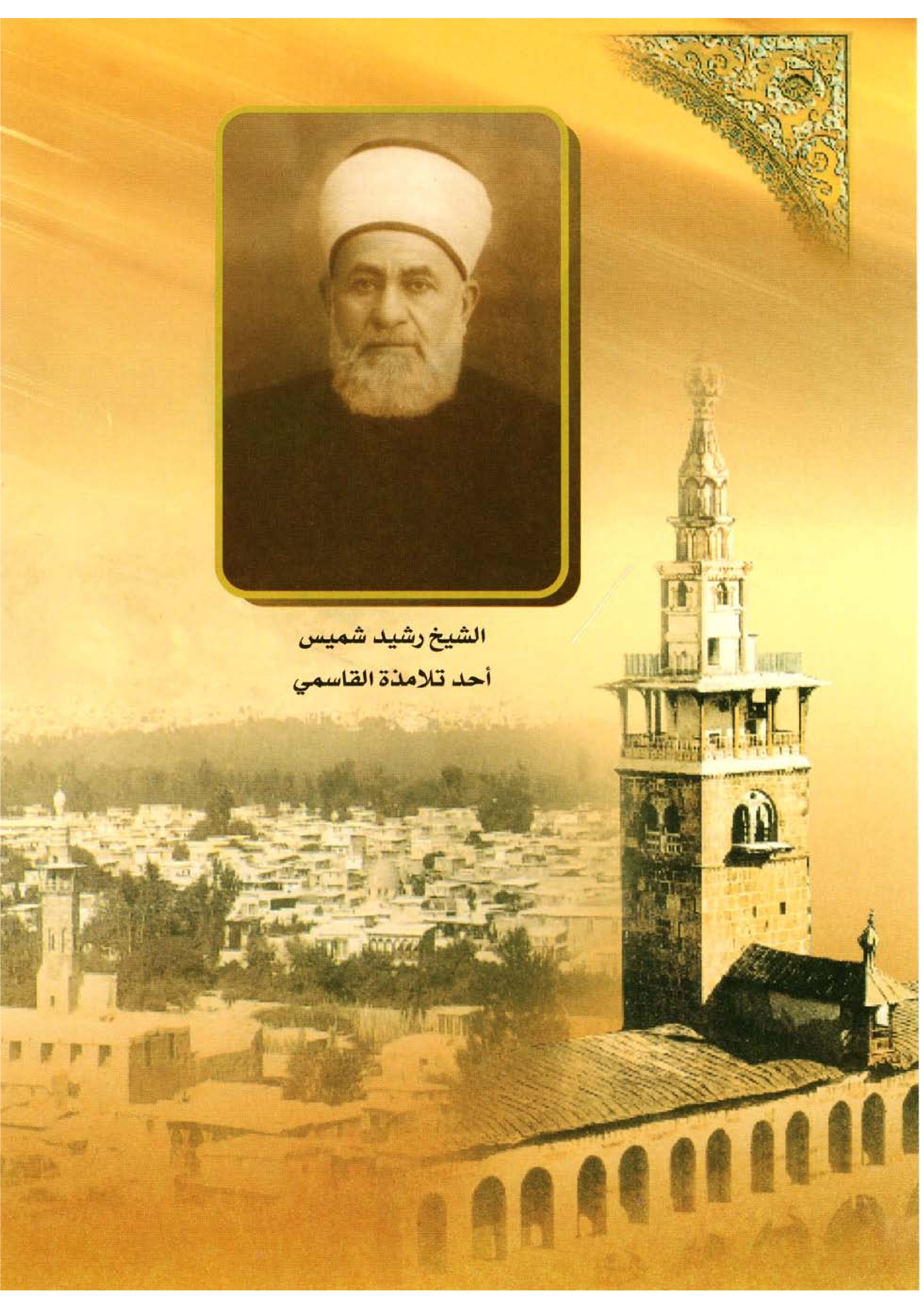
هذا آخر ما يسره المولى من التعليقات على هذا الكتاب الجليل وكان الفراغ من [illegible]
بعد صلاة الجمعة غرة محرم الحرام عام ستة عشر وثلاثمائة والف في منزلنا ظاهر [illegible]
الجابية قبلي جامع حسان في زقاق المكتبي بقلم المفتقر الى عفو مولاه وفضله و[illegible]
محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح القاسمي الدمشقي غفر الله له ولوالديه [illegible]
وللمسلمين اجمعين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
والحمد لله رب العالمين

طرّة كتابه «شمس الجمال» وآخره بخطّه، وهو عند أحد ورثته ممّن انتقل إلى الرياض، وقد حاولت معه أن أنشر الكتاب وأعتني به ولكن. . . ؟ الجواب يعرفه القارىء اللبيب، ولم أحصل منه إلَّا على هذا!.

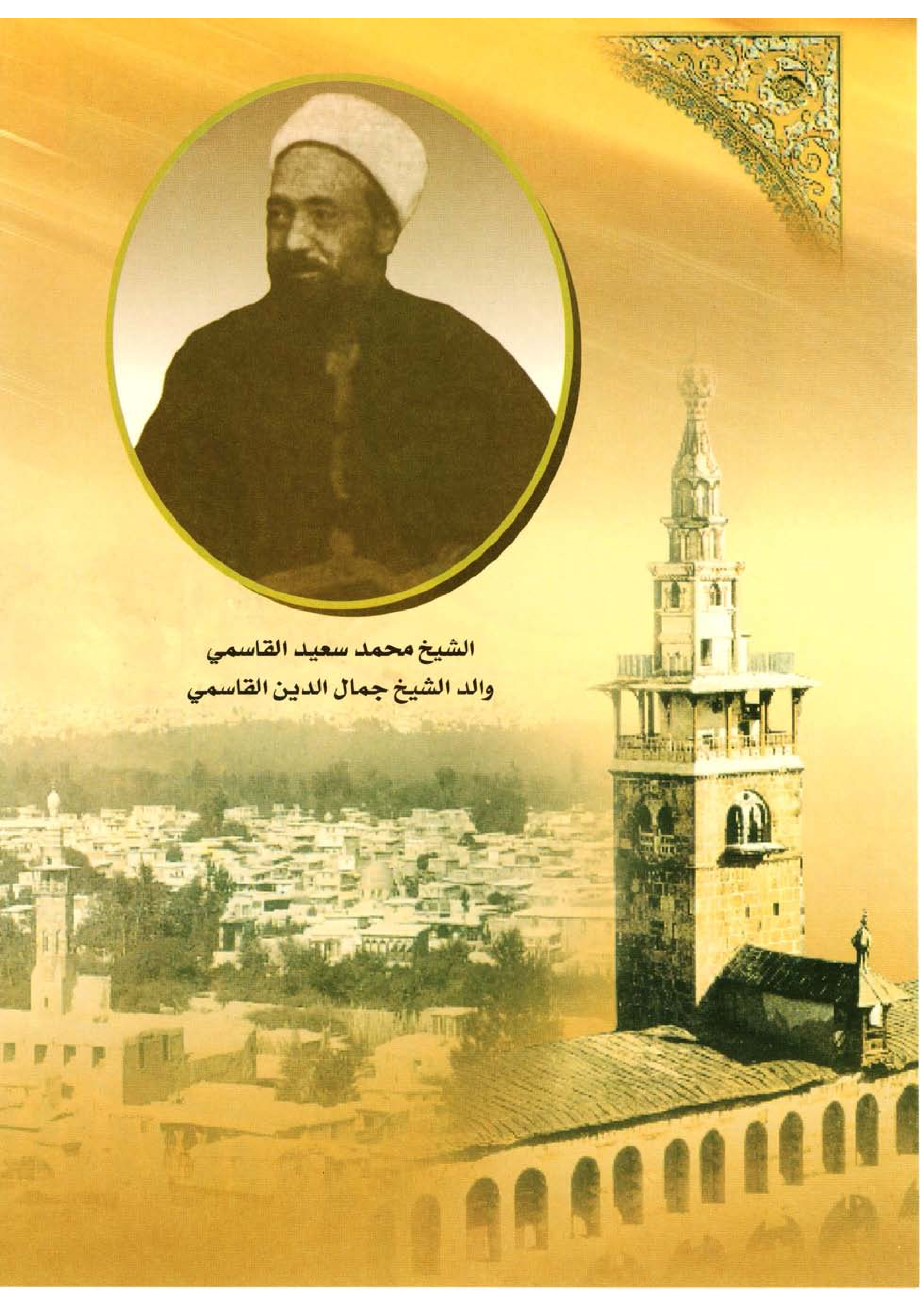




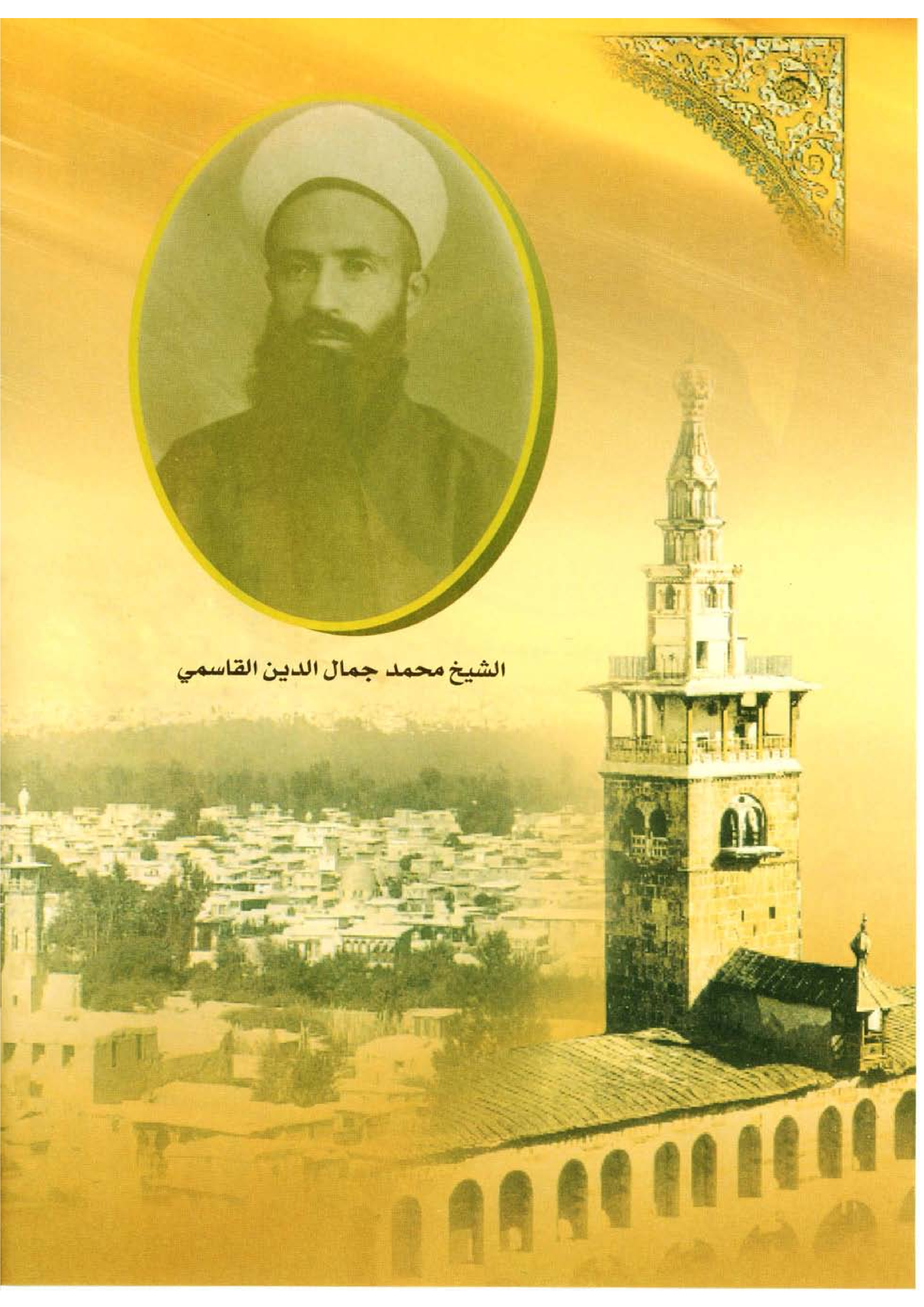
الشيخ أحمد الجبان،
أحد تلاميذ القاسمي



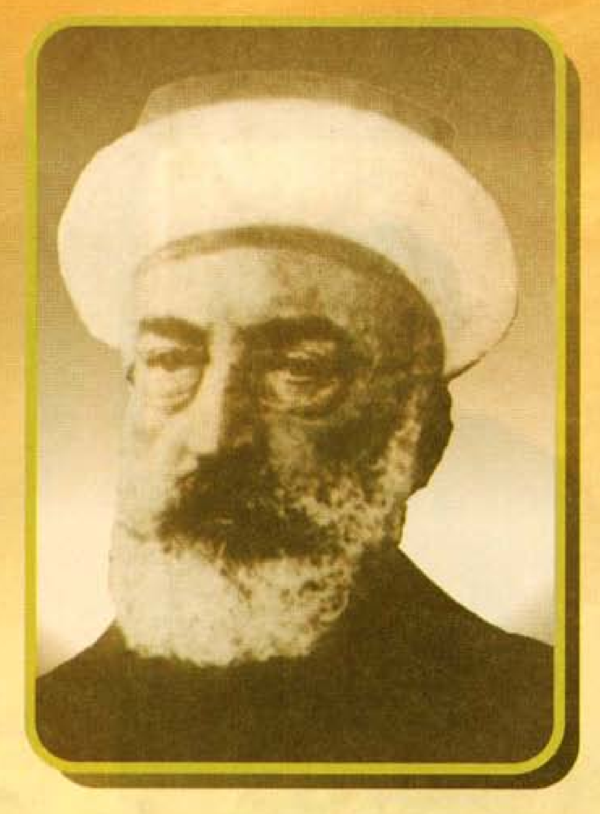
الشيخ رشيد شميس
أحد تلامذة القاسمي



الشيخ محمد سعيد القاسمي
والد الشيخ جمال الدين القاسمي



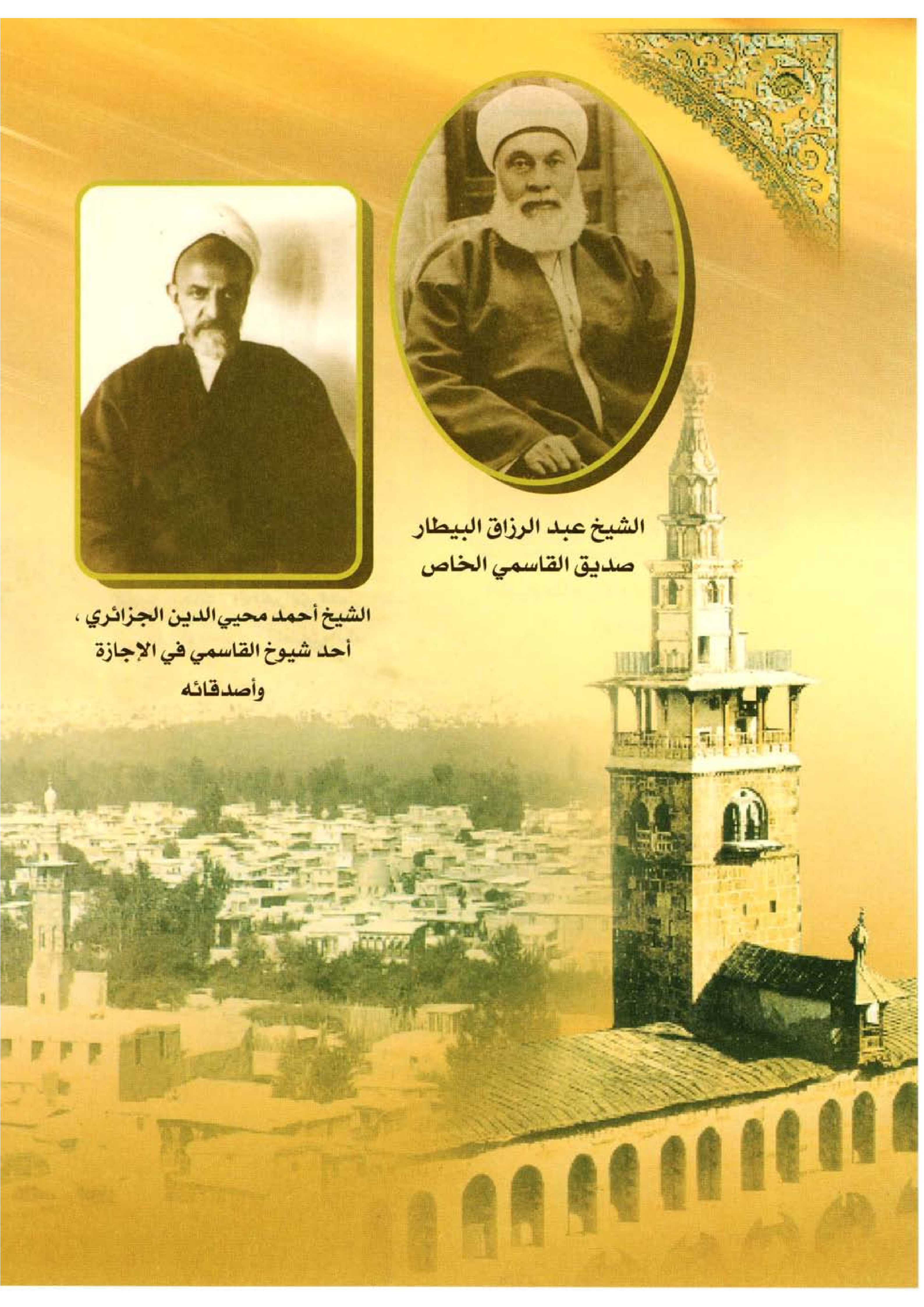
الشيخ محمد جمال الدين القاسمي



الشيخ محمود الحمزاوي مفتي الشام ، أحد شيوخ القاسمي الكبار



الشيخ طاهر الآمدي ، أحد شيوخ القاسمي



الشيخ عبد الرزاق البيطار
صديق القاسمي الخاص

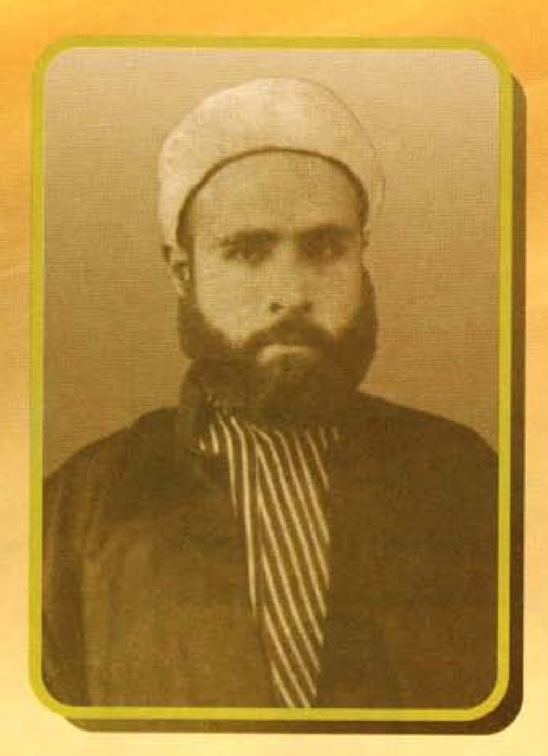
الشيخ أحمد محيي الدين الجزائري ،
أحد شيوخ القاسمي في الإجازة
وأصدقائه



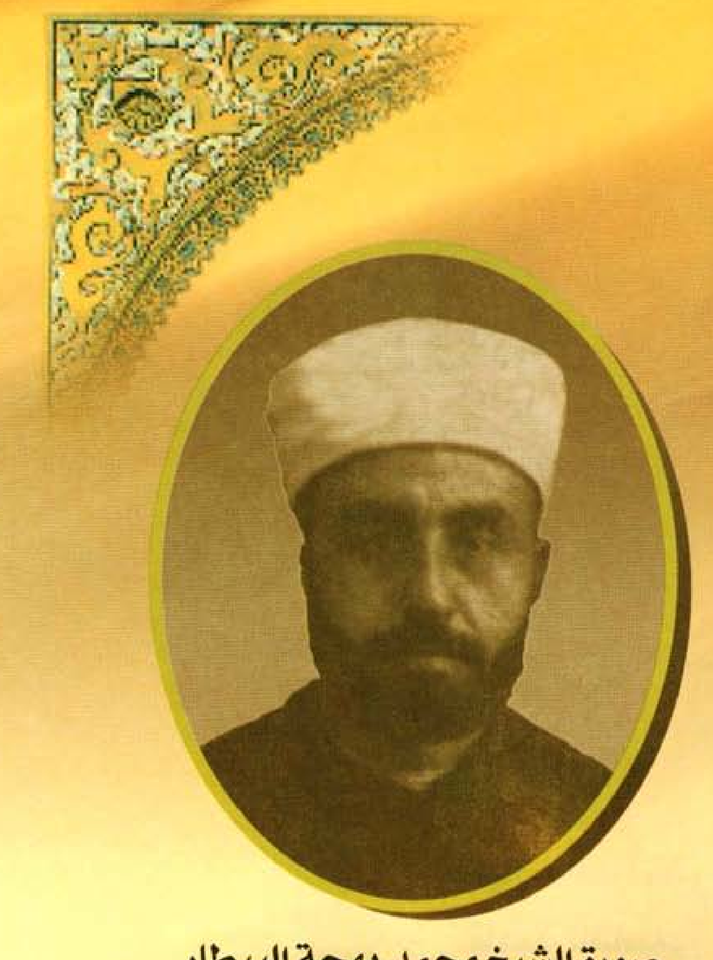
الشيخ العلامة نعمان
الألوسي البغدادي



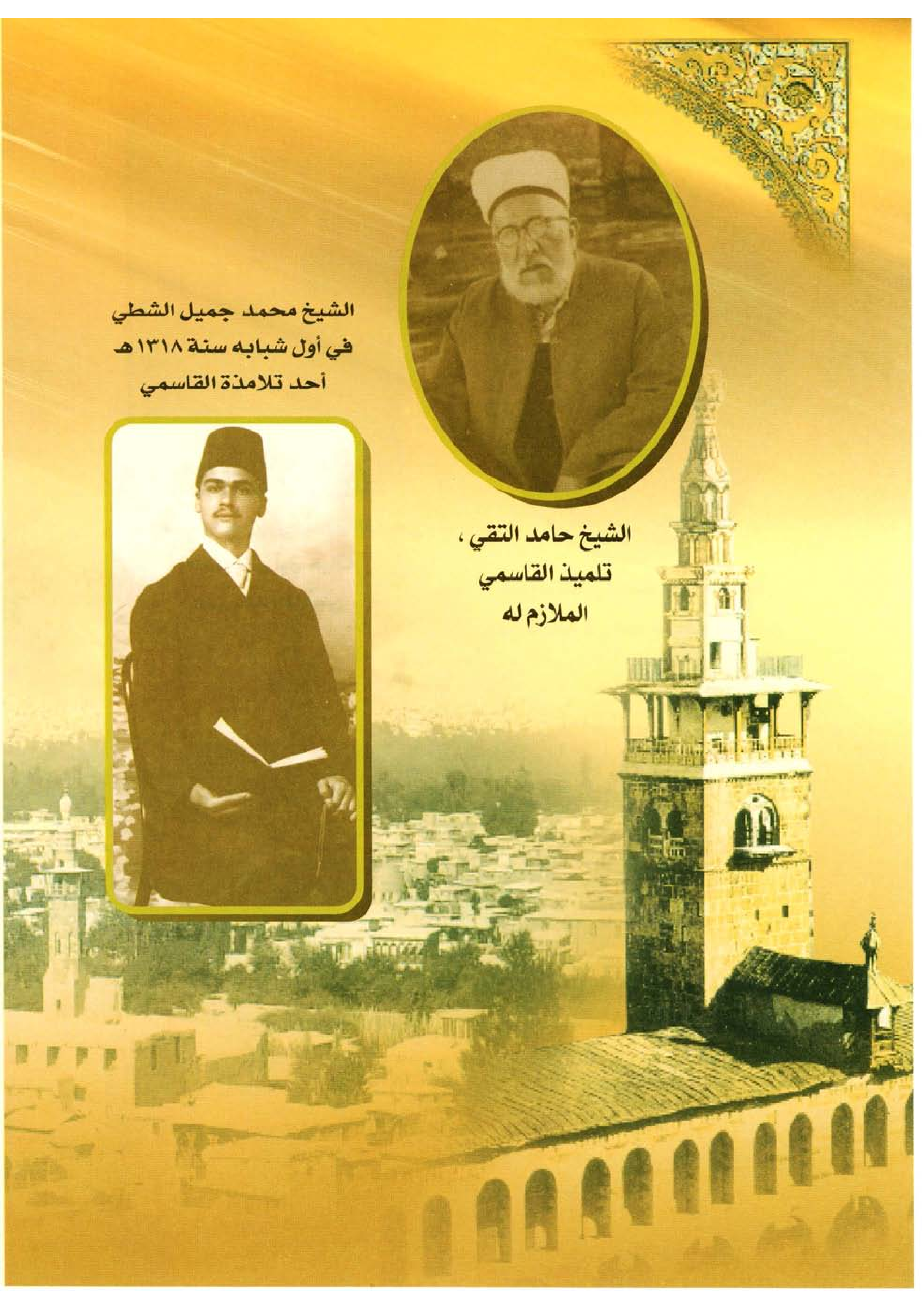
الشيخ العلامة صديق حسن خان
بلباس الإمارة، وقد روى من طريقه
القاسمي بواسطة نعمان الألوسي،
زودني بها الشيخ عارف جاويد محمدي



الشيخ طاهر الجزائري صديق القاسمي
والصورة في أول حياته
على عهد القاسمي

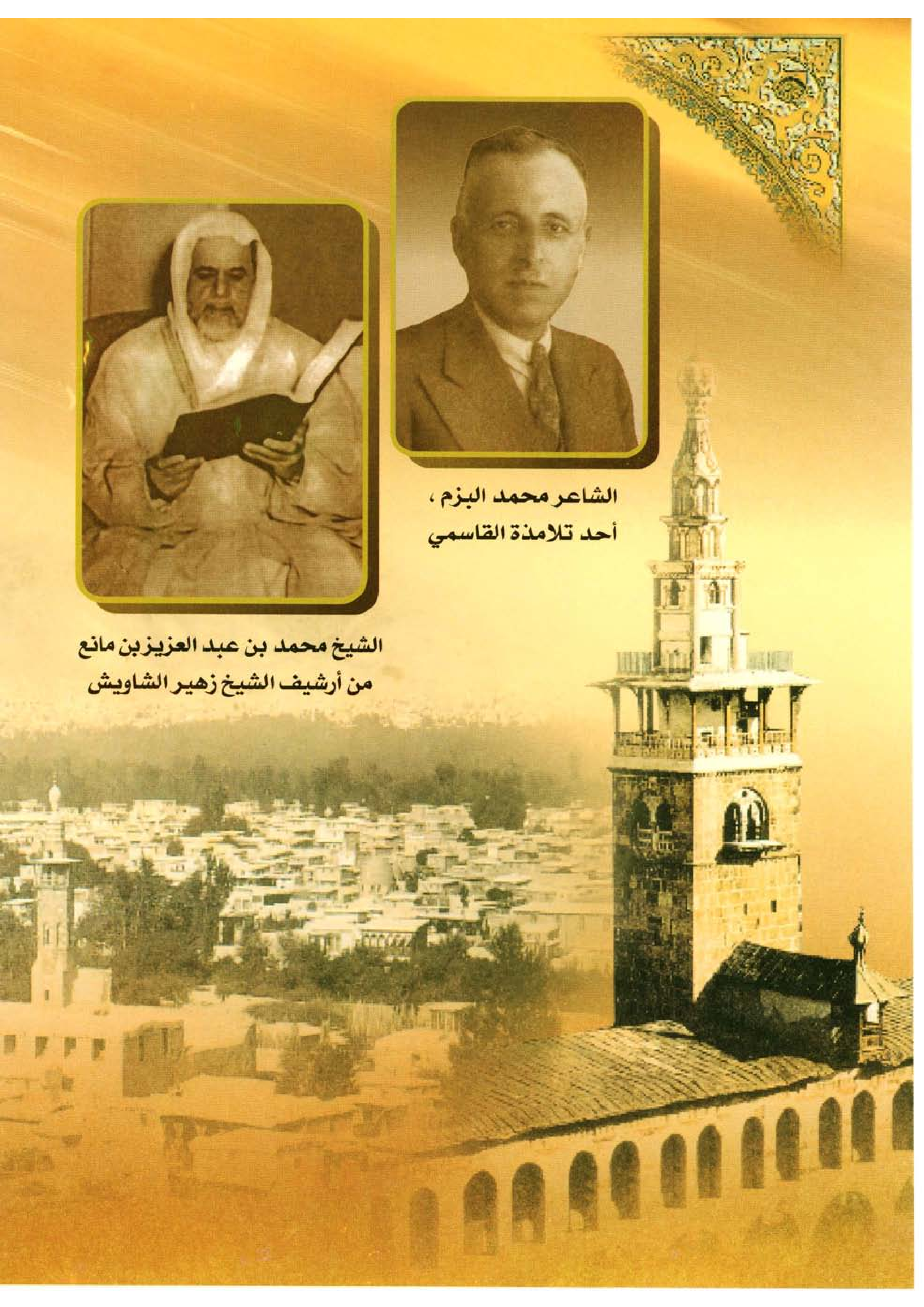


صورة الشيخ محمد بهجة البيطار
في شبابه في عهد شيخه القاسمي



الشيخ محمد جميل الشطي
في أول شبابه سنة ١٣١٨هـ
أحد تلامذة القاسمي

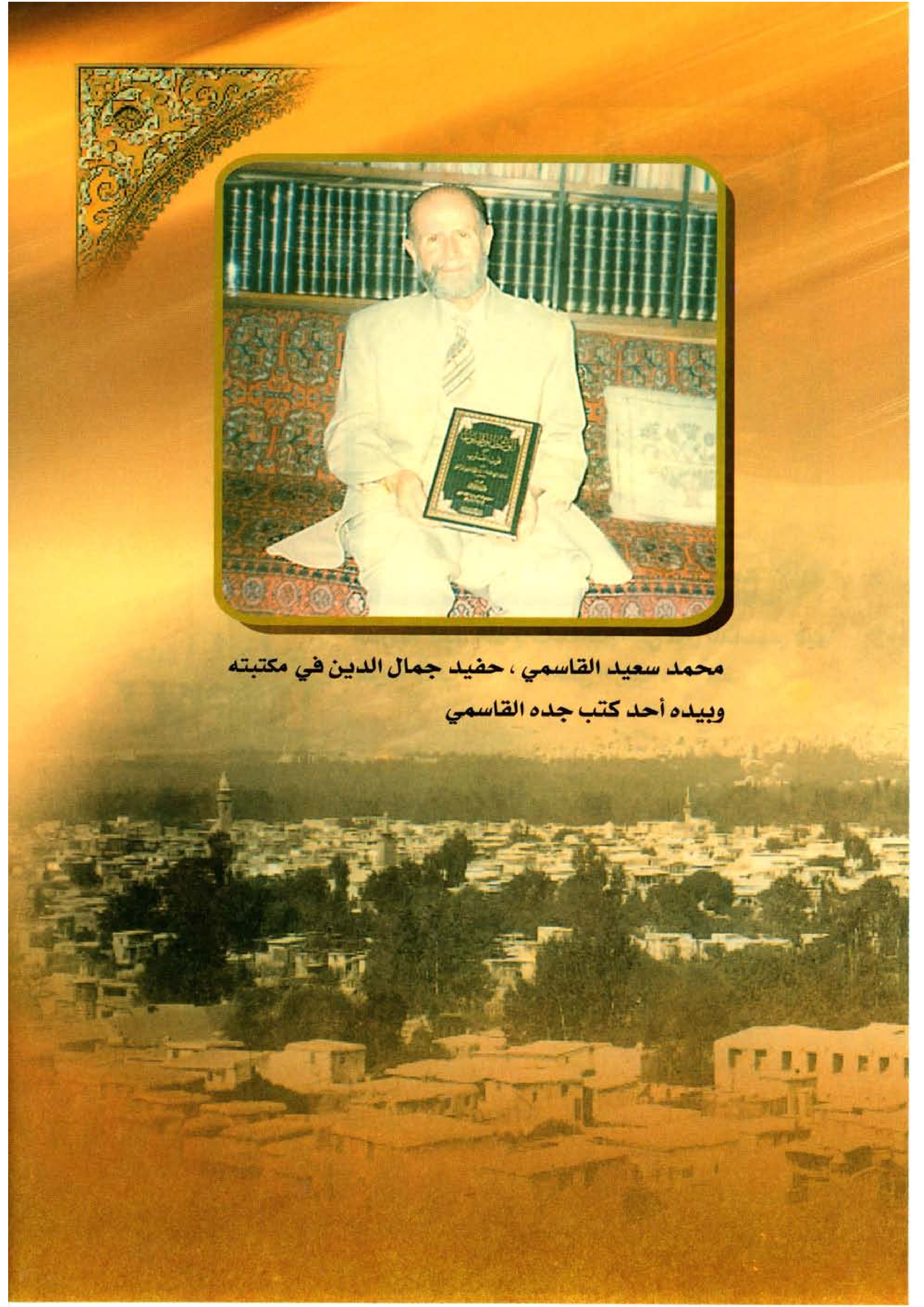
الشيخ حامد التقي،
تلميذ القاسمي
الملازم له



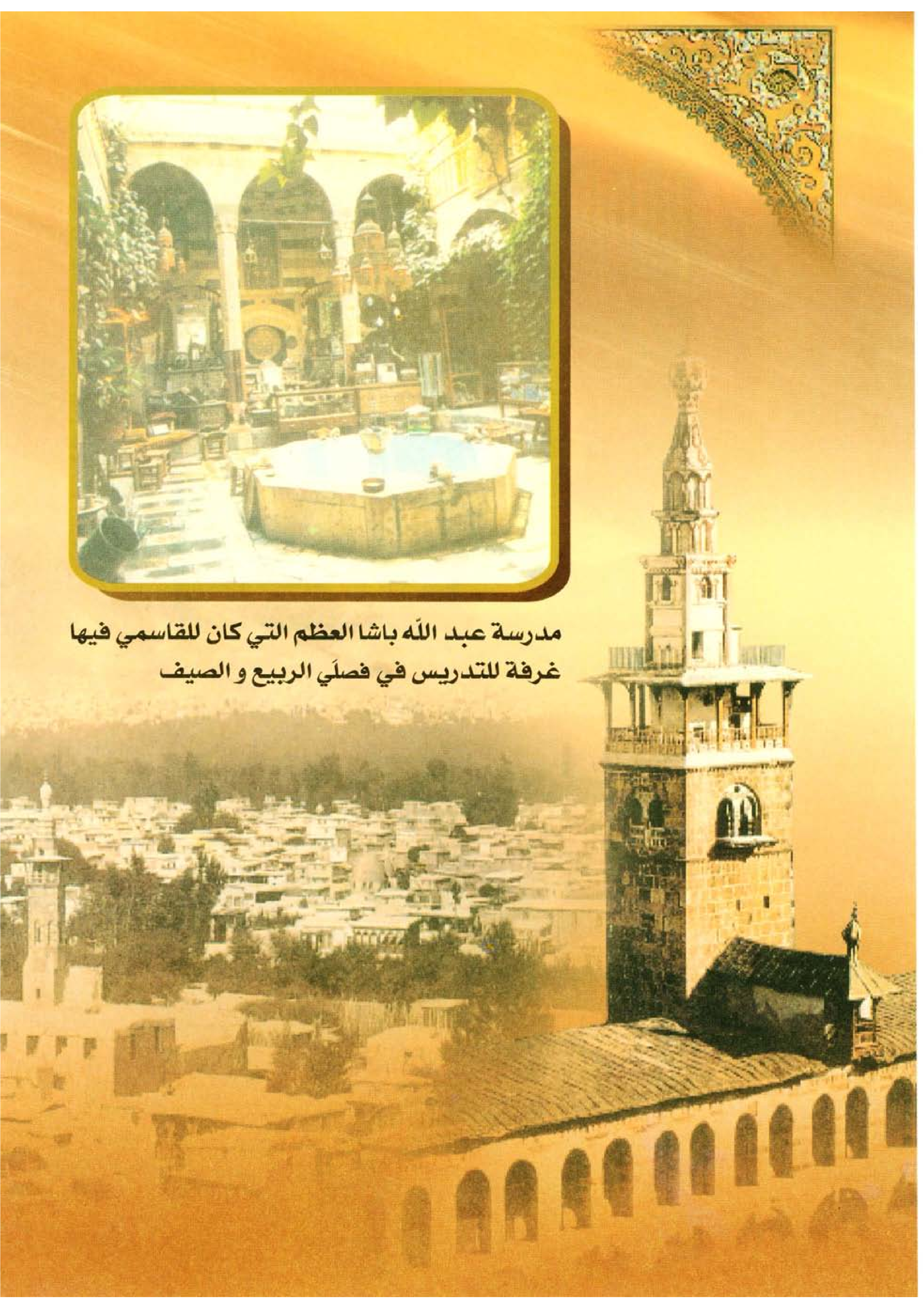
الشاعر محمد البزم ،
أحد تلامذة القاسمي

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع
من أرشيف الشيخ زهير الشاويش

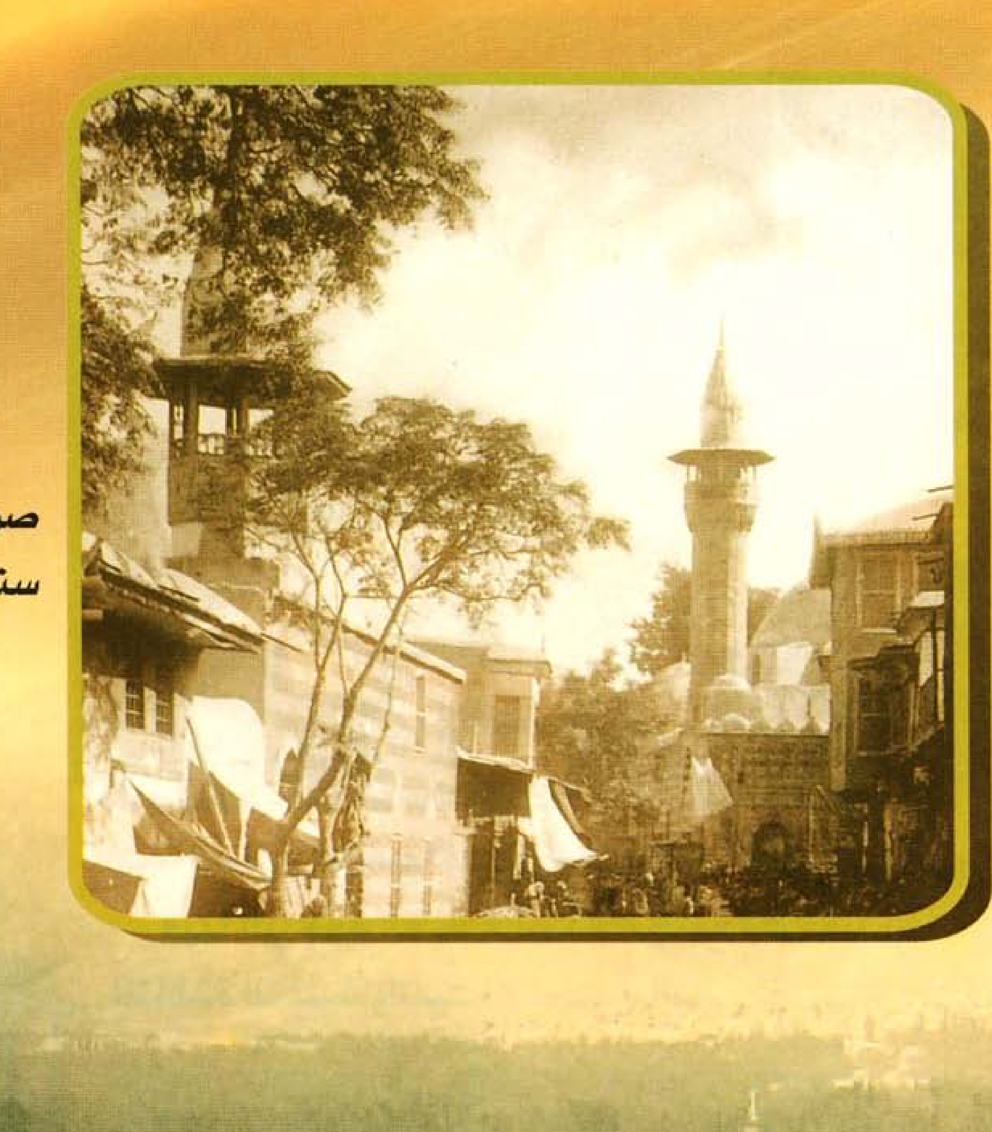
خير الدين الزركلي
وعن يمينه ظافر
ابن الشيخ القاسمي



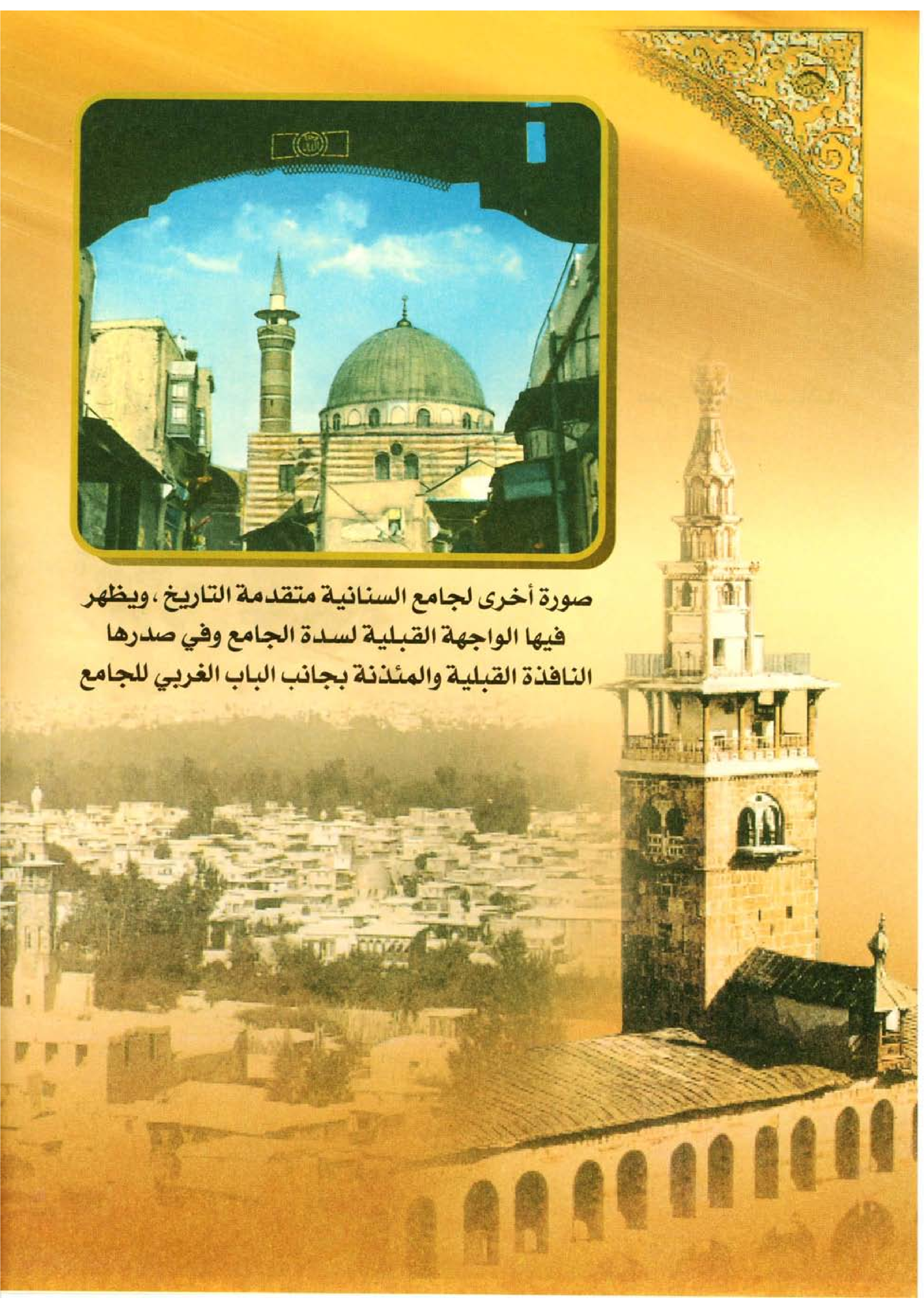
محمد سعيد القاسمي ، حفيد جمال الدين في مكتبته
وبيده أحد كتب جده القاسمي



مدرسة عبد اللّه باشا العظم التي كان للقاسمي فيها
غرفة للتدريس في فصلَي الربيع و الصيف



صورة لجامع السنانية
سنة ١٣١٢هـ



صورة أخرى لجامع السنانية متقدمة التاريخ، ويظهر
فيها الواجهة القبلية لسدة الجامع وفي صدرها
النافذة القبلية والمئذنة بجانب الباب الغربي للجامع

الفهارس العامّة

* فهرس الآيات .
* فهرس الأحاديث .
* فهرس الأشعـار .
* فهرس الأعـلام .
* فهرس الكتب والدوريات .
* فهرس الأماكن .
* فهرس الموضوعات .



فهرس الآيات

* * *

فهرس الأحاديث

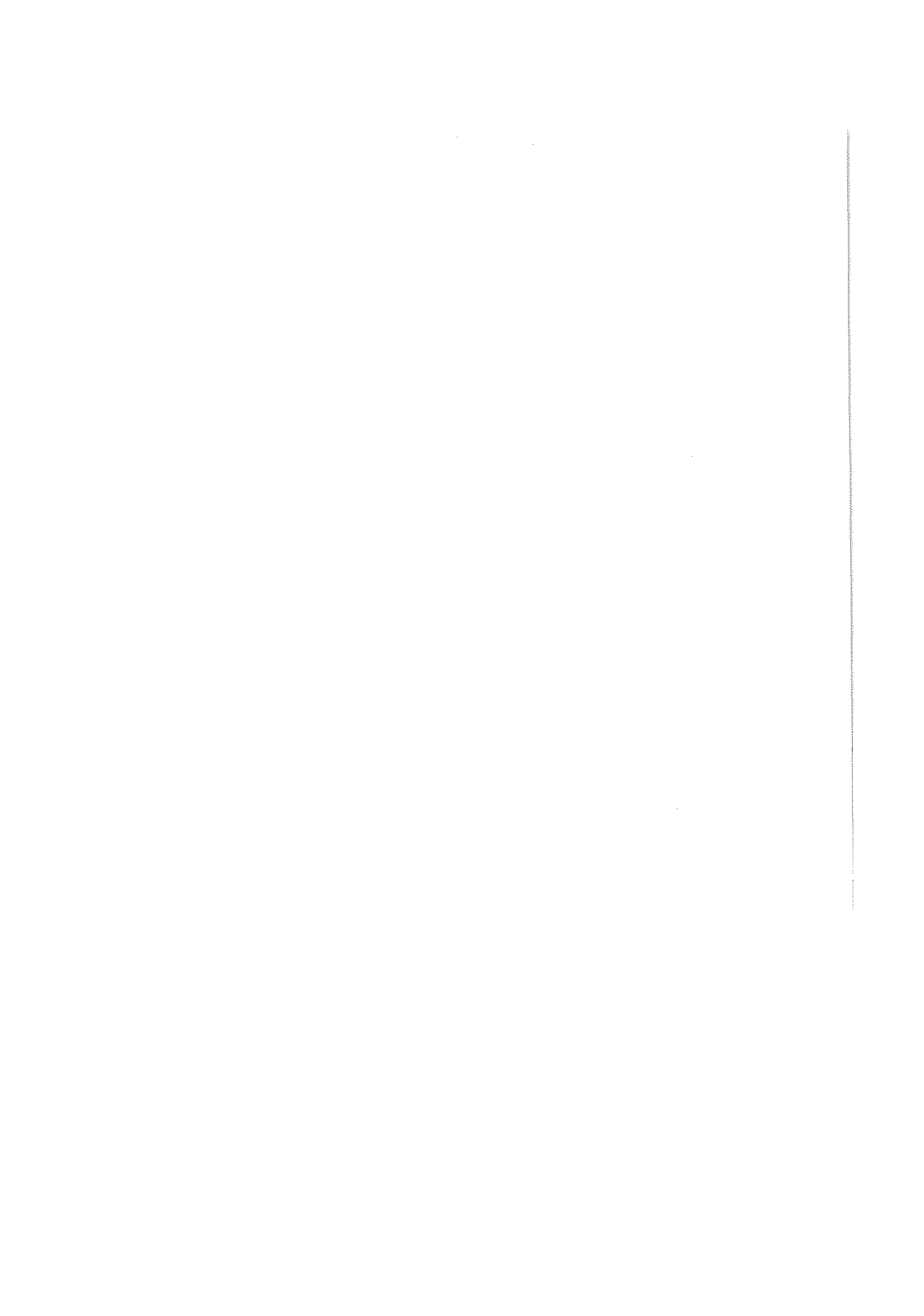
* * *

فهرس الأشعار

❊ ❊ ❊

فهرس الأعلام

* * *



فهرس الكتب والدوريات

* * *

فهرس الأماكن
(بلدان، مدارس، جمعيات، مكتبات)

* * *

المحتوى

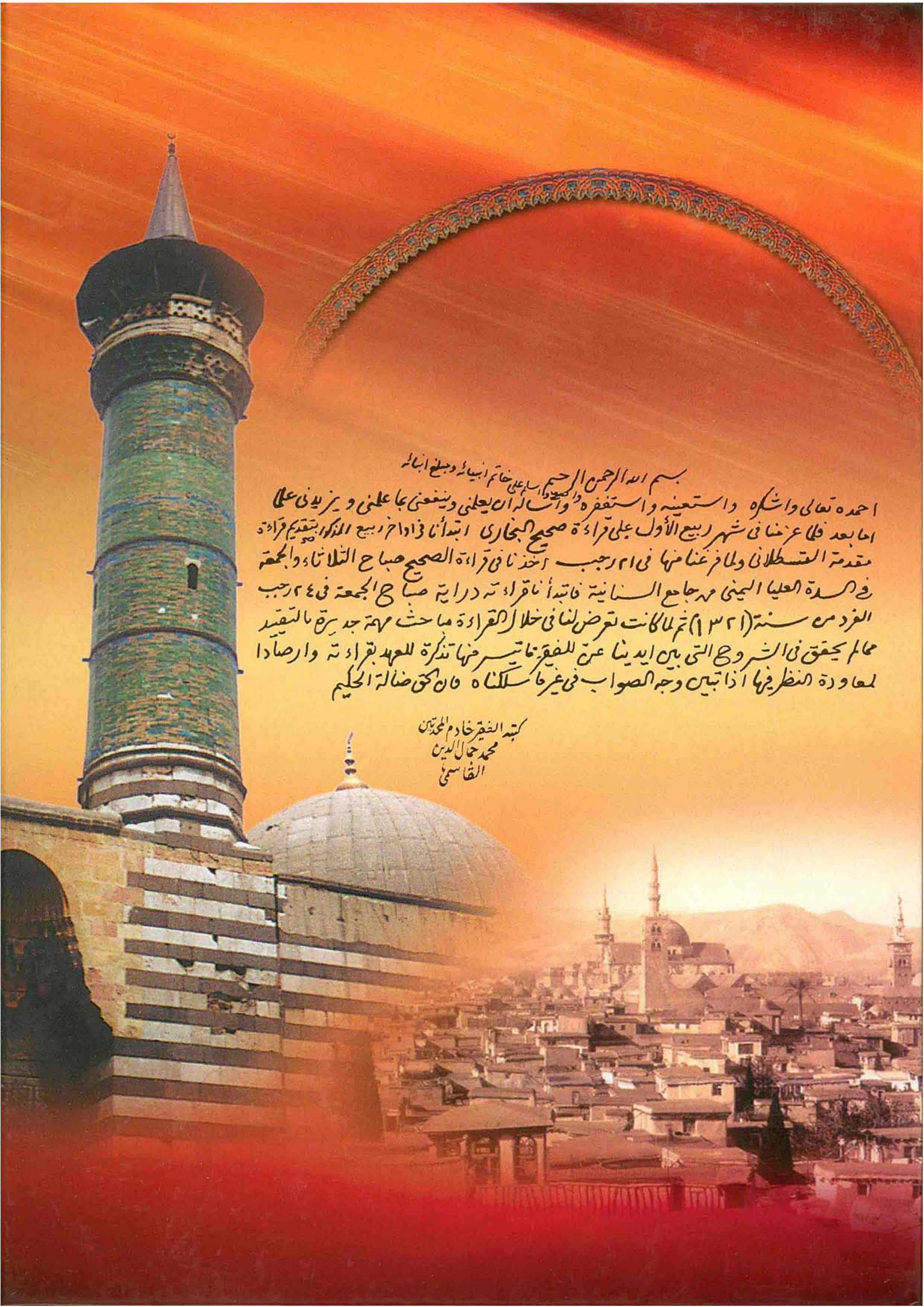
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم
احمده تعالى واشكره واستعينه واستغفره واسأله ان يعلمني وينفعني بما علمني و يزيدني علما
اما بعد فلما عزمنا في شهر ربيع الأول على قراءة صحيح البخاري ابتدأنا في اواخر ربيع المذكور بتقديم قراءة
مقدمة القسطلاني ولما فرغنا منها في ١٢ رجب اخذنا في قراءة الصحيح صباح الثلاثاء والجمعة
في السدة العليا اليمنى من جامع السنانية فابتدأنا قراءته دراية صباح الجمعة في ٢٤ رجب
الفرد من سنة (١٣٢١) ثم لما كانت تعرض لنا في خلال القراءة مباحث مهمة جديرة بالتقييد
مما لم يحقق في الشروح التي بين ايدينا عنّ للفقير تقييد ما تيسر منها تذكرة للعهد بقراءته وارصادا
لمعاودة النظر فيها اذا تبين وجه الصواب في غير ما سلكناه فان الحق ضالة الحكيم
كتبه الفقير خادم المحدثين
محمد جمال الدين
القاسمي